المبشر الشهيد

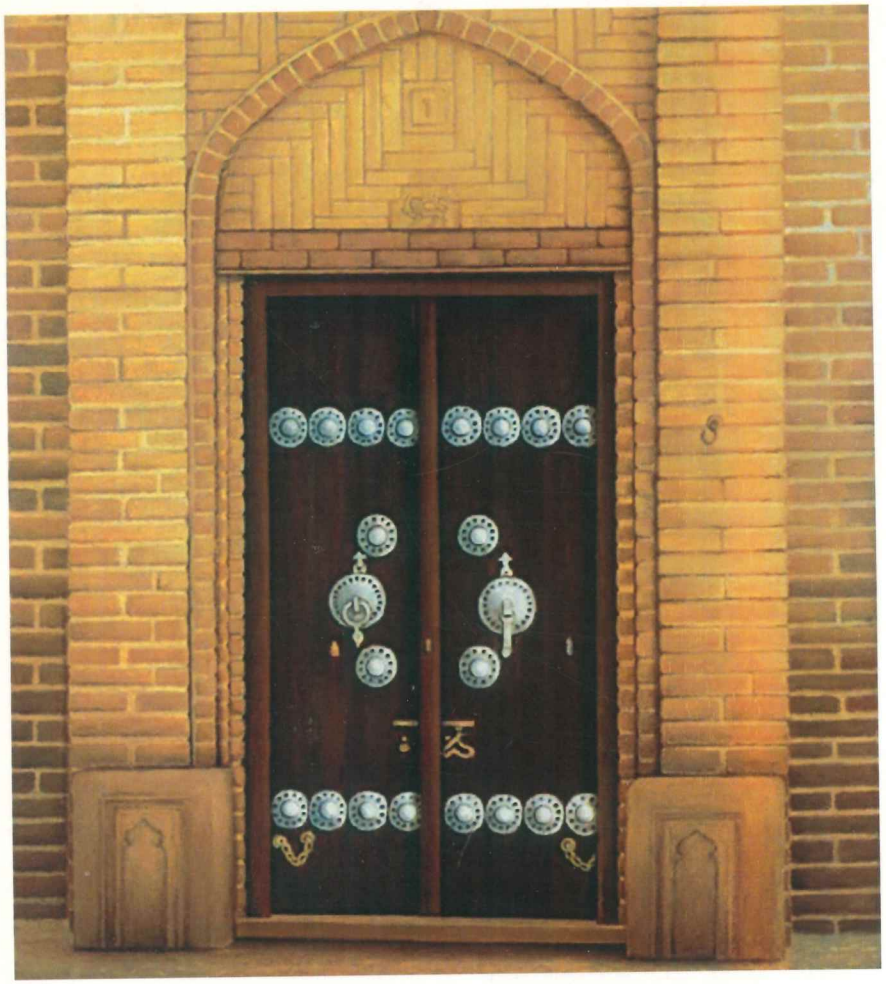

كبداني محمد

المبشر الشهيد كبداني محمد

عثماني محمد مؤلف هذا الكتيب حرص والده على أن يكون ابنه البكر من الذكور متعلما، فسلمه لفقيه القرية ليحفظ القرآن الكريم، ثم اختلف إلى المساجد القرآنية المتوفرة في بادية شمال شرق المغرب ليجيد حفظه، ومنها التحق بجامع القرويين بفاس، غير أن الصراع بين الوطنيين والإدارة الفرنسية جعلت والده يعيده إلى الناظور ليلتحق بالمدرسة العصرية حيث تعلم العربية والاسبانية قبيل انتهاء الحماية الأسبانية واستأنف دراسته في تطوان حيث تخرّج من مدرسة المعلمين وعمل مدرّساً إلى أن بلغ سن التقاعد، فتفرّغ للكتابة بعدما عاش حياة حافلة بالأحداث

ISBN : 978-9920-38-509-1

9 789920 385091

عناوين الفصول	صفحة
المقدمة	1
I. **نشأة علي محمد** (حضرة الباب).	5
1. طفولته	5
2. المهنة	9
3. الزواج	12
II. الكشف عن الهوية	17
1. إعلان الدعوة	17
2. حروف حي	20
أ. الملا حسين بشروئي	21
ب. السيدة الطاهرة	27
ج. محمد علي البارفروشي (القدوس)	32
3. توديع حروف الحي	36
4. بعض المرموقين المؤمنين بحضرة الباب	42
أ. ميرزا حسين علي (بهاء الله)	43
ب. السيد يحيى الدارابي (وحيد)	49
ج. محمد علي الزنجاني (الحجة)	53
III. حجج علماء الدين ونفوذهم	57
1. حجج العلماء واعتراضهم	57
2. نفوذ فتاوى العلماء	64
3. التفاعل بين العلماء ورجال السلطة	68

IV. المسار نحو الاستشهاد 71

1. بداية الاضطهاد في شيراز 76
2. في اصفهان 83
3. تحويل المسار نحو أذربيجان 92
   - أ. قلعة ماه كو 97
   - ب. قلعة جهريق 99
4. المحاكمة في تبريز 102
5. بعض آثار حضرته الكتابية 113

V. استشهاد حضرة الباب 117

1. تبريز من جديد 120
2. حادثة الاستشهاد 122
3. رفيق الاستشهاد 124
4. الشروع في تنفيذ الإعدام 127

VI. مصير المسؤولين عن استشهاده 131

1. رجال الدولة 132
2. رجال الدين 138

VII. تمجيد حضرة الباب 142

1. من طرف الهياكل المباركة: 142
2. بعض العلامات في الكتب المقدسة 145

IX. مآل دورة حضرة الباب 149
1. استمرار الاضطهاد 149
أ. حادثة محاولة اغتيال الشاه 149
ب. استمرار الاضطهاد بعد الإعدام 157
2. الهدف من رسالة حضرة الباب 163
أ. التبشير **بمن يظهر الله**: (حضرة بهاء الله) 163
ب. نظم بهاء الله البديع 166
3. مآل رفات حضرة الباب 170

عود على بدء 179
المراجع 184

مقدمة *

مولد كل إنسان عظيم مناسبة تستحق الاحتفاء، لما تحدثه حياته من تغيير في حياة الناس وفي وتيرة تقدم المجتمع الإنساني. ومولد حضرة الباب، في "يوم الله" المذكور في الكتب المقدسة، محطة كبيرة يتجدد فيها تاريخ البشرية تجديدا كاملا. مما يستوجب التوقف والتأمل كلما حلت ذكراها السنوية، خاصة ذكرى حلول مائتي عام على مولد حضرته الميمون، من أجل استحضار أحداثها والاهتداء بالعبرة النادرة التي خلدها من مات شهيدا، مبشرا بقرب ظهور موعود جميع الأديان: بهاء الله، المشرّع للبشرية ما يتحقق به تقدمها المادي والأخلاقي في هذه الحياة العابرة والارتقاء الروحي في الحياة الباقية.

ولا يمكن إغفال الإشارة إلى ذكرى أتباعه البواسل الذين هيأهم العناية الإلهية لمشاركته في قدره المحتوم، والتعبير عن إيمانهم بشجاعة واستقامة وانقطاع منقطعي النظير، وعن ما بذلوا من غال ونفيس في سبيل حب حضرة الباب، إخلاصا ووفاء لرسالته، وما قاموا به من أعمال بطولية نادرة وتضحيات مبهرة تدعو إلى الدهشة والاستغراب، تستدعي بدورها التأمل في المحبة الجارفة التي تستهين بالتضحية في سبيل حب الله وحب الخير لعباده، واستحضار حياة العظماء وما عاناه رسل الله والمؤمنون بهم، في القرون الأولى، من اعتراض واضطهاد المكذبين الغافلين عن حقيقة المرسلين من لدن رب العالمين.

---

* - تنبيه:

كتبت النصوص المقدسة ذات الأصل العربي بخط مستقيم داكن، والنصوص المقدسة المترجمة إلى العربية بخط داكن مائل أما غيرها من النصوص فقد كتبت بخط عادي مائل تمييزا لها عن بقية المحتوى.

إن إحياء ذكرى مولد حضرة الباب، بعد مرور مائتي عام على مولده، فرصة متاحة ومناسبة فريدة للتعرف من جديد على حياته النبيلة الزاخرة بالأحداث، والتأمل في ماهية الروح التي وهبته قوّة تجاوز بها كل التحديات وتغلب على جميع الصعوبات. وبذل حياته برهانا ساطعا على صدق رسالته الإلهية وتقدمها المضطرد في هذا العصر المادي الذي مازال يئن تحت وطأة الحيرة والتوتر والاضطراب.

يقول بيت العدل الأعظم* مستبقا مناسبة اقتراب موعد مولده المجيد:

" إنها برهة زمنية نستذكر فيها البطولة الخارقة لمبشر أمرنا الشهيد، الذي دفعت فترة ولايته المفعمة بالأحداث الدرامية البشرية إلى ولوج عصر جديد من التاريخ... إن المجتمع الذي ظهر فيه حضرة الباب يماثل عالم اليوم من حيث الإحساس بالظلم، وتوق الكثيرين للعثور على أجوبة تروي غليل نفوسهم المتلهفة للمعرفة...

ويتابع في نفس الرسالة قائلا في حق المؤمنين بحضرته:

... نستعيد في أذهاننا حياة أتباع حضرة الباب البواسل. البطلات والأبطال الذين عبروا عن إيمانهم بتضحيات منقطعة النظير؛ أعمال بطولية سوف تزين سجل تاريخ الأمر المبارك إلى الأبد. إن سجايا الشجاعة والاستقامة والانقطاع عما سوى الله تبهر كل من يطلع على مبادراتهم المحفوفة بالمخاطر. كم هو آسر ومدهش أيضا صغر أعمار معظم أولئك الذين حملوا بين أضلعهم قلوب الآساد، ليضعوا في ريعان شبابهم بصمات على التاريخ لا تُمحى"[1].

---

* - بيت العدل الأعظم: أعلى هيئة بهائية عينها حضرة بهاء الله في الكتاب الأقدس. انتخبها لأول مرة، أعضاء 56 محفلا روحانيا مركزيا عام 1963، ويعاد انتخابها مرة كل خمس سنوات لتتولى القيام بالمسؤوليات والمهام المنوطة بها.

[1] - رسالة الرضوان 2018.

يحاول هذا الكتيب، أن يستلهم من محتوى رسالة بيت العدل الأعظم الآنفة الذكر، تحفيز الذاكرة لاسترجاع بعض الأحداث التي مرت بها حياة حضرة الباب اقتباسا من أمهات الكتب المعتمدة، مثل مقالة سائح وكتاب القرن البديع وغيرهما كمطالع الأنوار... الذي يحكي الشدائد التي عانى منها أتباع حضرة الباب الأوائل، كما يتناول أساسا حياة حضرة الباب المختار للتبشير بتجديد رسالة الله في زمان هيمن فيه التفكير المادي على أفكار قادة الأمم في العالم الغربي، وسعيهم الدائب للتوسع من أجل تحقيق الثراء حيثما أمكنهم الوصول في أركان المعمور، فأبهروا بنفوذهم وتقدمهم التقني والعلمي بلدان الشرق التي اجتاحتها ثقافتهم، بما فيها الشعوب العربية والإسلامية التي امتلأت عيونها من صنائع أهل الغرب، فاستفاقت مجتمعاتها المنغلقة على نفسها المتعصبة لدينها المتمسكة بعاداتها وتقاليدها، الحريصة على حمايتها ومعاداة كل من يخالفها. فاحتار عقلاؤهم في تقدم الآخرين عنهم، وتطلعوا إلى التوفيق بين متطلبات تقدم الغرب وبين المحافظة على المأثور من النظام العتيد، المتحكم في الفكر والوجدان. ومن بلدان الشرق بلاد فارس (الجمهورية الإسلامية الإيرانية الحالية) التي عرفت حضارة عريقة موغلة في القدم أنجبت ساسة كبارا، وظهرت فيها رسالة إلهية عظيمة، وساهم علماؤها مثل ابن سينا، المعروف بالشيخ الرئيس، وغيره مساهمة فعالة في بناء الحضارة الإسلامية التي أنار إشعاعها جوانب من الحضارة الإنسانية الحالية.

امتد إليها في القرن التاسع عشر، النفوذ الروسي والبريطاني الذي تحكم في اقتصادها عن طريق ممارسة الاحتكار للتجارة العالمية وحصولهم على امتياز إنشاء مشاريع اقتصادية كخطوط السكك الحديدية والتلغراف... وروّج رجال الدين داخل البلاد، أيام حكم الملوك

'القاجار'، العقائد المذهبية ووجهوا أتباعهم إلى التمسك الشديد بها، مما أدى إلى خفوت الحياة الروحية والفكرية لدى المتدينين.

قُدّر لحضرة الباب أن يولد في أحضان هذه الأمة الفارسية التي تؤمن بأن التمسك بعاداتها وتقاليدها الدينية هو وحده السلوك القويم المؤدي إلى الفوز الأكيد، وأن ما عدا ذلك إنما هو بدعة وضلال مبين، فوقف علماؤها سدا منيعا في وجه كل جديد، دون الالتفات إلى أهمية التغيير. وحاربوا دعوة حضرة الباب الداعية لتجدد الأديان، واعتبروا مخالفة تعاليمها للأصول والتقاليد مِعْولا هادما للثوابت، فولّوا ظهورهم لرسالته وطعنوه بخنجر التقاليد. فحكموا بذلك على أنفسهم بالحرمان من موهبة الإعلان عن افتتاح العصر الجديد.

*****

I. نشأة علي محمد (حضرة الباب).

1. طفولته

شاءت إرادة الله أن تحظى مدينة شيراز، جنوب شرق بلاد فارس، إيران اليوم، بمولد 'علي محمد' الذي فقد والده في سن مبكرة، فكفله خاله 'الحاجي ميرزا سيد علي'. ولما بلغ سن الالتحاق بالتعليم، سلمه لكُتّاب 'الشيخ عابد' حيث يتعلم الصغار القراءة والخط، ويحفظون آيات من سور القرآن عن ظهر قلب دون أن يفهموا، عادة، كلماته العربية التي ليست لغتهم الأم في المنزل ولا في المجتمع، كما هو واقع حال الشعوب غير العربية التي استنارت بنور الإسلام، مثل إيران وما وراءها من شعوب الشرق وأكراد شمال العراق والأتراك والقبائل الأمازيغية في شمال إفريقيا، حيث يحفظ الصغار، الذين يحظون بالدخول إلى الكُتّاب، القرآن دون أن يفهموا ما تعنيه كلمات آياته العربية. وأول ما يحفظه الصبية 'البسملة' التي يطلب منهم ترديدها في اليوم الأول من حضورهم، كما حدث للصغير علي محمد مع معلمه الشيخ عابد في الكُتاب الذي تابع فيه دراسته على مدى ستة أو سبعة أعوام قبل أن يتخطى 13 عاما،* وقد روى النبيل:

"أما حضرة الباب، فاسمه السيد علي محمد، ولد في مدينة شيراز سنة 1235هـ في بيت مشهور بالشرف والانتماء إلى الرسول محمد ﷺ وأكد تاريخ ميلاده صحة النبؤة المروية عن الإمام علي: "إني أصغر من ربي بسنتين." وأعلن دعوته بعد أن بلغ من العمر خمسًا وعشرين سنة وأربعة أشهر وأربعة أيام، وتوفي والده وهو طفل، وكان والده السيد محمد رضا من نسل النبي ﷺ، ومشهورًا في مقاطعة فارس بأسرها بالتقوى والفضل وذا احترام عظيم من الناس. وكان والداه كلاهما من

* - الباحث بليوزي في كتابه الباب بالإنجليزية.ص. 39.

السلالة النبوية ويكن لهما الناس المحبة والاحترام. وكفله خاله الحاج ميرزا سيد علي، أحد شهداء أمر الله، وسلمه عندما كان لا يزال طفلاً إلى معلم يدعى الشيخ عابد ولو أن حضرة الباب كان غير ميال للدرس، إلا أنه أطاع رغبة خاله وإرشاداته.

وكان الشيخ عابد، المعروف عند تلامذته بـ"شيخنا"، رجلا صالحًا متفقهًا تتلمذ على كل من الشيخ أحمد والسيد كاظم. ومما حكاه الشيخ عابد قال: 'ذات يوم سألت الباب أن يقرأ فاتحة القرآن بسم الله الرحمن الرحيم، فتردد ولم يقبل قراءتها إلا إذا عرف معناها وعدا ذلك لن يتلفظ بها. فتظاهرت بأني لا أعرف المعنى، فأجابني تلميذي: ''أنا أعرف المعنى من هذه الكلمات، وإذا أذنت لي فسوف أشرحها.'' وتكلم في ذلك بطلاوة ومعرفة أدهشتني، وفسّر "الله والرحمن والرحيم" بكيفية لم أكن أعرفها من قبل ولا سمعتها. وكانت حلاوة عباراته لا تزال ماثلة في مخيّلتي. فشعرت باضطراري أن أرجعه إلى خاله وأن أوصيه بتلك الوديعة التي عهد بها إليّ، وأن أخبره بأني أشعر إني لست مستحقًا أن أعلّم مثل هذا الطفل الفذ. ووجدت خاله لوحده في مكتبه، فقلت له: ''إني أعيده إليك وأعهد به إلى يقظتك وحمايتك ولا يمكن معاملته كطفل عادي لأني أشاهد فيه قوة عجيبة مما لا تظهر إلا من صاحب الزمان وحده، فالواجب عليك أن تحيطه بكل عنايتك ومحبتك، فاحفظه في منزلك لأنه الحق أقول لك لا يحتاج إلى معلمين مثلي.'' ولكن الحاج ميرزا سيد علي وبّخ حضرة الباب بشدة قائلا: 'هل نسيت تعليماتي؟ ألم أنصحك أن تتبع مثال أقرانك وأن تلتزم جانب السكون وتستمع إلى كل كلمة يقولها لك معلمك؟' وبعد أن تلقى وعد حضرة الباب بالتقيد بتعليماته، أمره بالعودة إلى مدرسته. ولكن روح ذلك الطفل لم تكن لتكبح بإرشادات خاله الصارمة. ولم

يكن لأي نظام متشدد أن يمنع إفاضة ما لديه من العلم اللدني. بل كانت تظهر عليه يومًا بعد يوم علائم الحكمة الفائقة عن الحد والخارجة عن حدود البشر التي أعجز عن وصفها. وأخيرًا اضطر خاله إلى سحبه من مدرسة الشيخ عابد وإشراكه معه في مهنته. وفي تلك المهنة أيضًا أظهر علامات من القوة والعظمة التي لا يصل قربها إلا القليل ولا يتجاوزها أحد."[2].

أما العالم الجليل والباحث المدقق السيد حسن باليوزي، فقد أورد عن حياة الباب في كتابه "الباب":

"السيد (أو ميرزا) علي محمد، المعروف في التاريخ بالباب، كان ابن السيد أو (مير) محمد رضا، أحد تجار الأقمشة في شيراز، (وأمه السيدة فاطمة بَكُم)، ولد بمدينة شيراز في الأول من محرم عام 1235هـ، حسب التقويم القمري المعمول به في العالم الإسلامي، الموافق 20 أكتوبر 1819. ينتسب من جهة والده ووالدته إلى الإمام حسين، الإمام الثالث، ومن ثم يعود نسبه مباشرة إلى النبي محمد... مات والده وهو طفل، فعادت كفالته إلى خاله 'الحاج ميرزا سيد علي'، الوحيد (بين أخواله) الذي آمن برسالة حضرة الباب أثناء حياة حضرته الأرضية، واستشهد في سبيله... كل ما يعرف عن طفولة السيد علي محمد يدل على أنه لم يكن طفلا عاديا. عندما أرسل إلى الكتّاب، فاجأ المعلم، 'الشيخ عابد'، بحكمته وذكائه، فأعاد الطفل إلى خاله قائلا له، ليس لدي ما أعلمه لهذا الطفل الفذّ: إنه حقا لا يحتاج إلى معلمين مثلي. كان خاله قد لاحظ صفاته الرائعة، ويروى أنه قال له في هذه المناسبة بصرامة: أنسيت ما قلت لك؟ ألم أنصحك بأن تقتدي بأترابك

---

[2] ـ مطالع الأنوار . ص: 64-66

وتلتزم بالسكوت وتستمع بانتباه إلى كل كلمة ينطقها معلمك؟. كان بعيدا على طبيعة هذا الفتى اللطيف أن يتجاهل رغبة خاله. فعاد إلى المكتب وسلك مسلك الأطفال الآخرين"[3].

وظل في كُتّاب الشيخ عابد إلى أن تقدم به العمر وبلغ إلى مرحلة مكنته من مزاولة التجارة مع أخواله.

***

[3] - مأخوذ من كتاب حضرة الباب. ص: 34/33. (انجليزي)

2. المهنة

شرع في ممارسة التجارة إلى جانب خاله الحاج ميرزا سيد علي*، قبل أن ينتقل إلى بوشهر حيث عمل تاجراً مع أكبر أخوال حضرته سنّاً. إلا أن التجارة لم تشغله عن التوجّه إلى الله، كما ورد في سيرة حياته:

"وكان حضرة الباب يصرف غالب أوقات التجارة في بوشهر. وكانت شدة الحرارة فيها صيفًا لا تمنعه من أن يقضي بضع ساعات في الصلاة كل يوم جمعة على سطح منزله. ومع إنه كان يتعرض لأشعة الشمس اللاهبة في الظهيرة، فإنه كان يتوجه بقلبه إلى المحبوب ويستمر في المناجاة معه دون إعارة أي أهمية لشدة القيظ ومتناسيًا العالم بأجمعه. وكان يقضي في الصلاة والعبادة كل الوقت من الفجر إلى طلوع الشمس ومن الظهر إلى ما بعد العصر، ويتوجه دائمًا إلى جهة طهران شمالا ويحّيي الشمس المشرقة بمحبة وفرح زائدين رمزًا وإشارة لطلوع كوكب الحق الذي سوف يشرق على العالم ..."[4]

وذات يوم من عام 1841 أغلق باب المتجر في ميناء بوشهر، كما تدل على ذلك أوراق الحسابات التي كان يمسكها وقت تسييره لمتجر خاله هناك، وقرر زيارة البقاع المقدسة في العراق** حيث قضى نحو 7 شهور، في النجف وكربلاء قبل أن يعود إلى شيراز في خريف نفس العام. وفي كربلاء زار الشيخ كاظم الرشتي الذي كان يستقبله بمنتهى الإجلال والخضوع، ومما حكاه الشيخ حسن الزنوزي*** أن الشيخ كاظم قال له:

---

* - الخال الذي استفسر حضرة بهاء الله عن حقيقة دعوة ابن أخته (الباب) فأنزل له في العراق كتاب الإيقان تكريما له، وتنويرا للبشر لفهم معاني ما ترمز إليه الأيات الواردة في الكتب السماوية.

[4] - مطالع الأنوار. ص. 69-70.

** - حيث ضريح الإمام علي في النجف؛ والإمام حسين في كربلاء؛ وقبرا موسى الكاظم ومحمد التقي سابع وتاسع إمام في الكاظمين؛ ومدفنا علي النقي وحسن العسكري الإمام العاشر والحادي عشر في سامراء.

*** - حسن الزنوزي: أحد تلاميذ الشيخ كاظم الرشتي، من الذين استنسخوا مكاتيب الباب وتولوا الوساطة بين البابيين الزائرين لماه كو، عندما كان الباب مسجونا بها. آمن بمن يظهره الله قبل أن يعلن عن رسالته.

"'لقد حضر شخص جليل القدر وواجب علينا زيارته نحن الاثنين.' وكان الفجر قد انبثق ووجدت نفسي أسير معه في شوارع كربلاء. وسرعان ما وصلنا إلى منزل كان يقف على بابه شاب كأنه ينتظر مقابلتنا. وكان يلبس عمامة خضراء وظهرت على محياه علامات الخشوع واللطف مما لا أقدر أن أصفه. وتقدم نحونا بهدوء ومد يديه نحو السيد كاظم وعانقه بكل محبة، وكان وده ولطفه في معانقة السيد لا يقلان عن احترام السيد له احترامًا عميقًا، وقد قابل أشواق واحترام الشاب المتكررة بالتزام السكوت وإحناء الرأس. وسرعان ما أخذنا إلى غرفة في طابق علوي مزينة بالزهور ومعطرة بأطيب عبير وأمرنا بالجلوس، وكان السرور قد شملنا بدرجة أننا لم نكن نشعر بالمقاعد التي جلسنا عليها. وشاهدنا كوبًا من فضة موضوعًا في وسط الغرفة، وسرعان ما ملأه مضيفنا الشاب بعد جلوسنا مباشرة وناوله للسيد كاظم قائلا: "**وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا**."فأمسك السيد كاظم بالكأس من يده وانتهله وامتلأ هيكله بسرور فائق لم يتمكن من إخفائه. وأنا أيضًا أعطاني كوبًا من ذلك المشروب لكنه لم يخاطبني بأي كلمة. واقتصر الحديث في تلك المناسبة الخالدة على الآية القرآنية السابقة. ثم بعد هنيهة قام المضيف وودعنا عند عتبة باب المنزل. ولفرط عجبي انعقد لساني ولم أقدر أن أعبر عن شدة إكرامه وترحيبه وجلال هيكله وجمال ذلك الوجه ولذة ذلك المشروب. وكم كانت دهشتي إذ رأيت معلمي قد نهل ذلك المشروب المبارك دون أدنى تردد من الكأس الفضي، مع أن استعمال هذا المعدن محرم على المؤمنين حسب قواعد الإسلام ..."[5]

---

5 - مطالع الأنوار. ص. 23-26.

ظل حضرة الباب يتردد من حين إلى آخر على مجلس الشيخ كاظم، إلى أن قرر العودة إلى شيراز حيث بدأ حياة جديدة.

***

3. الزواج

قلقت السيدة فاطمة بَكُمْ على ولدها الوحيد، شأن كل أم، عندما طال أمد مكوثه في الأماكن المقدسة في العراق، فاستعانت بأخيها الحاج السيد جواد الكربلائي ليقنعه بالعودة إلى شيراز، فكان لها ذلك. وبعد عودته ومكْث قصير في جوار والدته، عبّر من جديد عن رغبته في زيارة العراق، فاستعانت والدته مرة أخرى، لشدة حرصها على سلامة ولدها، بأخيها المذكور كي يقنعه بالزواج الذي قد يرغمه على الاستقرار في شيراز والبقاء إلى جوارها، فأسفرت جهودهما عن زواجه بقريبته في الأسرة والجوار، الآنسة خديجة بَكُمْ عام 1842.

وتم الزواج بالطريقة التي رواها الباحث حسن بليوزي:

"... *رأت خديجة بكم السيدة فاطمة الزهراء – كريمة الرسول الأكرم – في المنام، وقد جاءت تطلب يدها للزواج من الإمام حسين. فلما علمت أمها بمنامها العجيب هذا فرحت واستبشرت بالحظ السعيد الذي ينتظر ابنتها. وتُعقّب خديجة بكم بأنه: في نفس هذا اليوم جاءت والدة السيد علي محمد بصحبة جدته لزيارة أمي وقد جرت العادة على أن نهرع جميعا لاستقبال الجدة بكل وقار ونقبّل كتفيها ثم نقف عند عتبة غرفة الاستقبال وننتظر حتى تدخل وتأذن لنا بالدخول والجلوس بعد أن تجلس إلى جانبيها والدة السيد علي محمد ووالدتي. أما نحن فنلتزم الصمت بمحضرها ولا نتحدث حتى توجّه إلينا الحديث.*

وتمضي خديجة بكم في استعراض ذكرياتها عن ذاك اليوم المشهود من أيام حياتها: بعدما جلسن قدمت إليهن شراب الورد وغادرت الغرفة... ومرت لحظات نهضت بعدها الضيفتان وهمتا بالانصراف. ولشدة دهشتي، تقدمت والدة السيد علي محمد مني وقبلتني في جبيني قبل مغادرتها. وما أن لاحظت أمي حيرتي ودهشتي حتى سارعت

تطمئنني هامسة: هذه القبلة هي بمثابة طلب يدك للزواج من ابنها. وهكذا تحققت رؤيا الليلة الماضية وأضحت الآن حقيقة. وما أن تيقنت خديجة بكم من تحقق رؤياها بهذه السرعة حتى غمرها شعور هادئ عجيب بالفرح والانبساط يعززه إعجابها بسمو أخلاق السيد علي محمد ابن بنت عمها، الشاب الوسيم، وتميزه على كافة أقرانه لما يتمتع به من احترام أفراد العائلة وتوقيرهم الفائق لحسن سيرته وطهارة ذيله ومهابة مظهره، الذي كان حديث الجميع، وتضيف خديجة بكم: منذ ذلك اليوم استحوذ عليّ إحساس غريب بأن أبواب الرحمة الإلهية قد فتحت على مصراعيها أمام وجهي وشعرت بفخر لا حد له باقتراني الوشيك..." [6]

وبعد سنة من زواجهما رزقا بولدهما أحمد الذي لم يعمر طويلا. إذ مات قبل إعلان دعوته بسنة. جاء ذكره وذكر أمه، زوجة حضرة الباب، في قيوم الأسماء، أول التنزيل في تفسير سورة يوسف، يناجي ربه:

" إلهي إلهي لو أعطيت لإبراهيمك ألف إسماعيل لفديتهم فرادى وجمعا في سبيل محبتك فيا محبوبي ومرغوب قلبي إن فداء أحمد الذي قدّمه عبدك علي محمد فداء على مذبح محبتك لن يكفي لإطفاء اشتعال شوقه المتأجج في قلبه حتى يفدي قلبه تحت قدمك ويقع جسده ضحية لأقسى أنواع الظلم في سبيلك وحتى يكون صدره هدفا لآلاف السهام في مرضاتك وبذلك يسكن اضطراب روحه. فيا إلهي ومرادي الوحيد فاجعل فداء ابني ووحيدي مقبولا عندك

---

[6] - خديجة بكم حرم حضرة الباب. ترجمة شوقي رياض روحاني. ص. 16/15

ومقدمة لفداء نفسي وكينونتي في سبيل مرضاتك وامنحني فضل سفك دمي وفداء حياتي في سبيلك"[7]

كانت خديجة بكم من السبّاقين إلى الإيمان بحضرة الباب قبل الإعلان عن دعوته لأول المؤمنين. كما تروي بنفسها قصة إيمانها:

"... بأن حضرته عاد إلى المنزل أصيل ذات يوم مبكرا على غير عادة وأخبر بأن أمرا هاما ينتظره وطلب الإسراع بتهيئة وجبة العشاء، فأعدتها 'فضة' على عجل في حجرة والدة السيد علي محمد حيث تناولتها الأسرة، وانسحب حضرته على الأثر إلى خلوته ليلا.

... بعد أن آوى أهل الدار جميعا إلى فراشهم وساد الصمت والهدوء المنزل ما يقرب من ساعة، إذ بحضرته ينهض ويغادر الغرفة دون أن أعير ذلك أهمية. ولما طال انتظاري بدأ القلق يساورني، فخرجت أبحث عنه في كل مكان دون أن أعثر له على أثر، وظننت أنه ربما غادر الدار للعمل الهام الذي أخبرنا به، ولكني ارتعبت عندما لاحظت المرتاج الداخلي لباب الدار موصدا كالعادة، فهرعت إلى الجهة الغربية للدار وتطلعت إلى غرفته في الطابق العلوي، وشد نظري ضوؤها الساطع، فتساءلت عما قد ألجأه — على غير عادته — في هذا الوقت من الليل إلى هذه الغرفة التي لا يأوي إليها إلا تكريما لضيف. ولما لم ينبئنا سلفا كعادته عن مقدم زائر في هذه الليلة، استبدت بي الهواجس وأخذت أصعد على أطراف أصابعي السلم المؤدي إلى الغرفة الشمالية، التي أخذ نورها يتضاعف في ناظري، وعندما بلغت عتبتها رأيته واقفا ويداه مرفوعتان في تبتل وقنوت، مبتهلا مستغرقا في الترنم بالدعاء بصوت ولحن مليح رخيم، والدموع تنساب بغزارة على خديه وتبلل صفحة وجهه الوضاء الذي انبعث عنه نور عجيب بينما أحاطت طلعته البهية

[7] - مطالع الأنوار، ص. 68.

هالة من البهاء والجلال. فأخذتني الخشية والرهبة وجمدت في مكاني عاجزة عن التقدم أو التراجع، وارتعدت فرائصي وفقدت التحكم في قواي وكدت أصرخ لولا أن تداركني حضرته وأشار في رفق بيديه المباركتين إلي بالانصراف. تلك الحركة العطوفة ليديه ردّت إلي بعض شجاعتي وتمكنت بكثير من الجهد أن أعود أدراجي وألحق بحجرتي وفراشي. وقضيت ليلتي مسهدة وأنا أنتفض اضطرابا وحيرة. وعندما غالبني النعاس أخذ هذا المشهد العجيب الرهيب يطارد خيالي ويطرد الكرى عن جفوني. وفي لحظات الوعي المتناوبة كنت أتساءل عما سبب له هذا الأسى العميق الذي استدرّ منه الدموع واستوجب استغراقه في التضرع والابتهال إلى هذا الحد...

عند الشروق حملت فضة السماور وطاقم الشاي إلى حجرة حماتي، وتوجه حضرته كالعادة إليها لتناول الشاي، وتبعته وأنا مبهورة مأخوذة، وما أن وقع بصري على هيكله الجليل حتى عاودني مشهد الليلة الفائتة وتجسم أمامي كاملا، فشحبت وهزت الرجفة كل كياني. في تلك اللحظة غادرت والدته الحجرة فيما كان حضرته يتناول الشاي بكل هدوء، فرفع رأسه وتطلع إلي بنظرة ملؤها العطف والحنان ردت إلي هدوئي وسكينتي ثم دعاني للجلوس وناولني ما تبقى من شاي في كأسه، فاحتسيته. عندئذ سألني عما دهاني، فصارحته بشيء من شجاعة بأن التغيير الكلي الذي ألم به هو علة حيرتي ومصدر قلقي واضطرابي وهمست: إنك لم تعد ذلك الشخص الذي عرفته منذ طفولتي، ومع أننا نشأنا معا ومضى عامان على زواجنا ونحن نعيش معا في بيت واحد، إلا إنني أراك وقد تبدلت تماما وصرت فجأة شخصا آخر. هذا هو سبب اضطرابي وعلة حيرتي. فابتسم وأجاب بأنه كان يتمنى أن لا أراه وأشاهده في تلك الصورة والحالة التي رأيت. غير أن

الله قدّر غير ذلك. ثم عقّب: ولكن هكذا شاءت الإرادة والتقدير الإلهي، أن تشاهديني بالكيفية التي فعلت في الليلة الماضية حتى لا يراودك أدنى شك من بعد، وتوقني كل اليقين بأني أنا ذاك المظهر الإلهي والموعود المنتظر منذ ألف سنة. وهذا النور الذي شاهدت وهرك سطوعه كان ينبعث من كياني وكينونتي. بمجرد أن نطق بهذه العبارة صدقت وآمنت فورا ووجدت نفسي ساجدة أمامه وقد اطمأن قلبي وهدأ. منذ تلك اللحظة وهبت حياتي وأوقفتها لخدمته بكل تفانٍ وخلوص ونسيت نفسي ووجودي وصرت محوا صرفا تلقاءه"[8]

وبذلك سبقت السيدة خديجة بكم بنات جنسها في الإيمان برسالة زوجها حضرة الباب، كما آمنت السيدة خديجة بنت خويلد قبل غيرها من بنات جنسها برسالة سيدنا محمد (ص)

*****

[8] - خديجة بكم، حرم حضرة الباب. من ص 22 إلى 28.

II. الكشف عن الهوية

1. إعلان الدعوة

لم يغادر حضرة الباب شيراز بعد زواجه ووفاة ولده أحمد إلى أن حان ميقات الكشف عن هويته الحقيقية عام 1844 ميلادية، لمّا:

" بلغ خمساً وعشرين سنة من عمره وآل التاريخ الهجري إلى مائتين وستين بعد الألف ظهر من حركاته وأطواره (وهو بشيراز) آثار دلت على أن له شأنا آخر وأن في سره انجذابا غير معهود، ثم ابتدأ الإعراب والبيان مدعيا أنه هو الباب، يقصد بتلك الكلمة أنه واسطة فيوضات من شخص عظيم لا يزال خلف حجاب العزة حائزا لكمالات لا عداد لها ولا إحصاء وانه متحرك بإرادته ومشيئته ومعتصم بحبل ولائه ومحبته... وحث العباد على ترصد طلوع شمس ذلك الشخص ..."[9]

شأنه في التبشير بالشخص الموعود شأن يحيى بن زكريا الذي كان يطهّر بني قومه بالماء في نهر الأردن، ويبشر في نفس الوقت بقرب ظهور السيد المسيح، ويفصح لسامعيه عن هذا المعنى، قائلا :

[11]أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلَكِنِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ. [12]الَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ، وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ، وَيَجْمَعُ قَمْحَهُ إِلَى الْمَخْزَنِ، وَأَمَّا التِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لاَ تُطْفَأُ."[10]

ومن الصدف السابقة التقدير، والوسائل المهيأة لتحقيق إرادة الله الخبير، أنه في الوقت الذي تجددت الروح في الدين الإلهي بإعلان حضرة الباب دعوته في الشرق المبشرة بافتتاح عصر جديد مجيد في 24 مايو/أيار

---

9 - مقالة سائح. ص. 3

10 - الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، الأصحاح الثالث.

1844، أعلن في الغرب في نفس اليوم من السنة، صاحبُ الثورة في مجال الاتصالات الذي له الفضل في اختراع التلغراف، 'ساموبل مورس' المخترع الأمريكي، عن إنشاء أول ارتباط تلغرافي يربط بين واشنطن العاصمة و'بالتيمور' في ولاية 'ماريلاند'. كتب في تلغرافه الشهير هذه العبارة الملهَمة: "ما صنع الله " What hath God wrought. معلنا بذلك عن دخول البشرية في مرحلة تاريخية جديدة من الاتصال المادي الواقعي عبر وسائل الاتصال التي عرفت تقدما مضطردا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والعشرين بفضل التطور التقني الحديث الذي مازال يواصل تقدمه الباهر، وجعل التواصل السريع بين الأفراد والهيئات في مختلف المجتمعات وفي كل الجهات، واقعا يتعذر التحكم في إيقافه، وصار أداة في المتناول تمكن الجميع من اكتساب المعرفة المنتشرة والاطلاع على أهم ما يجري في العالم من أحداث، بصرف النظر عن المسافات الفاصلة، بل صار أداة تمكن الشعوب الظامئة إلى العدل من التآلف وتقف سدا منيعا في مواجهة الظلم والاستغلال، وتيارا قويا يسعى نحو الحرية والكرامة والسلام في مطلع القرن الحادي والعشرين.

وبفضل روح التجديد الديني من جهة، والتقدم في المجال العلمي ووسائل الاتصال السريع بين الأفراد والأمم من جهة أخرى، أصبح العالم يتوفر على جسور يتلاقى فيها العلم والدين، يكمل أحدهما الآخر يقرّبان الثقافات المتباينة والمسافات المتباعدة، يحفزان النفوس الواعية إلى نبذ التعصب وأسباب الاختلاف والتنافر وزرع بذور التقارب والتآلف لبناء مجتمعات متعاونة في هذا العصر الذي يقول حضرة ولي أمر الله عن ميلاده في نفس اليوم الذي أعلن فيه حضرة الباب دعوته:

" تبارك هذا القرن الأبدع البديع الذي في أول ليلة منه شق حجاب الستر وعبقت نفحة الله واهتزت أرض الوجود وطوي بساط الأولين وظهرت الألف القائمة وقامت القيامة وفتح باب الأعظم على وجه الأمم وسطع عن أفق الفارس نور الله العلي الأعلى ورفع النقاب عن وجه الغلام الأبطحي العلوي وبرزت وتجلت النقطة الأولية التي تدور في حولها أرواح المرسلين "[11]

وما أن حل الميقات حتى أقدم على الإيمان بحضرة الباب المؤمنون الأولون، الذين منهم من اهتدى إليه بمحض الجد في البحث والدعاء، ومنهم من انجذب إلى حضرته بقراءة آثاره، ومنهم من شاهده في الرؤيا والبعض الآخر أثناء صلواته.

***

[11] - من التوقيعات المباركة، توقيع 101 بديع. ص. 8.

2. حروف 'حي'*، شهود فجر يوم الله.

علم الذين أوتوا بصائر من الله بقرب ظهور حضرة الباب، أمثال الشيخين أحمد الإحسائي وكاظم الرشتي*، فنشروا ذلك بين مريديهم، كما تفرس فيه البعض علامات صاحب الزمان الموعود، وهو طفل صغير مثل معلمه الشيخ عابد عندما صرح لخاله بأنه: " *لا يمكن معاملته كطفل عادي لأني أشاهد فيه قوة عجيبة مما لا تظهر إلا من صاحب الزمان*". أما الشيخ كاظم الرشتي فقد عامله بغاية الاحترام والامتثال عند لقائه في كربلاء، ووصى تلاميذه، قبيل وفاته، بالبحث عن الموعود المنتظر الذي طالما ذكره بالتعظيم والتمجيد، وأشار إلى أوان ظهوره. ومنهم من آمن به قبل الإعلان عن دعوته، مثل زوجته خديجة بكم.

وعملًا بنصيحة الشيخ كاظم، انتشر عدد من تلاميذه في البلاد بحثا عن الموعود، فألهمهم الدعاء والصلاة والصوم التعرف عليه والاهتداء إليه. وكان أول من فاز منهم بقصب السبق إلى معرفته الملا حسين البشروئي، حين التقى بحضرة الباب وكشف له عن حقيقة دعوته، وهو ضيف عليه في منزله في شيراز، ثم أقبل عليه سبعة عشر آخرون، شكلوا أول المؤمنين الذين كان عليهم أن يرفعوا لواء نبإ إعلان ظهوره. لقبهم حضرته بحروف 'حي' (18) كناية عن الحروف المنبثقة من النقطة الأولى التي كانت ترمز إلى حضرته. وهو نظام يشبه النظام الرسولي الذي أقامه السيد المسيح باختياره (12) من تلاميذه وأسند إليهم مهمة الإعلان عن رسالته، وأنعم بالأولية على أحدهم الذي منحه لقب "بطرس". كذلك سمى حضرة الباب تلاميذه الثمانية عشر بالحروف، ومنح الأولية لـــ"القدوس" آخر من انضم إليهم، واصطفاه

* - حروف حي لها قيمة عددية في حساب الجُمّل: الحاء تساوي 8 والياء 10 والمجموع 18.

عليهم جميعا. وكان نصيبهم الفداء بحياتهم وفاء لإيمانهم بحضرة الباب إلا (6) منهم**. ومن هؤلاء الحروف:

أ. الملا حسين البشروئي

الذي ما إن عاد من رحلته الموفقة في إيران بتوجيه من معلمه الشيخ كاظم الرشتي، حتى عمل بنصيحته التي أشار فيها على مريديه أن ينتشروا في البلاد بحثا عن الموعود. فشمّر عن ساعد السعي وخرج من كربلاء راجياً أن يحظى بلقاء الموعود. فتكللت جهوده بالاهتداء إلى الإيمان بحضرة الباب، كما وردت قصته في تاريخ مطالع الأنوار:

أما الملّا حسين، فبعد أن قام بواجبه في حث زملائه التلاميذ وإيقاظهم، سافر من كربلاء إلى النجف ومعه أخوه محمد حسن وابن خاله... واصل سيره مباشرة إلى بوشهر على الخليج الفارسي. وهناك ابتدأ بحثه المقدس عن محبوب قلبه، وفيها استنشق لأول مرة طيب الأنفاس التي عبقت ممن كان يقطن تلك المدينة مشتغلاً فيها كتاجر بسيط، وميّز روائح القدس التي ملأت أرجاء تلك المدينة من أثر مناجاة المحبوب. ولكنه لم يقدر على المكوث طويلاً في بوشهر، وأحس أن شيئًا يجذبه بقوة إلى الشمال فاتجه إلى شيراز، وإذ وصل إلى بوابة المدينة، طلب من أخيه وابن خاله أن يذهبا مباشرة إلى مسجد إيلخاني وينتظراه هناك إلى أن يلحقهما، وعبر عن أمله، بمشيئة الله، بالانضمام إليها في أداء صلاة المغرب.

وفي ذلك اليوم نفسه، بينما كان يتمشى قبل الغروب ببضع ساعات خارج بوابة المدينة، إذ أبصر فجأة شابًا وضّاح الجبين لابسًا عمامة

**- كتاب الباب، The Bab، ص. 27.

خضراء، قد أقبل عليه وحيّاه بابتسامة مرحبًا بوصوله بالسلامة وعانق الملاّ حسين بمحبة وإخلاص كأنه صديق قديم. وكان الملاّ قد ظنه لأول وهلة تلميذًا للسيد كاظم وأنه حضر للترحيب به بعد أن سمع باقترابه من شيراز.

ومما قاله الملا حسين عن ذلك اللقاء المتميز:

... إن الشاب الذي قابلني خارج بوابة شيراز أدهشني بتعابير محبته ولطفه. ودعاني دعوة حارة لزيارة منزله وهناك أستريح قليلاً من وعثاء السفر. فرجوته أن يعفيني من ذلك لأن رفيقي قد عملا ترتيبًا لإقامتي في تلك المدينة وأنهما بانتظار رجوعي، فكان رده: 'اتركهما لحراسة الله فهو لاشك حافظهما.' ولما نطق بتلك الكلمات أمرني أن أتبعه. وكنت قد تأثرت جدًا بالطريقة التي حادثني بها ذلك الشاب الغريب، والتي وإن كانت لطيفة إلا أنها كانت أيضًا جذابة. وبينما سرت خلفه ترسخ انطباعي الأول عن تلك المقابلة المفاجئة نظرًا لمشيته وطلاوة صوته ووقار هيئته. وسرعان ما وصلنا عند بوابة منزل متواضع في مظهره فطرق على الباب وفتح بعد برهة وجيزة من قبل خادم حبشي، ولما اجتاز العتبة، أشار عليّ باتباعه قائلاً: **'ادخلوها بسلام آمنين.'**

وكانت تحيته بقوة وجلال نفذا إلى أعماق قلبي واستبشرت خيرا من الفأل الحسن الصادر من هذه الكلمات التي خاطبني بها، وأنا واقف

على عتبة باب أول منزل دخلته في شيراز، تلك المدينة التي سبق أن طفح السرور على قلبي من تأثير جوّها سرورا لا مزيد عليه وقلت في نفسي: 'أليس من الممكن أن تقربني زيارتي إلى هذا المنزل من ذلك الذي أبحث عنه؟ أليس ممكنًا أن تقصر عليّ مدة حنيني الشديد وبحثي الشاق؟' ولما دخلت المنزل وتبعت مضيفي إلى غرفته شعرت بسرور طغى على كياني. وبمجرد أن جلسنا، أمر بإبريق من الماء، وأمرني أن أغسل يدَي وقدمَي من وعثاء السفر. فاستأذنت منه أن أترك محضره لأتوضأ في الغرفة المجاورة، ولكنه رفض طلبي وشرع يصب الماء على يدَي. ثم ناولني مشروبًا لطيفًا وطلب السماور وجهّز الشاي بنفسه وناولني منه. وبعد أن غمرني بلطفه، نهضت لأغادر وقلت: 'إن صلاة المغرب قد اقتربت وقد وعدت أصحابي أن ألتحق بهم في تلك الساعة في مسجد إيلخاني.' وبكل احترام وهدوء أجاب: 'لابد وإنك تكون قد علّقت عودتك على مشية الله ويظهر أنه ما أراد ذلك. فلا تخف من خلف الوعد.' وأسكتني وقاره وثقته، وقمت لأعيد وضوئي وجهزت نفسي للصلاة. وأخذ هو أيضًا يصلي بجانبي. وأثناء الصلاة ارتاحت نفسي من تحيرها من غرابة هذه المقابلة ومن مشاق بحثي، وشرعت أثناء الصلاة أقول: 'يا إلهي لم آلُ جهدًا في البحث، وللآن لم أوفق في الوصول إلى رسولك الموعود، وإن وعدك الحق وإنك لن تخلف الميعاد. وكانت تلك الليلة الخالدة عشية اليوم الخامس من جمادى الأولى سنة 1260هـ، وكان مضيفي الشاب ابتدأ يحادثني بعد المغرب بنحو ساعة، وسألني إذ ذاك قائلا:

- من ذا الذي تعتبره خلَفاً للسيد كاظم رئيسا لكم؟.

- فأجبته عندما حانت منية معلمنا نصحنا بشدة أن نترك أوطاننا ونتفرق في كل مكان طلبا للمحبوب الموعود ولذلك سافرت إلى إيران وقمت لتنفيذ إرادته وللآن لا أزال مشتغلا بالبحث. فسألني:
- هل أعطاكم معلمكم أوصافا مفصلة وامتيازات في الموعود؟
- فقلت: نعم، فإنه من السلالة الطاهرة والعترة النبوية ومن ذرية فاطمة وأما سنه فأكثر من العشرين وأقل من الثلاثين، وعنده علم لدني وهو متوسط القامة ويمتنع عن شرب الدخان وخال من العيوب والعاهات الجسمانية. فسكت هنيهة ثم قال بصوت جهوري:
- انظر فسوف ترى هذه العلامات في شخصي، ثم عدّد كل واحدة من العلامات على حدة وأظهر أنها جميعها تنطبق على شخصه. فحصلت عندي دهشة كبيرة.

وقلت له في أدب:

- 'إن الذي ننتظره هو شخص قدسي ليس فوق قداسته قداسة، ويظهر من الأمر ما له قوة فائقة. فكثيرة ومتنوعة هي الشروط التي يجب أن يحققها من يدعي أنها متوفرة فيه. فكم أشار السيد إلى سعة علم الموعود! وكم كان يقول: "إن علومي بالنسبة لعلمه كقطرة من بحر مما وهبه الله. وإن جميع ما حصلته لم يكن إلا كذرة من التراب في مقابلة اتساع معارفه، بل الفرق بينهما شاسع." وما كدت أتفوه بهذه الكلمات حتى شعرت بالخوف والندم بدرجة لم أتمكن من إخفائهما أو تفسيرهما. ووبخت نفسي بقسوة وعزمت في تلك اللحظة على تغيير إسلوبي وتخفيف حدتي. وعاهدت الله بأن لو عاد مضيفي للموضوع فإني أقول له بكل خضوع: 'إذا أردت أن تؤسس دعوتك فإنك تخلصني ولا شك من عبء الانتظار والترقب الذي أثقل روحي وأكون مدينًا لك لهذا الخلاص.' وكنت في ابتداء طلبي وبحثي قد جعلت أمام

عينَي معيارين أعرف بهما صحة دعوى أي شخص يدعي أنه القائم الموعود. أولهما رسالة ألفتها بنفسي تختص بالتعاليم الغامضة الباطنة التي روج لها الشيخ أحمد والسيد كاظم. وكل من يبدو لي قادرًا على حل معضلات هذه المسائل المذكورة في الرسالة أسلمه مطلبي الثاني، وأطلب منه أن يملي عليّ، دون تردد أو تفكر، تفسيرًا لسورة يوسف بأسلوب ولغة مغايرين للأصول المعروفة في زماننا. وكنت قد طلبت من السيد كاظم تفسيرًا لهذه السورة نفسها، فامتنع قائلا: 'حقًا إن هذا ليس في مقدوري، فإن الشخص العظيم الذي يأتي بعدي سيكتب تفسيرًا لها دون أن يطلبه أحد، وسيكون هذا التفسير أحد أكبر الأدلة على صدقه وأحد أوضح الشواهد على سمو مقامه.'

حجرة المنزل الذي أعلن فيه حضرة الباب عن رسالته للملا حسين بشروئي.

وبينما كانت هذه الأمور تدور في خلدي، قال مضيفي الجليل مرة أخرى:

- 'أنعم النظر ألا يمكن أن يكون الشخص الذي يعنيه السيد كاظم إنما هو أنا؟' فاضطررت إذ ذاك أن أقدم له نسخة من الرسالة التي كانت معي وسألته: 'هل لك أن تقرأ هذا الكتاب وتتصفحه بعين التسامح؟ وأتوسل أن تصفح عما تجده فيه من ضعفي وتقصيري؟' فأجاب طلبي بلباقة وفتح الكتاب ونظر في بعض صفحاته ثم أغلقه وابتدأ يخاطبني. وفي ظرف بضع دقائق كشف لي، بحيويته ولطفه الأصيلين، عن كافة الأسرار التي فيه وحلّ سائر معضلاته. ولما أتم ما أردته في برهة قصيرة، وبما حاز على رضائي التام، فسّر لي أيضًا حقائق معينة لم توجد في

أقوال الأئمة ولا في كتابات الشيخ أحمد ولا السيد كاظم، وهذه الحقائق التي لم أسمعها من قبل بدت مفعمة بطلاوة مبهجة وقوة فائقة. ثم قال لي فيما بعد 'لو لم تكن ضيفي، لكان موقفك خطيرًا، ولكن الرحمة الإلهية شملتك فإن لله أن يمتحن عبيده وليس للعبيد أن يمتحنوه بما عندهم من الموازين المختلة. ولو كنت فرضًا لم أحل لك معضلاتك، فهل تعتبر الحقيقة المشرقة في باطني عاجزة، أو تتهم علمي بالنقص؟ حاشا لله، بل ينبغي في هذا اليوم لملل الأرض في الشرق والغرب أن يسرعوا إلى هذه العتبة وعندها ينشدون فضل الرحمن، وكل من يتردد في ذلك فهو في خسران مبين. أفلا يشهد أهل الأرض أن الغرض الأصلي من خلقهم إنما هو معرفة الله وعبادته؟ إذًا ينبغي لهم أن يقوموا بأنفسهم ويبذلوا الجهد كما قمت أنت ويطلبوا بالاستقامة والثبات محبوبهم الموعود.' ثم استأنف قائلاً 'والآن حان وقت إنزال التفسير على سورة يوسف.' وأخذ قلمه وبسرعة لا تكاد تصدق، أنزل سورة الملك بكاملها، وهي أول باب من تفسيره على سورة يوسف، وكانت قوة تأثير الأسلوب الذي كتب به قد زادتها لطافة صوته وهو يتلوها. ولم يقطع ولو للحظة واحدة سيل الآيات التي نزلت من قلمه. ولم يتردد ولو مرة حتى تمت سورة الملك. وكنت جالسًا استمع مأسورًا من سحر صوته وقوة وحيه. وأخيرًا قمت من مقعدي وأنا أقدم رجلا وأؤخر أخرى، واستأذنت منه بالانصراف، فأمرني بابتسامة بالجلوس: 'إذا انصرفت على هذه الحال، فإن كل من يراك يقول أن هذا الشاب المسكين قد فقد رشده ... ثم قال لي:

- *'إن هذه الليلة وهذه الساعة سيحتفل بها في الأيام الآتية كأعظم الأعياد وأهمها. فاشكر الله الذي أوصلك إلى مرغوب قلبك وأشربك من رحيق كلامه المختوم طوبى للذين هم إليه واصلون'."*[12]

أطلق حضرة الباب على الملا حسين، بعد أن تبيّن للأخير أن مضيفه هو المقصود من بحثه، لقب "باب الباب"، والذي قال عنه حضرة بهاء الله في كتاب الإيقان:

"أصبح محلا لإشراق شمس الظهور، لولاه ما استوى الله على عرش رحمانيته. وما استقر على كرسي صمدانيته"[13]

وبذلك أصبح رائد وإمام المؤمنين، ومقتدى الشريف والوضيع منهم.

ومن جملة ما أوصاه به حضرة الباب أن يكتم سرّ ما اكتشفه عن رفيقيْه وعن كل إنسان آخر، وطمْأنه إلى أن آخرين سوف يهتدون إلى معرفته من تلقاء أنفسهم ببحثهم وسعيهم الشخصي. ومنهم:

*

ب. السيدة الطاهرة

إنها الوحيدة من بنات جنسها التي ألهمتها العناية الإلهية الإيمان بحضرة الباب دون أن تتصل به اتصالا مباشرا، فضمها إلى قائمة حروف 'الحي'، وكان لجناها شأن كبير في أحداث الرسالة البابية، واسمها:

فاطمة الباراقاني وكنيتها أم سلمة: (1817 - 1852 م) عالمة وشاعرة، لها ألقاب عديدة منها: زرين تاج ، قرة العين كما لقبها الشيخ كاظم الرشتي، وسميت الطاهرة في أحداث مؤتمر بدشت*، وهو لقبها المعروفة به في التاريخ. وقصة إيمانها أنه:

---

12 - مطالع الأنوار. ص 44-54.

13 - كتاب الإيقان. ص. 177/ 178.

* - بدشت: قرية تقع شمال وسط إيران، حيث كان أول مؤتمر للبابيين. حضره عدد من حروف الحي وحضرة بهاء الله. وفيه أعلن استقلال الدين البابي عن النظام القديم.

"عندما علمت بسفر زوج أختها المدعو ميرزا محمد علي من قزوين سلمته خطابا مختوما وطلبت منه أن يسلمه إلى ذلك الشخص الموعود الذي لا بد وأن يقابله أثناء مراحل رحلته وأفهمته أن يقول له نيابة عنها:

لمعات وجهك أشرقت وضياء طلعتك اجتلى
قال ألست بربكم قلنا بلى قلنا بلى

وقد قابل الملا محمد علي حضرة الباب وأقبل إلى دعوته وسلمه الخطاب وأوصل إليه الرسالة فأقرّها حضرة الباب ضمن حروف الحي"[14].

وصفها حضرة ولي أمر الله بالتالي:

" الورقة الزكية الطاهرة الطيبة المطهرة، التي قال عنها مركز ميثاق جمال الأبهى إنها آية عصرها في الكتابة وأفضل من تأتي بالحجج الدامغة وضمن حروف البيان واعتبرت رائدة النساء في دورة البيان والتي انتصرت بشكل محير للعقول في أرض بدشت، وبعد أن ضبطت وسجنت في مدينة طهران، فدت نفسها في سبيل المحبوب بين مخالب سوداء متعطشة للدماء..."[15]

لقد كانت من البصيرة والشجاعة والجرأة ما جعلها تعلن، بكل طمأنينة وثقة، استقلال الدين البابي، وأعلنت بالقول والفعل عن يقينها عندما تجرّأت ودخلت على الجمع بوجه سافر مؤكدة أن هذا اليوم هو يوم الله الذي نصت عليه الكتب السماوية، مما أذهل المؤمنين الذين جاءوا من مختلف جهات إيران محتشدين في ذلك المكان من إقليم خراسان، البالغ عددهم 81 نفرا. يحكي النبيل في تاريخه عن هذه الحادثة الصادمة:

---

14 - مطالع الأنوار. ص. 73

15 - من التوقيعات المباركة، توقيع 101بديع. ص. 30.

"... وإذ بالطاهرة حضرت فجأة مزينة دون حجاب أمام أعين الأصحاب المجتمعين. وأخذت الناس الدهشة ووقفوا كلهم حائرين أمام هذا المنظر المباغت غير المنتظَر. وكانوا يعتبرون أن رؤيتها غير محجبة من أكبر المحال، بل يعتقدون أن النظر إلى ظلها غير جائز لأنهم يعتبرونها تجسيد فاطمة الزهراء ورمزًا للعصمة والطهر في نظرهم.
فتقدمت الطاهرة بسكون وصمت ووقار تام نحو القدوس وجلست إلى يمينه. وكان سكونها التام يتناقض تمامًا مع الخوف الظاهر على وجوه ناظريها، فاضطربت أركانهم واستولى على أرواحهم الرعب والغضب والحيرة، وبدا أن هذا الظهور المفاجئ صدم حواسهم. وارتعش أحدهم المدعو عبد الخالق الإصفهاني بعنف وقطع حنجرته بيده وفرّ هاربًا من وجه الطاهرة مغطى بدمه وهو يصرخ بهيجان. وفعل قليل من أقرانه مثله وتركوا أصحابهم وتخلوا عن إيمانهم. وشوهد عدد منهم واقفين أمامها بلا حراك متحيرين من أمرهم. وفي هذه الأثناء بقي القدوس جالسًا في مكانه قابضًا على سيفه المسلول... إلا أن منظره المهدد لم يحركها، بل كان يعلو وجهها الوقار والثقة التي ظهرت بها عند ابتداء دخولها أمام حشد الأحباء. وأضاء وجهها الآن شعور الفرح والغبطة والنصر ونهضت عن مقعدها وخاطبت الباقين من هذا الجمع غير وجلة ولا مهتمة بما حصل في قلوب أصحابها على البداهة ودون سابق تفكير، وبلسان له شبه كبير بلغة القرآن ألقت خطابتها ببلاغة ليس لها مثيل وحماس شديد وختمتها بآيتين من القرآن الكريم: **إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر**... ثم قالت: إني أنا الكلمة التي ينطق بها القائم والتي يفرّ منها نقباء الأرض ونجباؤها..."[16]

---

16 - مطالع الأنوار. ص. 272/271.

بعد هذه الحادثة الذي شكلت ثورة على التقاليد الراسخة والأعراف المرعية، اشتكى للباب بعض أتباعه المحافظين من الطاهرة مدّعين عليها الخروج عن التقاليد القديمة فأجابهم بقوله:

"ماذا عساي أن أقول في من أسماها لسان العظمة والقوة بالطاهرة" [17].

أدى إقدام الطاهرة على إعلان استقلال الدين الجديد عن القديم بتلك الكيفية المباغتة إلى نوع من الفوضى والتشويش على المؤتمر، وشحن الجو بمشاعر جياشة متناقضة، فبينما أدان البعض هذه التغييرات الجوهرية ووصفوها بنوع من الإلحاد، ورفضوا إبطال ما اعتبروه تعاليم أساسية للإسلام، نهض من يدافع بحماسة مفرطة عن هذه الإصلاحات الجديدة.

كان المشهد رهيبا، قسم المؤتمرين إلى مستنكرين ومرحبين، مما يذكّر بحادثة إبطال القبلة في بداية الإسلام، واستبدال استقبال المسجد الأقصى المعهود بالتوجه إلى المسجد الحرام، معللا ذلك بتمحيص إيمان المنتسبين إلى الدين الجديد، بقوله الحكيم:

... وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه... [18]

انتهت حياة الطاهرة بالاستشهاد في سبيل عقيدتها التي روّجت لها ودافعت عنها وحملت الشدائد في سبيلها، وقدمت حياتها فداء لها، بعدما سُجنت عزيزة مبجلة في طهران انتظارا لمصيرها المحتوم، حيث:

"... تميزت إقامتها في طهران بشواهد المحبة القلبية والاعتبار الكبير من مشاهير النساء في العاصمة. فوصلت في تلك الأيام إلى ذروة العلا والشهرة. كان المنزل الذي حبست فيه يموج بالنسوة المعجبات بها اللائي كن يتوافدن بكثافة على بابها ويشتقن أن يحضرن في مجلسها

---

17 - مطالع الأنوار . ص.75.
18 - سورة البقرة. آية 143.

وينتفعن بعلمها. ومن بين تلك النسوة زوجة 'الكالانتر' التي امتازت بما أظهرته من الاحترام الفائق للطاهرة..."*

وعندما حان أوان استشهادها قالت لمضيفتها في الحبس، زوجة الكالانتر، التي أظهرت لها كامل التقدير والاحترام:

" أطلب منك أن تسمحي لنجلك أن يرافقني إلى مكان إعدامي وليؤكد على الحراس والجلاد الذين سوف أسلم لأيديهم أن لا يجردوني من هذه الثياب... وأرغب أيضًا أن يُطرح جسدي في بئر، وأن تُملأ بعد ذلك بالتراب والأحجار. وبعد مرور ثلاثة أيام على وفاتي ستأتي إليك امرأة تزورك فعليك أن تسلمي لها هذه الرزمة التي أسلمها لك الآن...

وعندما اقترب موعد مباشرة إعدامها قالت لنجل 'الكالانتر':

... يبدو أنهم يريدون خنقي، وقد أعددت منذ زمن منديلاً حريريًا ليستعمل لهذا الغرض، وأنا أعطيه لك وأريد أن تقنع هذا السكير الفاجر أن يستعمله في إنهاء حياتي "[19]

وهكذا انتهت حياة هذه السيدة التي سبقت بنات جنسها في الدفاع عن عقيدتها بما أوتيت من معرفة وبصيرة، والتي لم يسجل تاريخ إيران امرأة أعظم منها. إنها سيدة لا مثيل لها في تاريخ الشرق، مثّلت صوت الحرية للملايين من النساء، ونادت بحقوق المرأة، واضعة بذلك حجر الأساس لأشهر مبادئ البهائية في المساواة بين النساء والرجال في الحقوق والواجبات. وعندما حان أوان استشهادها:

'التفتت إلى سجّانيها ... وقالت في جرأة: تستطيعون قتلي بأسرع ما تريدون ولكنكم لا تستطيعون إيقاف تحرير المرأة"[20]

' - الكالانتر: محافظ المدينة

19 - مطالع الأنوار. ص.577-581 .

20 - القرن البديع. ص. 102.

ومنذئذ ورياح المساواة تعمل على تغيير وضعية المرأة من اعتبارها مجرد قارورة هشّة، ناقصة العقل والدين، محدودة القدرات، غير مؤهلة خارج جدران البيت لتحمّل المسؤوليات. وتنفخ فيها روح الارتقاء إلى مستوى تمكينها من الثقة بنفسها والإيمان بقدرتها على التأثير في المجتمع، والمطالبة بالتمتع بحقوقها والقيام بواجباتها إلى جانب الرجل، إلى أن صارت الأصوات اليوم ترتفع في مختلف الجهات تنادي بضرورة تمكين المرأة، على أساس أنها ضرورة مُلحّة وشرط جوهري لترسيخ الإنصاف والعدالة الاجتماعية وتحقيق الأمن والاستقرار في دول العالم، لدرجة بلغت في بعض الدول الإسلامية التي حاولت القضاء على دعوة حضرة الباب المبشر بحضرة بهاء الله، إلى مستوى تطالب بتجاوز الآيات الصريحة في القرآن – هن أم الكتاب – التي تنص على تقنين وضعية المرأة في الزمن الذي نزل فيه الوحي في يثرب والبطحاء.

ج. محمد علي البارفروشي (القدوس)

كان آخر من حضر من المؤمنين الأوّلين الباحثين عن الموعود إلى شيراز. أحلّه حضرة الباب المقام الأول في صف حروف الحي. وقد أُطلق عليه اسم القدوس في لقاء بدشت بعد ذلك بخمس سنوات.

وبحضوره تم عدد الحروف 18 الذي يعادل 'حي' في 'حساب الجمل' الذين ثبّت حضرة الباب أسماءهم وعيّنهم رسلاً وأمناء الدين الجديد، الناشرين لتعاليمه بين العباد. وذات ليلة أخبر الملا حسين، حسب ما يروي النبيل في تاريخه، أن حضرة الباب قال له الآتي:

" قد أثبتنا سبعة عشر حرفا وانضموا للواء دين الله ولم يبق إلا حرفٌ واحد على تمام العدد فعلى هؤلاء الحروف القيام بالدعوة لأمري وتأسيس ديني وسيأتي الحرف الأخير ليلة غد ليكمل العدد.

في اليوم التالي عند الغروب بينما كان حضرة الباب راجعا إلى منزله متبوعا بالملا حسين إذ ظهر شاب عليه غبار السفر واقترب من الملا حسين وعانقه وسأله إذا كان قد وصل إلى بغيته. فاجتهد الملا حسين في البداية أن يهدئ روعه ونصحه أن يستريح برهة، ووعد بإرشاده فيما بعد. فلم يقبل ذلك الشاب أن يلتفت إلى نصحه ووجّه نظره إلى حضرة الباب، وقال للملاّ حسين: 'لماذا تخبئه عني؟ فإني أعرفه من هيئته، وإني أشهد في سري أنه لا يقدر أحد خلافه في الشرق أو الغرب أن يدعي أنه الحق.' ...

تتلمذ القدوس مثل حروف الحي الآخرين على يد السيد كاظم الرشتي في كربلاء، ومثل زملائه الذين غادروا العراق بحثا عن المحبوب، قاده سعيه ودعاؤه وتأملاته إلى شيراز.

"... ولما وصل القدّوس إلى شيراز واعتنق الأمر الذي أعلنه حضرة الباب، كان له من العمر اثنان وعشرون عامًا. ومع صغر سنه أظهر شجاعة نادرة وإيمانًا تامًا لم يصل إليه أحد خلافه من أتباع مولاه. وكان قد مثّل في أدوار حياته واستشهاده المجيد صحة الحديث القائل: "من طلبني وجدني، ومن تقدم إلي شبرًا تقدمت إليه باعًا، ومن أحبني أحببته، ومن أحببته قتلته، ومن قتلته فعليّ ديته"[21]

وقد تقدم القدوس في طلب التقرب إلى الله وحبه في حياته الدنيا إلى أن شرب كأس الشهادة بتحريض من العلماء وإصرار أحدهم الذي قال بكل وقاحة:

"... قد حلفت أن لا أتناول طعاما ولا أنام حتى أتمكن من إنهاء حياة الحاج محمد علي بيدَي... وانفجر سعيد العلماء في نوبة من السخط

---

21 - مطالع الأنوار. ص. 62-64

واليأس. وألقى بعمامته على الأرض بغضب ونهض ليترك المجلس وهو يرعد قائلاً: 'إن هذا الرجل تمكّن أن يبرهن لكم أنه من سلالة الإمام الحسن، ولن يمض إلا وقت قليل حتى يثبت لكم أنه الناطق بلسان الله ومُظهر إرادته.' فتحرك الأمير وقرر ما يأتي: إني أغسل يدَي من كل مسئولية لإيصال الأذى بهذا الرجل، فأنتم أحرار بأن تفعلوا به ما شئتم، وأنتم تكونون مسئولين أمام الله عن ذلك يوم القيامة...

هذا الموقف المتخاذل من رجل السلطة يذكّر بموقف "بيلاطس"، الحاكم الروماني أثناء تقديم السيد المسيح للمحاكمة، الذي ترك الحبل على الغارب لعلماء اليهود والغوغاء يفعلون بالمتهم ما تمليه عليهم أهواؤهم المندفعة نحو الفتك بفريستهم.

"... وما كاد الأمير يحررهم من القيود التي وضعها عليهم حتى هجم علماء بارفروش وسكانها بأمر سعيد العلماء وأوقعوا على جسد ضحيتهم من أنواع التعذيب ما لا يقدر القلم على وصفه. وبشهادة حضرة بهاءالله، تحمّل هذا الشاب، الذي كان في مقتبل عمره، من الآلام والتعذيب ما لا يوصف، وتجرع الموت بكيفية لم يلاقها أحد في ساعة أجله حتى ولا المسيح في أشد حالات آلامه..." [22]

كانت هذه الأحداث المؤلمة تزيد في تباريح حضرة الباب وتملأ قلبه حزنا على ما يعانيه خيرة أتباعه وناصريه *عندما تصله* مآسيهم بما فيها أخبار مأساة القدوس، التي تروي أن:

... قد أسلمته شناعة أخرى من شناعات الأمير الجبان إلى سعيد العلماء الجهنمي الذي رخصت له نفسه المتعطشة، ومعونة الدهماء الذين ألهب مشاعرهم، أن يمزق أثواب ضحيته، ويكبله بالسلاسل والأغلال الغلاظ، ويطوف به طرقات بارفروش ويحرض نساءها على

---

[22] - مطالع الأنوار. ص 377-380

لعنه وسبه والبصق في وجهه، والهجوم عليه بالخناجر والفؤوس والتمثيل بجثمانه وإلقاء أشلائه المنزقة في النار"[23]

***

[23] - كتاب القرن البديع. ص 66/65.

3. توديع حروف الحي

ثبّت حضرة الباب أسماء حروف الحي الثمانية عشر في اللوح المحفوظ، وكانوا جميعا من المنتسبين إلى المدرسة الشيخية * وأتباع السيد كاظم الرشتي، الذين قال عنهم حضرة الباب:

" أنتم الحروف الأولى التي نبتت من النقطة الأولى والعيون الأولى التي انبجست من منبع الوحي...

وورد في كتاب القرن البديع لحضرة ولي أمر الله أنهم:

" ... ذلك القبيل من الملائكة المقرّبين الّذين وقفوا بين يديّ الرّحمن يوم مجيئه صفًّا"، "مخازن أسراره" و"الينابيع الّتي انبثقت من مصدر وحيه وإلهامه" *هؤلاء الأصحاب السّابقين الّذين كانوا على حدّ تعبير البيان الفارسيّ* **"أقرب المقرّبين إلى الله"**، *تلك* **"الكواكب الّتي سجدت بين يديّ العرش السّماويّ منذ الأزل وتظلّ تسجد إلى الأبد"**، *هؤلاء* **"الشّيوخ"** *المذكورين في سفر الرّؤيا* **"الجالسين أمام الله على عروشهم متسربلين بثياب بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب"** [24]

خطب فيهم حضرة الباب – عندما اكتمل جمعهم في شيراز، باستثناء قرة العين، التي غابت عن هذا اللقاء والملا علي البسطامي الذي أرسله حضرة الباب في مهمة إلى العراق، لإخبار أهلها بظهور القائم – وكلفهم جميعا بالانتشار في جميع الجهات لإعداد الطريق لمجيء يوم الله العظيم، قائلا:

" يا أصحابي الأعزاء أنتم حاملون للواء الله في هذا اليوم وأنكم مختارون أمناء على سره. فعلى كل منكم أن تظهر منه صفات الله

---

[24] - كتاب القرن البديع. ص.27/26.

وأن تتجلى في أقوالكم وأفعالكم علائم الصدق والقوة والعظمة حتى أن أعضاء جسمكم تشهد بنبالة مقصدكم وطهارة حياتكم وصدق إيمانكم وعلو منزلتكم لأني الحقّ أقول لكم إن هذا هو اليوم الذي تكلم الله عنه في كتابه القرآن (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) تفكروا في كلمات المسيح إلى تلاميذه عندما أرسلهم لتبليغ أمر الله قال لهم وهو يأمرهم بالقيام لإتمام المأمورية المكلفين بها إنكم كالنار المشتعلة في ظلام الليل الموقدة على ذروة الجبل، فليكن نوركم ساطعا أمام أنظار الخلق ولتكن طهارة أخلاقكم ودرجة انقطاعكم على شأن يتقرب أهل الأرض بها إلى الأب السماوي منبع الطهارة والفضل ويتعرفون إليه فلم ير أحد الأب الذي في السماء. فأنتم أبناؤه الروحانيون عليكم أن تظهروا بأعمالكم فضائله وتشهدوا بعظمته فأنتم ملح الأرض فإذا فسد الملح فبماذا يملح. يجب أن يكون انقطاعكم بحيث إنكم إذا دخلتم مدينة لتبليغ وتعليم أمر الله فلا تنتظروا مكافأة من أهلها بل إذا خرجتم منها فانفضوا الغبار من أرجلكم فكما دخلتموها طاهرين كذلك اخرجوا منها طاهرين لأني الحق أقول لكم إن أباكم السماوي معكم وينظر إليكم فإذا كنتم أمناء لأمره فإنه يدفع لأيديكم كل ثروة العالم ويرفعكم على حكام وملوك الأرض. فيا حروفي الحق أقول لكم إن هذا اليوم هو أرفع وأجل من أيام الرسل السابقين بل البون والفرق شاسع بينهما فأنتم شهداء فجر يوم الله الموعود الشاربون من كأس وحيه المختوم فشمروا عن ذيل الجد وتذكروا كلام الله الذي نزل به الوحي في كتابه (وجاء ربك والملك صفا صفا) فاغسلوا قلوبكم عن أدران الشهوات في هذه الدنيا واجعلوا زينتكم فضائل الملإ الأعلى

واجتهدوا أن تكون أعمالكم شاهدة على صدق هذه الكلمات الإلهية واحذروا إنكم إذا ترددتم أو توليتم أن يستبدلكم ربي بقوم آخرين ثم لا يكونوا أمثالكم وهم الذين يأخذون منكم ملكوت الله. فقد انتهت الأيام التي كانت فيها العبادة المقرونة بالكسل والفتور كافية والآن قد أتى الوقت الذي لا تصعد فيه الأعمال إلى عرشه الأعلى إلا إذا كانت طاهرة نقية ولا تكون مقبولة إلا إذا كانت خالية من أثر الدنس (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)، *فأنتم المستضعفون الذين نزل في شأنهم في الكتاب* (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) *فقد دعاكم ربكم إلى هذا المقام وستصلون إليه إذا وضعتم تحت أقدامكم كل رغبة وشهوة أرضية واجتهدتم أن تكونوا من الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون فأنتم الحروف الأولى التي نبتت من النقطة الأولى والعيون الأولى التي انبجست من منبع الوحي فتضرعوا إلى الله أن لا تعوقكم الشؤون الأرضية ولا الشهوات الدنيوية وأن لا تعكر شؤون الخلق صفو ذلك الفضل الذي يجري فيكم أو تقلب حلاوته بمرارة لأني أعدّكم لمجيء يوم عظيم، فابذلوا غاية الجهد حتى أمام كرسي رحمة الله في العالم الآتي أكون أنا الذي أعلمكم وأرشدكم مبتهجا بأعمالكم ومفتخرا بما تم على أيديكم. وأما سر ذلك اليوم الآتي فمستور لا ينكشف الآن لأن مولود ذلك اليوم الجديد يفوق أعقل وأشرف الناس في هذا الزمان وأصغر عاميّ فيه يفوق في العلم والمعرفة أعلم العلماء والفقهاء في هذا العصر. فانتشروا في جميع الجهات وأعدوا الطريق لمجيئه بأقدام ثابتة وقلوب طاهرة ولا تنظروا إلى ضعفكم واستكانتكم بل اجعلوا أنظاركم دائما متوجهة إلى القوة القاهرة من*

ربكم وإلهكم القدير. ألم يجعل إبراهيم منصورا على جيوش نمرود رغما عن ضعفه الظاهر. ألم يجعل موسى غالبا على فرعون وجنوده مع أنه لم يكن له رفيق سوى عصاه. ألم يؤسس المسيح عزته ومجده ورفعته فوق جميع اليهود مع أنه كان بحسب الظاهر فقيرا وحيدا. ألم يخضع محمد صلعم قبائل العرب المتوحشة الثائرة إلى النظام القدسي الذي أتى به حتى قلبهم وغير أحوالهم. إذا قوموا على اسم الله وضعوا ثقتكم فيه وتوكلوا عليه وأيقنوا بالنصر والفوز في النهاية)[25].

تُذكّر وصية حضرة الباب لحروف الحي بوصية السيد المسيح لحواريه الاثني عشر وبالنظام الرسولي الذي أقامه في دورته، كما ورد في إنجيل لوقا:

[12]وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ خَرَجَ إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلاَةِ للهِ. [13]وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ دَعَا تَلاَمِيذَهُ، وَاخْتَارَ مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِينَ سَمَّاهُمْ أَيْضًا «رُسُلاً»... [17]وَنَزَلَ مَعَهُمْ وَوَقَفَ فِي مَوْضِعٍ سَهْلٍ، هُوَ وَجَمْعٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَجُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ الشَّعْبِ،..."[26]، وألقى فيهم خطابا ورد فيه " *[3]«طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. [4]طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ. [5]طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ. [6]طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ. [7]طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ. [8]طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ. [9]طُوبَى*

---

25 - مطالع الأنوار. ص 82-84.

26 - الكتاب المقدس، إنجيل لوقا، الأصحاح السادس

لصانعي السَّلاَم، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ. [10]طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. [11]طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ. [12]افْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُمْ هَكَذَا طَرَدُوا الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ. [13]أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ، وَلَكِنْ إِنْ فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُمَلَّحُ؟ لاَ يَصْلُحُ بَعْدُ لِشَيْءٍ، إِلاَّ لأَنْ يُطْرَحَ خَارِجًا وَيُدَاسَ مِنَ النَّاسِ. [14]أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ، [15]وَلاَ يُوقِدُونَ سِرَاجًا وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ..."[27]

بعد توديع حضرة الباب لحروف الحي في شيراز، توجه إلى مكة المكرمة برفقة القدوس وخادمه 'مبارك' لتبليغ رسالته السماوية في موسم الحج، وفيه تقابل عند الحجر الأسود مع ميرزا محمد حسين الكرماني المعروف ب'محيط' ، الذي كان يعتبر نفسه رئيس المدرسة الشيخية بعد السيد كاظم الرشتي، فأعلن له عن دعوته وطلب منه أن يطرح أسئلته ليطمئن قلبه إلى صحة رسالته الإلهية، وأنزل له بهذه المناسبة '**صحيفة بين الحرمين**' جوابا على استفساراته. وكلف القدوس، في نفس الوقت، بتقديم الرسالة التي يعلن فيها عن ظهور القائم لشريف مكة، غير أن مشاغل الحجيج حالت دون اطّلاعه على رسالة حضرة الباب.

---

27 - الكتاب المقدس، إنجيل متى، الأصحاح الخامس

أثناء تواجد حضرة الباب في مكة وبعد عودته منها، كان حروف الحي قد أوصلوا خبر ظهور الموعود المنتظر إلى عدد من النفوس ومنهم شخصيات بارزة في المجتمع.

***

4. بعض المرموقين المؤمنين بحضرة الباب

ما إن انتشر حروف الحي في مختلف أطراف إيران والعراق يعلنون عن ظهور القائم حتى ذاع النبأ المثير، وأخذت قوة تلاوة آيات تنزيله تجذب أفئدة مختلف شرائح المجتمع من العلماء ورجال السلطة والتجار والعامة، وقامت قيامة الناس وتزلزلت أرض القلوب، وأثار سريان خبر ظهور صاحب الزمان انزعاج علماء الدين وحنقهم، وقاوم المعارضون منهم الدعوة الجديدة بكل ما أوتوا من قوة وحيلة، وأصبح خبر حضرة الباب حديث الخاص والعام في المجالس ومساجد البلاد، وجعل النفوس تهرع لتستقصي كنه الخبر:

"... حينما ظهر في شيراز ذاك الجمال الأزلي في سنة الستين وكشف الغطاء، فإنه في قليل من الزمان قد ظهرت في جميع البلاد آثار الغلبة والقدرة، والسلطنة والاقتدار من ذاك الجوهر، جوهر الجواهر، وبحر البحور، بحيث أنه قد ظهرت من كل بلد آثار ، وإشارات، ودلالات وعلامات من تلك الشمس اللاهوتية. وكم من رشحات علمية من ذلك البحر، بحر العلم اللدني، قد أحاطت جميع الممكنات مع أن جميع العلماء وأعزة القوم في كل بلد ومدينة قد قاموا على ردهم ومنعهم، وشدوا أزر الغل والحسد والظلم على دفعهم. وكم من نفوس قدسية قتلوها بتهمة الظلم، مع أنها كانت جواهر العدل. وكم من هياكل الروح قد أهلكوها بأشد العذاب، وما بدا منها إلا خالص العلم والعمل. ومع كل هذا كان كل واحد من أولئك الوجودات ذاكرا ومشغولا بذكر الله إلى النفس الأخير، وطائرا في هواء التسليم والرضا. وقد أثر في هذه الوجودات وتصرف فيها على نحو لم يكن لهم مراد غير إرادته، ولم يبغوا أمرا غير أمره. رضوا برضائه، وهامت قلوبهم بذكره... وما ظهر منها في مواقع الشكاية

إلا الشكران، وما شوهد منها في مواطن البلاء إلا الرضاء. وليس بخاف على أحد مقدار الغل والبغض والعداوة الذي كان يظهره كل أهل الأرض نحو هؤلاء الأصحاب بدرجة أنهم كانوا يعدون الأذية والأذى لتلك الطلعات القدسية المعنوية علة الفوز والنجاة، وسببا للفلاح والنجاح الأبدي..." [28]

أقبل على الإيمان بحضرة الباب العديد من الشخصيات البارزة في ميدان العلم والجاه، ومنهم:

*

أ. **ميرزا حسين علي** (بهاء الله)

كان له شأن كبير بعد تصديقه دعوة حضرة الباب، واتضح بعد ذلك بأنه المقصود ب**'من يظهره الله'** الذي كان حضرة الباب يلهج بذكره، مبشرا بقرب ظهوره في مختلف ألواحه، وقد برز حضرته:

"... من أحد بيوت الوزارة ونشأ من أسرة نجيبة وأحرز صنوف الكمال وتحلى بالحرية والنزاهة والطهارة وهو وإن جمع شموخ النسب وسمو الحسب ونظم أسلافه عقد سراة الرجال الذين هم محط الرحال في إيران إلا أنه لم يكن من نسل العلماء وبيوت المشايخ الفضلاء. وكان هذا الشاب في تباشير نشأته وهو بين ظهراني الوزراء القريب منهم والبعيد معروفا بأنه واحد عصره ومشهورا منذ نعومة أظفاره بحدة الذكاء والإقدام بحيث كان يشار إليه بالبنان وتتجه إليه أنظار العقلاء..." [29]

---

[28] - كتاب الإيقان. ص. 189/187

[29] - مقالة سائح. ص. 39

إنه المشار إليه في خطاب حضرة الباب إلى الملا حسين البشروئي، عندما كلفه بزيارة طهران، يخفف عنه حزن الحرمان من مرافقته في رحلته إلى الحج، قائلا له:

" لا تحزن إنك لم تكن مختارا لمرافقتي في السفر والحج إلى الحجاز فإني سوف أوجه خطاك إلى تلك المدينة التي لها من القداسة العليا ما لا تأمل الحجاز ولا شيراز أن تقاربها فيها لاشتمالها على سر يفوق كل قداسة وأملي أنك بمعونة الله ترفع الحجب عن أعين المعاندين وتثقف عقول الحاقدين..."[30]

واتضح سر هذه البشارة عندما نزل الملا حسين بمدرسة في مدينة طهران، حيث عرض دعوة حضرة الباب على الحاج ميرزا محمد الخراساني الأستاذ في تلك المدرسة، التي يسكن فيها أيضا ميرزا محمد النوري الملقب بالمعلم الذي يروي هذه القصة:

"كنت في تلك الأيام من تلاميذ الحاج ميرزا محمد المقربين وقاطنا في نفس المدرسة التي يعلم فيها وكانت غرفتي ملاصقة لغرفته وكنت دائم المعاشرة معه، وفي اليوم الذي انشغل فيه بمناقشة الملاّ حسين، سمعت خلسة حوارهما من أوله إلى آخره. وقد تأثرت بعمق من حماس ذلك الشاب الغريب وطلاقته وعلمه وتعجبت من مراوغات الحاج ميرزا محمد في الإجابات ومن تكبره وتحقيره له. فأحسست في ذلك اليوم بانجذاب من سحر ذلك الشاب واستهجنت بشدة سلوك معلمي نحوه. ولكني أخفيت أحاسيسي وتظاهرت بتجاهل مداولاته مع الملاّ حسين. وانتابتني رغبة عارمة بمقابلة الأخير، وغامرت بالذهاب لزيارته في منتصف الليل. ومع أنه لم يتوقع زيارتي إلا أنني طرقت على بابه فوجدته منتبهًا وجالسًا بجوار مصباحه. فقابلني بلطف وتكلم معي بكل

---

30 - مطالع الأنوار. ص. 86

أدب ورقّة، فأنزلت حمل قلبي عنده وخاطبته والدموع تجري من عيني، فقال لي:

- إني الآن عرفت لماذا اخترتُ هذا المكان من أجل السكنى لأنه ولو كان معلمك قد رفض قبول الدعوة واحتقر مؤسسها، ولكن الأمل في أن تلميذه يعترف بها على عكس معلمه، فما هو اسمك وموطنك؟ فأجبته: اسمي الملاّ محمد ولقبي المعلم وموطني نور في مقاطعة مازندران، فسألني قائلا:

- أخبرني هل يوجد اليوم من بين أفراد عائلة المرحوم 'ميرزا بزرك نوري' الذي اشتهر بأخلاقه وجاذبيته وعلومه وفكره من قام مقامه في الحفاظ على التقاليد الموروثة في هذا البيت الشهير. فأجبته:

- نعم. يوجد بين أنجاله الآن من امتاز بالمناقب نفسها التي اشتهر بها والده، وقد برهن بطهارة حياته وعلو كعبه ومحبته وشفقته وحريته بأنه السليل الشريف لذلك الوالد النبيل. فسألني عن مهنته. فأجبته:

- إنه يواسي الفقير ويطعم الجائع. وسألني عن رتبته ومقامه.

- فأجبته ليس له لقب سوى أنه صاحب المسكين والغريب ... وأما اسمه فحسين علي... التفت إلي بوجه مفعم بالرضا والحبور، واستفسر ثانية:

- أظن أنك تقابله كثيرا. فأجبته قائلا:

- كثيرًا ما أتردد على منزله. فقال:

- هل لك أن توصل إليه وديعة مني.فأجبته:

- نعما ومرحبا. فأعطاني ملفا في قطعة قماش وأمرني أن أسلمها إلى حضرته غدًا عند الفجر وأضاف قائلا:

- إذا تكرم بالإجابة فاعلمني برده. فأخذت منه الملف وعند طلوع الشمس ذهبت لتنفيذ رغبته. وإذ اقتربت من منزل حضرة بهاءالله

تعرفت على أخيه ميرزا موسى الذي كان واقفًا بجوار البوابة، وأعلمته بمهمتي. فدخل المنزل وعاد سريعًا حاملاً رسالة ترحيب. فاصطحبني إلى محضره، وقدمت الملف إلى ميرزا موسى الذي وضعه أمام حضرة بهاءالله، فأمرنا بالجلوس. وفتح الملف ونظر في محتوياته، وابتدأ يقرأ بعض عباراته بصوت مرتفع. وجلست مفتونا وأنا أستمع لحلاوة صوته ونغماته وبعد أن أتم قراءة صحيفة من الملف التفت إلى أخيه وقال له يا موسى:

- ماذا تقول؟ حقًا إن كل من يعتقد في القرآن ويعترف بمنبعه السماوي، ويتردد ولو لحظة في أن هذه الكلمات تحمل نفس القوة المحيية للأرواح، فإنه يخطئ في حكمه ويضل عن صراط العدل." ولم يزد على ذلك، وعندما أذن لي بالانصراف من محضره أمرني بأن أحمل إلى الملا حسين هدية منه، قمعًا من السكر الروسي وعلبة من الشاي وأن أبلغه تقديره ومحبته"[31].

صار ميرزا حسين علي، منذ ذلك الحين، أكبر ناصر للدين الجديد:

"... وابتدأ يرشد إليه عائلته وأحباءه وقرابته صغيرهم وكبيرهم، ثم بذل همته ولم يأل جهدا طول ليله ونهاره في دعوة الأداني والأقاصي ..."[32]

وكان لحضرة الباب بحضرة بهاء الله علاقة روحانية حميمة، فوق مستوى المدارك البشرية، واتصال شخصي غير مباشر في ترويج الرسالة الإلهية منذ نشأتها، مع العلم أنهما لم يلتقيا طيلة حياتهما الأرضية وجها لوجه، لكن كان بينهما اتصال بالمراسلة إلى جانب التواصل الروحي.

---

31 - مطالع الأنوار ص . 96/92.
32 - مقالة سائح. ص. 40

"... كان حضرة بهاء الله على صلة وثيقة بحضرة الباب عن طريق المراسلة المستمرة، وكان القوة الموجهة للمناشط المتعددة التي يقوم بها زملاؤه من الأصحاب"[33]

كما يدل على ذلك الدور الذي قام به في مؤتمر 'بدشت' الذي شكل الحد الفاصل بين الدور الرسولي القديم والإعلان عن بداية الدور الجديد.

" وفي كل يوم من الأيام الاثنين والعشرين التي أقامها في تلك القرية كان ينزل لوحا يرتّل أمام المؤمنين المجتمعين، وعلى كل مؤمن خلع اسما جديدا دون أن يكشف له عن شخصية من أنعم عليه به، أما هو فقد تلقب " بالبهاء" منذ ذلك الحين. وأنعم على الحرف الأخير من حروف الحي باسم " القدوس" وعلى قرة العين بلقب " الطاهرة". بهذه الأسماء وجه إليهم حضرة الباب بعد ذلك الألواح النازلة لكل واحد منهم.

وكان حضرة بهاء الله هو الذي أدار دفة الأمور في هذه القصة الباقية بثبات ودون خطأ وعلى غير توقع ولا انتظار، وكان حضرته هو الذي بلغ بالاجتماع قمته النهائية المثيرة..."[34]

وآخر الأعمال التي قام بها حضرة الباب عندما اقترب موعد الفداء بحياته، هو جمع وثائقه في صندوق قبل استشهاده والتوصية بإيداعها لدى حضرة بهاء الله:

"... قبل مغادرته النهائية لجهريق بأربعين يوما جمع الوثائق الموجودة في حوزته وسلمها هي ومقلمته وأختامه وخواتمه إلى الملا باقر أحد حروف الحي، وأوصاه بأن يودعها عند الملا عبد الكريم القزويني

---

33 - كتاب القرن البديع ص .53.

34 - نفس المرجع. ص.54

الملقب بميرزا أحمد، على أن يسلمها هذا بدوره إلى حضرة بهاء الله في طهران"[35].

رغم شهرة حضرة بهاء الله ومكانته الاجتماعية، فإنه لم يسْلم من الاضطهاد المسلط على البابيين، بعد محاولة اغتيال الشاه إثر إعدام حضرة الباب:

" أثناء ذلك أصبح جمال الأقدس الأبهى، وهو الناصر الوحيد لأمر الوهاب والقدوة الحقيقية للأصحاب والأحباب والدرع الأعظمَ لأمر رب الأرباب، أصبح بغتة هدفا لسهام الجميع إذ تم توقيفه بأمر من الأمير السفاك والشاه الغاضب. فقد أحضر ذلك الوجود العزيز، الملجأ الوحيد للمؤمنين وملاذهم والزعيم الحقيقي لأتباع أمر رب العالمين من نياوران في عز الصيف سيرا وحافي القدمين ومكشوف الرأس ومكبلا بالسلاسل والأغلال إلى سجن طهران. وفي الطريق من شميران إلى طهران رشقه الأشرار بالحجارة وسبوه وقذفوه ثم حبسوا ذلك الجمال ذا الجلال في سجن سياه جال لمدة أربعة أشهر وصفدوا عنقه المقدس بسلسلة ' قرة كهر' وحشروه مع المجرمين والمتمردين والطغاة..."*[36]

أما رسالة حضرة الباب فقد أدت دورا مزدوجا: الإعلان عن رسالة إلهية جديدة تضع حدا للأحكام والشرائع التي استنفذت قوتها، والتبشير بقرب ظهور مظهر إلهي جديد أناط به تثبيت أحكامه أو نسخها بأحكام جديدة، كما ستكشف عنه الأيام بعد حين، عندما كشف بهاء الله عن أنه هو الموعود المقصود بـــ **"من يظهره الله"**:

" أجل إن الباب أومأ ضمن وصفه ونعته إلى أن البلوغ إلى سماء الموهبة الإلهية والحصول على أعظم درجات الكمالات في العوالم الإنسانية

---

35 - نفس المرجع. ص. 75.

' - قرة كهر: سلسلة ثقيلة تركت أثرها في رقبة حضرة بهاء الله.

36 - من التوقيعات المباركة، توقيع 101 بديع. ص. 31/30.

منوطان بمحبة ذلك الشخص الموعود. فكان مشتعلا بنار حبه ومعرفته بحيث صار له ذكره في ليل سجنه الداجي بقلعة ' ماه كو' شمعه النوراني وتذكره له وهو في مضيق سجن 'جهريق' نعم الأنيس والرفيق وأحرز الانشراح الروحاني بصدره وثمل من رحيق شراب كأسه وامتلأ جزلا بذكره. لا جرم أضحى جميع أتباعه يترصدون طلوع صبح تلك الآثار وأخصاؤه ينقبون عن مظهر هاتيك الأخبار"[37]

وفي الخطاب الذي وجهه حضرة الباب إلى حروف الحي لينتشروا في أنحاء إيران للإعلان عن ظهور الموعود، قبل سفره إلى الحج، حثهم على تمهيد الطريق لظهور من يظهره الله، قائلا:

"... انتشروا في جميع الجهات وأعدوا الطريق لمجيئه بأقدام ثابتة وقلوب طاهرة ولا تنظروا إلى ضعفكم واستكانتكم بل اجعلوا أنظاركم دائما متوجهة إلى القوة القاهرة من ربكم وإلهكم القدير"[38].

وبيّن حضرة بهاء الله أن نزول كتاب البيان إنما من أجل التبشير بظهوره، كما أكده بقوله الصادق الأمين:

" تالله إن البيان نزل لذكري وإنه ورقة من أوراق سدرة بياني قد شهد بذلك مبشري الذي فدى نفسه في سبيلي الواضح المستقيم"[39]

*

ب. السيد يحيى الدارابي (وحيد)

إن الصدى القوي الذي أثاره انتشار خبر الباب في مختلف أنحاء إيران، جعل السلطان محمد شاه يهتم شخصيا بمعرفة ماهية الموضوع، فكلف أحد مشاهير العلماء والسادة السيد يحيى الدارابي الذي يثق به ويعتمده.

---

37 - مقالة سائح. ص. 38/39.
38 - مطالع الأنوار، ص84.
39 - آثار قلم أعلى. مجلد 2. ص. 78.

وأمر له بجواد ونفقة للذهاب إلى شيراز، حيث يقيم السيد الباب إقامة جبرية بمنزل خاله وتحت ضمانته:

"... كان السيد يحيى في تلك الأيام يقطن في طهران في منزل لطف علي، رئيس تشريفات الشاه كضيف معزز لجلالة الملك. فأسرّ الشاه إلى ميرزا لطف علي برغبته وغبطته في أن يقوم السيد يحيى بزيارة شيراز ويفحص هذا الموضوع شخصيًا. وأمره الملك قائلاً: "أخبره عنّا بثقتنا العالية في استقامته، وإعجابنا بمعاييره الأخلاقية والفكرية، ونعتبره أليق عالِم في قُطرنا، فإننا ننتظر منه أن يتوجه بنفسه إلى شيراز ويفحص أمر السيد الباب بدقة ويخبرنا بنتائج تحرياته حتى ننظر في الإجراءات التي يجدر بنا اتخاذها نحوه. وكان السيد يحيى نفسه أيضا راغبا في الحصول على أدق المعلومات الخاصة بدعوة حضرة الباب ولكنه لم يكن يتمكن من السفر إلى فارس نظرا للأحوال غير الملائمة فاضطره أمر محمد شاه أن ينفذ عزمه الذي طالما كان يتمناه وبعد أن أكد للشاه استعداده لتنفيذ رغبته في السفر إلى شيراز على الفور.*

وأثناء الطريق فكر في الأسئلة المختلفة التي سيلقيها على حضرة الباب...

وكانت مقابلة السيد يحيى مع حضرة الباب في منزل الحاج ميرزا سيد علي، وأظهر لحضرته الاحترام والإجلال أثناء المحادثة كما أوصاه عظيم، ومكث زهاء ساعتين يلفت نظر حضرة الباب إلى المسائل العويصة والمواضيع الغيبية في التعاليم الإسلامية وإلى أكثر فقرات القرآن غموضًا وإلى أحاديث أئمة الدين ونبوءاتهم. وكان حضرة الباب ينصت أولاً إلى إشاراته العلمية عن الشريعة والنبوات الإسلامية ويستوعب كل أسئلته، ثم يشرع في بيان الجواب المقنع المختصر لكل

---

* - يعني إقليم فارس.

سؤال. وكانت سلاسة أجوبته واختصارها ودقتها بحيث أثارت دهشة السيد يحيى وإعجابه، وغلبه شعور بالإذلال بما كان عليه من صلف وكبرياء، فزال إحساسه بالتفوق كليًا. ولما عزم على الانصراف، وجه إلى حضرة الباب الكلمات التالية: 'إن شاء الله في المقابلة الآتية أعرض لكم بقية أسئلتي وبها أنتهي من بحثي.' ...

وفي المقابلة الثانية وجد السيد يحيى، لفرط دهشته، أنه نسي كافة الأسئلة التي عزم على طرحها على حضرة الباب. فاكتفى بمواضيع لا علاقة لها ببحثه، ولكنه اكتشف، لمزيد من الحيرة والدهشة، أن حضرة الباب كان يجيب بنفس السلاسة والاختصار اللذين شهدهما، عن الأسئلة التي نسيها وقتيًا. ووصف السيد يحيى ذلك فيما بعد، قال: «كنت أشعر إذ ذاك أني أنام نومًا عميقًا وكانت كلماته وإجاباته عن المسائل التي نسيت أن أسألها توقظني من سباتي، وكان يتردد في أذني وفي سرّي صوت يقول: 'ألا يمكن أن يكون ذلك كله من باب المصادفات؟' وكنت مضطربًا لدرجة لم أتمكن من ترتيب أفكاري، وطلبت ثانيًا الإذن بالانصراف، فصممت في المقابلة الثالثة أن أطلب من حضرة الباب في سر سري تفسيرًا لسورة الكوثر من القرآن. وعزمت أن لا أذكر هذا الطلب في محضره. فإذا أتى بالتفسير من تلقاء نفسه وبكيفية تخالف بحسب رأيي التفاسير المعهودة، اقتنعت إذ ذاك بصحة رسالته السماوية واعتنقت أمره وإلا فلا أعترف به. وبمجرد أن أدخلت إلى محضره شعرت بخوف لم أكن أعلم سببه، وكنت أرتجف وأنا أنظر إلى وجهه، ومع إني كنت قد حضرت عدة مرات أمام الشاه نفسه دون أي اضطراب، إلا إني كنت غير قادر على الوقوف على قدمَي. ولما شاهد حضرة الباب حالتي، قام من مقعده وتقدم نحوي وأخذ بيدي وأجلسني بجانبه وقال: 'اطلب مني كل ما يريده قلبك،

أذكره توًا لك.' فبقيت صامتًا في حيرتي كطفل لا يقدر أن يفهم أو يتكلم، وشعرت بعجز عن الاستجابة. فتبسم وهو ينظر إلي وقال: 'إذا فسرت لك سورة الكوثر، هل تعترف أن كلامي هو من روح الله؟ وهل تعترف بأن بياني لا علاقة له بالسحر والشعوذة؟' فسكبت عيوني الدموع وأنا أسمعه يلفظ تلك الكلمات. وما تمكنت أن أتكلم بشيء سوى الآية القرآنية: **"ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين."** [40].

وما أن اقتنع بصحة دعوة حضرة الباب، ومست قلبه شعلة نار محبته، حتى أعلن عن إيمانه دون خوف:

"... رغما عما كان عليه السيد من العلم والذكاء ومراعاة مقتضيات الأحوال كتب بلا خوف ولا تردد تفصيلات حاله إلى ميرزا لطف علي خادم الحضور (السر تشريفاتي) ليعرضها على الخاقان المغفور له ثم أخذ يطوف البلاد الإيرانية واندفع يدعو الناس على رؤوس المنابر في جميع المنازل والبلدان إلى حد حكم سائر العلماء الأعلام بجنونه وعدّوا عمله سحرا مبينا..." [41]

تابع نشاطه منقطعا عن شؤون الدنيا ناكرا ذاته داعيا إلى الإقبال على الإيمان بالموعود المنتظر دون توقف إلى أن استشهد في سبيل الوفاء بعهده في الصراع الذي أفضى إلى ملحمة 'نيريز' حيث أهى الغدر حياته الأرضية:

"بخاتمة الشهادة، إذ رُبط إلى حصان، وهو يلبس العمامة الخضراء، رمز حسبه ونسبه، وسحب في الشوارع والطرقات بهذه الصورة المزرية، ثم

---

[40] - مطالع الأنوار. ص. 157-159

[41] - مقالة سائح. ص.7.

قطع رأسه وحشي بالقش وأرسل تذكارا إلى الأمير المبتهج في شيراز..."[42]

وقد خلده حضرة الباب في أحد مكاتيبه، وحضرة بهاء الله في كتاب الإيقان:

*"... وهذا "وحيد" المذكور في كتاب الإيقان بأنه "**وحيد عصره وفريد زمانه**"، العالم الجليل، وأعظم الشخصيات التي انضوت تحت علم الدين الجديد، من شهد حضرة الباب في الدلائل السبعة "**بفضله وتقواه**" و "**علو كعبه في العلم ورفعة شأنه في الحكمة**" ينجرف هو الآخر في ملابسات مشابهة في معمعة فتنة أخرى، ويرتشف بدوره نفس الكأس التي تجرعها شهداء مازندران الأبطال..."*[43]

*

ج. **محمد علي الزنجاني (الحجة)**

أحد الأبطال الأفذاذ المختارين لإثبات أحقية رسالة حضرة الباب بالحجة والبرهان، والتضحية بالغالي والنفيس في هذه المرحلة الأولى من عصر البطولة في الدورة البابية، أثناء إقامة حضرة الباب الجبرية في شيراز، وذلك:

"لما بلغ خبر فتاوى العلماء وولولة الفقهاء مسامع أهل زنجان بعث محمد علي الزنجاني المجتهد ذو الشهرة الواسعة والقول النافذ أحد معتمديه إلى شيراز لفحص هذه المسألة وعندما وقف ذلك المبعوث على حقائق الوقائع وتفصيلاتها وفهمها كما ينبغي قفل راجعا حاملا إليه (إلى الملا الزنجاني) بعض الكتب والتآليف، فلما سمع منه مجريات

---

42 - كتاب القرن البديع. ص. 67.
43 - كتاب القرن البديع. ص. 62.

الأحوال والحوادث ووقف على ما حمله إليه ذلك المندوب من الكتب والتآليف، دب فيه للوقت والحال روح الإقبال والاشتعال ومع أنه كان عالما نحريرا ومتبحرا شهيرا بدا عليه بحكم التقدير والقضاء علائم العشق والانجذاب بحيث طوى في مجلس التدريس كتاب الدرس قائلا: لقد أتى موسم الربيع والراح. وأجرى على لسانه هذه العبارة: (طلب العلم بعد الوصول إلى المعلوم مذموم).

ثم اندفع يدعو مريديه على المنبر ويرشدهم إلى الأمر الجديد وكتب إلى الباب كتابا ضمنه إقراره واعترافه فورد عليه الجواب من الباب متضمنا حثه على وجوب صلاة الجمعة، ومع أن علماء زنجان قاموا بكل قواهم على وعظ الناس ونصحهم ليصدوهم عن ذلك لم يفلحوا واضطروا للذهاب إلى طهران والحضور لدى الملك مقدمين لهم شكواهم والتمسوا منه إحضار ملا محمد علي المذكور إلى طهران، فأصدر الملك أمره بذلك وعند وروده إلى طهران أحضروه في مجلس العلماء، فروي أنه بعد عديد المجادلات وكثير المباحثات لم يثبت عليه شيء في ذلك المجلس، لذا أهداه الخاقان المرحوم عصا وخمسين تومانا (ريالا) مصاريف سفره آذنا له بالرجوع إلى بلدته"[44]

هذا العالم الجليل المشهور بالذكاء والتحرر من القيود التقليدية، فحص بدقة أمر حضرة الباب الذي أنعم عليه بلقب **'الحجة الزنجاني'**، كان قدَره في سبيل إيمانه مثل قدر وحيد، إذ قدم حياته مثله قربانا في سبيل الأمر الجديد الذي أعلن عنه محبوبه الأبدي، دفاعاً عن عقيدته وأصحابه في ملحمة زنجان، التي بينما كانت رحاها دائرة:

"... قرر الحجة إرسال خطابه إلى ناصر الدين شاه كتب فيه: 'إن أتباع جلالتك الشاهانية يعتبرونك الحاكم الدنيوي والمحافظ الأعظم

---

[44] - مقالة سائح .ص. 7/ 8.

على الدين. وهم يلجأون إليك طلبًا للعدل، وينظرون إليك بأنك المدافع الأكبر لحقوقهم. ومسألتنا أولاً تخص علماء زنجان فقط ولم تقحم مطلقًا حكومتكم ولا رعيتكم. وقد دعاني سلفكم إلى طهران وأمرني أن أبين دعاوى ديني، وأقتنع المرحوم الشاه تمامًا وامتدح جهودي. وعمدت إلى ترك موطني والإقامة في طهران، ولم يكن لي من قصد سوى إخماد تلك الضجة التي أثاروها حول شخصي وإطفاء النيران التي أشعلها أهل السوء. ومع أني كنت حرًا في العودة إلى موطني، إلا أني فضلت أن أبقى في العاصمة متكلاً بالكامل على عدل مليكي. وفي ابتداء حكمكم شك أمير النظام بأنني خائن أثناء ملحمة مازندران وعزم على قتلي. ولما لم أجد أحدًا في طهران قادرًا على حمايتي، قررت للدفاع عن نفسي أن ألجأ لزنجان حيث عدت إلى بذل مجهوداتي لترويج مصالح الإسلام الحقة. وأثناء اشتغالي بذلك قام مجد الدولة ضدي، وكثيرًا ما طلبت منه العدل والإنصاف في أمري، فلم يقبل، وحرّضه علماء زنجان، وبسبب تملقهم إليه عزم على القبض عليّ. فتدخل أصحابي واجتهدوا أن يمنعوه من ذلك ولكنه استمر على إثارة الناس ضدي..."[45]

لم تؤد هذه الرسالة مهمتها لامتناع وصولها إلى الشاه، كما لم تسفر المفاوضات بين الطرفين عن الصلح المأمول، فهاجم العسكر المتفوق في العدد والعدة والتدريب المحاصرين، وانتهت استماتة البابيين باستنفاذ كل قوتهم، دفاعا عن أنفسهم، واستشهاد خلق كثير في القلعة، بمن فيهم زوجة الحجة الملا محمد علي الزنجاني، وابنهما. وقد عبر الحجة عن عظيم إيمانه في آخر لحظات حياته، قائلا:

---

[45] - مطالع الأنوار. ص. 516/515.

" ومع أن أحزاني للآن عظيمة فإنها لا يمكن مقارنتها بالآلام التي أنا مستعد لتلقيها لأجل اسمك. فلن تقاس حياتي الباطلة ولا فقد زوجتي وابني ولا تضحية أصحابي وأقربائي بنعمة معرفة مظهرك الذي أنعمت بها عليّ.

ولو كان عندي آلاف من الأرواح، وكل كنوز الأرض وسلطانها، لفديتها كلها في سبيلك عن طيب خاطر وبكل فرح وابتهاج..."[46]

وبعد استشهاده ودفنه، استعمل (حاكم زنجان) الحيلة متلطفا مع ولده الصغير ليعرف منه مكان دفن الحجة:

"... وما كادوا يحضرونها(الجثة) *ويتم له مرغوب فؤاده حتى أمر بربطها بحبل على أصوات الطبول والأبواق في شوارع زنجان. ولمدة ثلاثة أيام بلياليها وقع على جسده من التمثيل والإهانة ما لا يقدر الوصف عليه..."*[47]

*****

[46] - مطالع الأنوار. ص. 531 .
[47] - نفس المرجع السابق. ص. 537.

IV. حجج علماء الدين ونفوذهم.

1. حجج العلماء واعتراضهم

" إن علماء العصر في كل الأزمان كانوا سببا لصد العباد، ومنعهم عن شاطئ بحر الأحدية، لأن زمام هؤلاء العباد كان في قبضة قدرتهم. فكان بعضهم يمنع الناس حبا للرياسة، والبعض الآخر يمنعهم لعدم العلم والمعرفة. كما أنه بإذن علماء العصر وفتاويهم قد شرب جميع الأنبياء سلسبيل الشهادة..." [48]

لم يوفر علماء الدين وسيلة إلا استعملوها للقضاء على الدعوة الجديدة التي جاء بها حضرة الباب، فقد:

" توالت الفتاوى وكثر القيل والقال واتسع خرق التعرض للباب وعظمت الولولة في إيران ..." [49]

هؤلاء العلماء الذين يتولون مقامات رفيعة في مجتمعهم، ويحظون بمكانة كبيرة لدى عامة الناس، ويوليهم أتباعهم ثقتهم الكاملة، يشعرون، بما تفرضه عليهم مهمة حماية الدين ومبانيه ورعاياه ومصالحهم، بواجب الاعتراض على حضرة الباب ومقاومته بكل ما أوتوا من قوة ونفوذ، كما ذكر ذلك حضرة بهاء الله في أحد ألواحه:

"قام العلماء على الإعراض منهم من كفّره ومنهم من أعرض ومنهم من اعترض ومنهم من أفتى عليه بظلم به انشق ستر الحرمة وذرفت عيون الأبرار"[50]

إنه من الصعب على العلماء الذين قضوا عقودا من أعمارهم في اكتساب العلم، أن يتنازلوا لأخذه من إنسان لم يحظ بنصيب من التعلم، و لم يحصل على إجازات، مثلهم، تؤهله لفهم الدين وأصوله

---

[48] - كتاب الإيقان. ص.13.
[49] - مقالة سائح . ص.6.
[50] - آثار قلم أعلى. المجلد 2 . ص. 102.

ومختلف فروعه. كيف لهم أن يجازفوا بمكانتهم التي تضمن لهم الجاه وتدر عليهم المال أن يتواضعوا للإقرار بالمعرفة والمكانة التي يتوفر عليها صاحب الادعاء، فما بالك، أن يؤمنوا به ويعرضوا مصالحهم ومقامهم وحياتهم لخطر أكيد؟

ولعل ما جاء في وصف العلماء المنكرين في الأناجيل هو شأن العلماء في كل زمان:

" [1]حِينَئِذٍ خَاطَبَ يَسُوعُ الْجُمُوعَ وَتَلاَمِيذَهُ [2] قَائِلاً:«عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ، [3]فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَافْعَلُوهُ، وَلكِنْ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ لاَ تَعْمَلُوا، لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلاَ يَفْعَلُونَ. [4]فَإِنَّهُمْ يَحْزِمُونَ أَحْمَالاً ثَقِيلَةً عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَيَضَعُونَهَا عَلَى أَكْتَافِ النَّاسِ، وَهُمْ لاَ يُرِيدُونَ أَنْ يُحَرِّكُوهَا بِإِصْبَعِهِمْ، [5]وَكُلَّ أَعْمَالِهِمْ يَعْمَلُونَهَا لِكَيْ تَنْظُرَهُمُ النَّاسُ: فَيُعَرِّضُونَ عَصَائِبَهُمْ وَيُعَظِّمُونَ أَهْدَابَ ثِيَابِهِمْ، [6]وَيُحِبُّونَ الْمُتَّكَأَ الأَوَّلَ فِي الْوَلاَئِمِ، وَالْمَجَالِسَ الأُولَى فِي الْمَجَامِعِ، [7]وَالتَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ، وَأَنْ يَدْعُوَهُمُ النَّاسُ: سَيِّدِي سَيِّدِي!..." [51]

إن مثل هؤلاء العلماء، بالتأكيد، يستنكفون عن الاستماع إلى منطق الرسول، ويستكبرون عن تمحيص دعوته، ويحتجون بعدم مؤهلاته لفهم الدين، دون أن يتذكروا، أن رسل الله لا يحتاجون إلى شهادات أكاديمية ليؤدوا مهمتهم، أو أن ينتبهوا إلى رسول الإسلام الذي كان أميا، لا مهارة له في استعمال أدوات الكتابة والقراءة. ومع ذلك فبقدر

---

[51] - إنجيل متى. الأصحاح 23.

ما يفتخرون بأميته، فإنهم لا يتخذون منه المثل الواضح والقدوة المحتذاة، ولا يأخذون العلم اللدني في الاعتبار، عندما يتعلق الأمر بغيره. وبما أنهم يعتمدون على ما اكتسبوه من العلوم، فإنهم:

" ... لا ينالون بسر العلم والحكمة عما ظهر من مطلع نور الأحدية لذا يعترضون ويصيحون والحق أن يقال إنهم يعترضون على ما عرفوه لا على ما بيّنه المبين وأنبأه الحق علام الغيوب. ترجع اعتراضاتهم كلها على أنفسهم وهم لعمرك لا يفقهون"[52]

ومن هؤلاء العلماء في عهد محمد رسول الله أبو جهل* وفي عهد عيسى عليه السلام، قيافا** الذي كان رئيسًا للكهنة وقت محاكمة السيد المسيح.

أما علماء الشيعة في إيران الذين اعترضوا على حضرة الباب وحكموا عليه، فقد أنكروا عليه، مثل زملائهم قبلهم، عدم ظهور العلامات التي تصاحب الموعود المنتظر، قائلين:

"عندنا لا بد لقائم آل محمد من حيازته لعلامتين (أولاهما) خروجه من السلالة الطاهرة (والأخرى) تأييده بآيات باهرات، وإلا فماذا نعمل بعقائد الطائفة الناجية الاثني عشرية الثابتة منذ ألف سنه؟ وماذا نقول في حق العلماء المتبحرين والمجتهدين الأولين؟ هل نقول لهم بأنهم كانوا في ضلالة وسلكوا وادي الغواية؟ وأي دعوى باطلة أوضح بطلانا من هذه؟ فوالله هذه قاصمة الظهر، يا أيها الناس أطفئوا هذه

---

[52] - آثار قلم أعلى. مجلد 2. لوح الحكمة. ص. 133.

* - أبو جهل هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي الكناني (572م - 624 م/ 2 هـ) كان سيدا من سادات بني قريش من قبيلة كنانة وكان من أشد المعادين للنبي محمد نبي الإسلام، وكنيته أبو الحكم، ولكن أبو جهل كناه بها محمد نبي الإسلام بعد أن كان يُكنى بأبي الحكم، وذلك لقتله امرأة عجوزا طعنا بالحربة من قُبُلها حتى الموت، بسبب جهرها بالإسلام، وهي سمية بنت خياط . وكان أبوه هو هشام بن المغيرة سيد بني مخزوم من كنانة... (ويكيبديا)

** - قيافا: وهو حسب الأناجيل، من الذين شاركوا في محاكمة يسوع... سأله قيافا: "أأنت هو المسيح ابن الله ؟" فلما أجاب يسوع بالإيجاب تظاهر قيافا بالاشمئزاز من جوابه وحسبه تجديفاً وقال إنه غير محتاج إلى شهود بعد، فحكموا عليه بصوت واحد بالموت.

النار وتناسوا هذه الأقوال ونادوا في المساجد والمجامع والمنابر والمحافل وا ويلاه وا مذهباه وا شريعتاه"[53]

ورغم ما كان يعرفه العام والخاص من انتساب حضرة الباب إلى سلالة رسول الله الطاهرة، وقدرته على تنزيل الآيات، فإنهم كانوا متمسكين بظهور ما تعلموه من العلامات التي يتوقعون تزامنها مع ظهور الموعود المنتظر:

" كانوا يصيحون أمام الجموع الغفيرة قائلين:" ماذا نقول في العلامات والأشراط التي تعلن مجيء القائم؟ ماذا نقول في الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى؟ ماذا نقول في مدينتي جابلقا وجابلسا؟ وكيف نفسر أقوال حسين ابن روح؟ وبأي تفسير نفسر الأحاديث الصحيحة المنسوبة لابن مهزيار؟ وأين رجال الغيب الذين يجوبون وجه الأرض في أسبوع؟ وماذا نقول في ما سوف يقوم به القائم عند ظهوره من فتح المشارق والمغارب؟ وأين المسيح الدجال الأعور وحماره الذي يركبه؟ وماذا في سفيان ودولته؟"وكانوا يحتجون صائحين: أنتجاهل ما لا يعد ولا يحصى من أحاديث أئمتنا الصحيحة أم نخمد بالحديد والنار ذلك الإلحاد والكفر الذي تجرأ وأطل برأسه في أرضنا"[54]

يحدثنا تراث الأديان أنه ما أن يتمكن حب رسول الله من قلوب المؤمنين بعد أن يغادر الحياة الأرضية، حتى تبدأ مخيلتهم الخصبة في إضافة أمور محمودة، في اعتبارهم، إلى أصل تعاليم الدين الصافي المتدفقة من منبع رسالته النقية، التي تأخذ في الاختلاط ببنات الخيال كما تختلط المعادن والأملاح التي تجرفها قوة النهر بالمياه الصافية الجارية في مجراه، فيتغير لونه ومذاقه الأصلي. كذلك تصبح بعض الأمور الزائدة في الدين تقاليد ثابتة في العاطفة الدينية الجماعية، يحتل فيها زعماء

---

53 - مقالة سائح. ص. 18.

54 - كتاب القرن البديع. ص.60/59.

الدين لدى المتدينين مركزا قد يبلغ درجة العصمة والتقديس، يمكّنهم من توجيه الجماهير الواثقة في مفاهيمهم إلى حيث لا يتردد المجتمع في تبنّيها وجعلها مسلكا له في حياته، طمعا في الثواب المبتغى أو خوفا من هول العقاب المخيف. ويبذل المجتهدون من العلماء جهودا على مستوى التفسير والتأويل من أجل أن يجعلوا من الدين كل شيء في حياة الأفراد والجماعة، وتطويع الخطاب الديني بما يلائم المصلحة الآنية.

وإذا ما أتى ذلك الموعود الذي يتمنى كل مؤمن وعالم عارف، الفوز بالنظر إليه والسير في ركابه والتضحية من أجله، وقفت تلك المفاهيم والتصورات سدا منيعا، تحجب الرؤية عن معرفة حقيقته. وبدلا من الإيمان به، تثور عليه وتُعرض عنه بكل قواها وتسيء معاملته، لأن هذا الموعود لا تنطبق أحواله مع الصورة التي رسمت في الأذهان، ولم يعزز المفاهيم الراسخة والقواعد والرسوم والعادات والآداب المرعية التي يتقيّد بها الجميع، بل يعمل على نسخها بدل العمل على دعمها ونشرها. إذ كيف لهم أن يتنازلوا عن:

" ... ***الدين الذي ارتفع سنينا، ونشأ ونما في ظله الجميع، وتربوا بأحكامه المشرقة في تلك الأزمنة، ولم يسمعوا من آبائهم وأجدادهم إلا ذكره، بدرجة لم تدرك العيون أمرا غير نفوذ أمره، ولم تسمع الآذان إلا أحكامه***..."[55]

لذلك يقومون بكل ما أوتوا من قوة على قمع وإيذاء الموعود واقتلاع جذور الفئة الناشئة المؤمنة به، رغم انتظار ظهوره والاستعداد للإيمان به والسير في ركابه. كما حدث في أزمنة الرسل السابقين:

---

[55] - كتاب الإيقان. ص. 37.

"انظروا إلى الأيام السالفة. كم من العباد من شريف ووضيع كانوا دائما ينتظرون ظهورات الأحدية في الهياكل القدسية، على شأن كانوا في جميع الأوقات والأزمنة يترصدون وينتظرون، يدعون ويتضرعون، لعل يهب نسيم الرحمة الإلهية، ويطلع جمال الموعود عن خلف سرادق الغيب إلى عرصة الظهور. وعندما كانت تنفتح أبواب العناية، ويرتفع غمام المكرمة، وتظهر شمس الغيب عن أفق القدرة، يقوم الجميع على تكذيبها وإنكارها ويحترزون عن لقائها الذي هو عين لقاء الله..." [56]

ولا يدركون أن هذه المقاومة ذاتها تزيد في انتشار الدعوة، كما حدث في الأزمنة الغابرة، وأخبر بهاء الله بها في اللوح الذي وجهه إلى الرئيس عالي باشا* الذي أقرّ اضطهاد بهاء الله وأتباعه، قائلا له:

"هل ظننت أنك تقدر أن تطفئ النار التي أوقدها الله في الآفاق لا ونفسه الحق لو أنت من العارفين بل بما فعلت زاد لهيبها واشتعالها فسوف يحيط الأرض ومن عليها، كذلك قضي الأمر ولا يقوم معه حكم من في السموات والأرضين..." [57]

لم يشكل علماء الدين في إيران استثناء للقاعدة العامة في تعاملهم مع حضرة الباب، إذ لم يؤمن به منهم إلا القليل. أما معظم الذين اجتمعوا بحضرته في مساره نحو ما قضى به الله في المحطات التي توقف بها في حياته الأرضية القصيرة، سواء في شيراز أو في إصفهان أو تبريز، فإن موقفهم كان نسخة لما قام به علماء القبل.

---

[56] - نفس المرجع السابق. ص. 4.

* - عالي باشا: رئيس وزراء تركيا، المدبر البئيس لنفي بهاء الله إلى سجن حصن عكاء عام 1868.

[57] - ألواح حضرة بهاء الله إلى الملوك والرؤساء. لوح الرئيس. ص 66/65

وبإعراض هؤلاء العلماء الماسكين بزمام السلطة الدينية أعرض قومهم بالتبعية، رغم ما يكررون يوميا في دعواتهم وصلواتهم وتوسلهم بأن يعجل الله بظهور الموعود. مما يدعو إلى العجب:

"انظروا ثم اذكروا إذ أتى منزل البيان أعرض عنه العلماء وكفروا به وبآياته إلى أن أفتوا على سفك دمه الأطهر الأقدس المنير كانوا أن ينتظروا أيام الله وظهوره فلما لاح أفق سماء الظهور وأتى مكلم الطور سلوا عليه سيوف البغضاء كذلك سولت لهم نفسهم ما سعر به السعير . بإعراضهم أعرض الأمراء والذين اتبعوهم فيما عملوا ألا إنهم من الأخسرين في كتاب الله مالك يوم الدين. قد نقضوا ميثاق الله وعهده وأنكروا حقه ونبذوا كتابه ألا إنهم من الظالمين"[58].

***

[58] - آثار قلم أعلى، المجلد الثاني. ص. 42

2. نفوذ فتاوى العلماء:

كانت السلطة الفعلية أيام ظهور حضرة الباب بيد رجال السلطة وعلماء الدين، الذين منهم من لا همّ له سوى الوصول إلى احتلال كراسي المقامات والتقرب إلى السلطات بما يقدم لهم من خدمات. كما تفضل حضرة بهاء الله:

"إن علماء العصر في كل الأزمان كانوا سببا لصد العباد، ومنعهم عن شاطئ بحر الأحدية، لأن زمام هؤلاء العباد كان في قبضة قدرتهم. فكان بعضهم يمنعهم حبا للرياسة، والبعض الآخر يمنعهم لعدم العلم والمعرفة..."[59]

غير أن علماء الدين ليسوا جميعا على نفس الشاكلة، فمنهم، رغم قلتهم، من يسعى جديا للتقرب إلى الله ومساعدة الآخرين على التوجه إليه. ومن جملة هذه الثلة القليلة، العلماء المؤمنون بحضرة الباب الذين جاء ذكر أسماء بعضهم في كتاب الإيقان، ومنهم:

" جناب ملا حسين الذي أصبح محلا لإشراق شمس الظهور . لولاه ما استوى الله على عرش رحمانيته. وما استقر على كرسي صمدانيته. وجناب أغا سيد يحيى الذي كان وحيد عصره وفريد زمانه، وملا محمد علي الزنجاني، وملا علي البسطامي، وملا سعيد البارفروشي، وملا نعمة الله المازندراني، وملا يوسف الأردبيلي، وملا مهدي الخوئي، والسيد حسين الترشيزي، وملا محمد الكندي، وأخوه ملا باقر، وملا عبد الخالق اليزدي وملا علي البرقاني، وأمثالهم ممن يبلغ عددهم قريبا من أربعمئة نفس، أسماؤهم جميعا مثبوتة في اللوح المحفوظ الإلهي"[60].

---

[59] - كتاب الإيقان. ص. 17

[60] - نفس المرجع. ص. 179

إلى جانب هذه الثلة من العلماء المؤمنين، جمع كبير من العلماء، عايشوا حضرة الباب، مثل غيرهم من الذين عايشوا رسل الله وقت ظهورهم، واعترضوا عليهم وعملوا على تسفيه دعوتهم وحرضوا على قتلهم. مثل أبو جهل المعروف بمعاداة محمدﷺ، وغيره من الذين ذكرهم حضرة بهاء الله في كتاب الإيقان، أمثال:"**عبد الله بن أبي وأبو عامر الراهب**[**] **وكعب بن الأشرف**[***] **والنضر بن الحارث**[****]. كلهم من أكابر القوم وعلمائها وأعيانها، الذين نافقوا وعادوا وآذوا النبي محمد ﷺ سواء في مكة أو يثرب.

وكمثال على ما لهؤلاء العلماء من مكانة في المجتمع ولفتاواهم من نفوذ لدى الشعب الإيراني، فتوى محمد حسن الشيرازي التي كان لها الوقع الحاسم بخصوص اتفاقية 'التبغ' الموقعة بين شركة بريطانية سنة 1891 م وبين ناصر الدين الشاه القاجاري، الذي تجرع حضرة الباب وعدد من أتباعه كأس العذاب والشهادة في زمان حكمه:

(***بسم الله الرحمن الرحيم، اليوم استعمال التنباكو والتتن بأي نحو كان، يعتبر محاربة للإمام صاحب العصر والزمان صلوات الله وسلامه عليه***).

على أن صاحب الزمان المذكور في هذه الفتوى، هو حضرة الباب الذي لم ينتبه هذا العالم النافذ الكلمة، إلى ظهوره، كما لم ينتبه إلى ما تعرض له حضرة الباب من أذى وإعدام، بفتاوى علماء شيعته، قبل ما

** - أبو عامر الراهب: واسمه عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان الأوسي، أحد بني ضبيعة بن زيد من الأوس، وكنيته أبو عامر الراهب. لم يسلم وظل يناصب رسول الله في الإسلام العداء، وسماه الرسول أبو عامر الفاسق)

*** - كعب بن الأشرف: رجل من بني النضير وقيل كان أباه من طيء وأمه من يهود بني النضير ذكر في سيرة النبي محمد بأنه أمر بقتله ونفذ ذلك الأمر جماعة من الأوس

**** - النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف العبدري القُرشي وكنيته أبو فائد: سيد من أسياد قبيلة قريش ووجوهها، وأحد أعتى وأشرس أعداء النبي محمد ودين الإسلام خلال الوقت المُبكر من تاريخه، اشتُهر في التاريخ الإسلامي لمعاداته النبي محمد بالتكذيب والأذى . ويكيبيديا

لا يقل عن أربعين عاما على صدور فتواه الآنفة الذكر، والتي أعقبها بفتوى أُخرى مهددا:

*(إذا لم يُلغَ امتياز التنباكو بشكل كامل سأعلن الجهاد العام خلال ثمان وأربعين ساعة). وعلى أثر ذلك حدثت اضطرابات وتظاهرات في أماكن متعدّدة، تطالب بإلغاء امتياز الشركة الإنجليزية بصورة كاملة، وأخيراً اضطرّت الدولة تحت ضغط الجماهير بقيادة العلماء إلى الإعلان عن إلغاء الامتياز كاملا)**

تدل هذه الفتوى في ذلك الحين على هيمنة سلطة علماء الدين، أحيانا، على سلطة السلاطين في العالم الإسلامي مما يجعل الحكام يضطرون إلى إيلائهم الاهتمام اللازم، يستفتونهم في ما يعتزمون القيام به حتى يضمنوا ولاء الرعايا ودعمهم، ولا يتورعون أحيانا عن شراء ذممهم، إذا لزم الأمر، كي يقفوا إلى جانب السياسة التي تضمن مصالحهم.

كذلك كان شأن علماء الدين في كل الأديان. قل منهم من ناصر رسول زمانه. ولم يشذ علماء الإسلام في إيران عن غيرهم من الملل الأخرى عن معاداة حضرة الباب والموعود الذي بشر به، فأفتوا على حضرته بالكفر وأحلوا سفك دمه في شيراز وإصفهان وتبريز، حيث عُقد له في تبريز اجتماع مع فقهائها بحضور رجال الدولة:

"وكان من بين المدعوين لهذا الاجتماع الحاج الملّا محمود، المسمى نظام العلماء وكان معلم ناصر الدين ميرزا ولي العهد، والملّا محمد المقاني وميرزا علي أصغر شيخ الإسلام وعدد من كبار علماء الشيخية والمجتهدين في الفقه. وكان ناصر الدين ميرزا حاضرًا بنفسه في هذا الاجتماع ... غضب نظام العلماء من الطريقة التي سلكها ذلك الجمع وسُمع يقول: 'وا أسفا على سفاهة أهل تبريز. فما هي العلاقة بين

** - محرك البحث غوغل. http://alshirazi.net/maqalat/159.htm

هذه الأسئلة التافهة وبين النظر في أمثال هذه الدعوة الخطيرة؟)... *وكان الملا محمد الممقاني مع ذلك مصرّا على رده العنيف وصاح في الجمع محتدّا: 'إني أحذركم بأنكم لو صرحتم لهذا الشاب أن يستمر في تنفيذ أعماله دون إيقافه عند حده فسيأتي اليوم الذي يدخل فيه كل سكان تبريز في أمره وينضمون إلى لوائه. وإذا أراد في ذلك اليوم، وأنتم مقبلون إليه، أن يظهر رغبته في طرد علماء تبريز حتى ولي العهد نفسه وأن يتولى زمام السلطة الدينية والمدنية وحده فلا يقدر أحد منكم على معارضته فعلا... وأخيرًا تقرر إحضار حضرة الباب إلى منزل ميرزا علي أصغر الذي كان شيخ الإسلام في تبريز وسيدًا، فيعاقب بأيدي حرس الحاكم بالعقاب الذي يستحقه. ولكن الحراس أبوا أن يطيعوا هذا الأمر مفضلين عدم التدخل في موضوع خاص بعلماء المدينة وحدهم. فعزم إذ ذاك شيخ الإسلام أن يوقع العقاب بنفسه. فاستدعى حضرة الباب إلى منزله وبيده ضربه بالعصى على قدميه إحدى عشرة مرة"* [61].

لم ينتبه هؤلاء المجتهدون الذين آذوا حضرة الباب بعد أن فشلوا في إقناع حضرته بالدليل والبرهان إلى ما كان لفتاواهم من أثر خطير على مجتمعهم، ولا إلى ما جرّ تصرفهم من سوء العاقبة على أنفسهم. وكان كل همّهم الوقوف في وجه الباب خوفا على مقاماتهم من انتشار دعوته، كما ورد ذلك في تحذير الملا محمد الممقاني في النص السابق.

***

61 - مطالع الأنوار. ص. 295/290

3. التفاعل بين العلماء ورجال السلطة

ما أن أدرك علماء شيراز نفوذ رسالة حضرة الباب، حتى شعروا بقوته التي تهدد مركزهم، فسكنهم الخوف من الدعوة الجديدة، وقاموا بالاعتراض عليها، وتحالفوا مع حاكم شيراز الذي سرّبوا إليه التوجس من الفتنة المحتملة، وأغروه بوضع حد لدعوة الباب، وأوعزوا إليه أخذ الاحتياط اللازم، بمعاقبة أول دُعاته الذين عرّضهم للجلد والمهانة بإحراق لحاهم وخرم أنوفهم والطواف بهم في أزقة المدينة، عبرة لغيرهم، وإصدار أمره بإلقاء القبض على حضرة الباب نفسه. إن هذا الحاكم الذي كان أول من استعمل الشدة في معاقبة المؤمنين بالدعوة البابية، هو:

"حسين خان والي شيراز الملقب بـــــــــ 'السكران' و 'الطاغية' وهو أول من أساء معاملة حضرة الباب وعنّفه على رؤوس الأشهاد، وأمر خادمه بأن يصفعه على وجهه بعنف"[62].

أما في إصفهان التي لقي فيها حضرة الباب التكريم والتبجيل، فإن علماءها الحذرين، امتنعوا:

... عن إتيان أي عمل عدائي سافر يعلمون علم اليقين أنه يفسد عليهم خطتهم، ولكنهم حاولوا عن طريق ترويج أشنع الإشاعات أن يحرضوا الصدر الأعظم على أن يتدارك موقفا يزداد حدة وتهديدا ساعة بعد أخرى..."[63]

ولم يجدوا بُدّا من عقد اجتماع للنظر في ما يمكن القيام به من أجل وضع حدّ لنفوذ دعوة حضرة الباب، لذلك:

---

[62] - كتاب القرن البديع. ص. 111.
[63] - نفس المرجع. ص. 35

" اجتمع المجتهدون والعلماء الذين أفزعتهم علامات هذا التأثير النفاذ، وأصدروا فتوى ملئت سبابا وقحا وختمها كبار رجال الدين في المدينة اتهموا فيها حضرة الباب بالمروق من الدين وأفتوا بقتله...

غير أن حاكم إصفهان لم يكن متفقا مع الشيوخ المجتهدين بخصوص الموقف من حضرة الباب الذي كان يميل إليه، ويعمل على حمايته من كيدهم وعداوتهم. الشيء الذي جعلهم يضطرون إلى تحريض الوزير الأول الحاج ميرزا آقاسي الذي كان مثلهم يخشى على نفوذه من تأثير حضرة الباب على مليكه.

وفي طهران التي شاءت الأقدار أن يصدر منها القرار الذي تحكّم في مصير حياة حضرة الباب، فقد عاصر حضرته ملكان، لكل واحد منهما نصيب في الأحداث التي صاحبت مسار حياته الأرضية، أحدهما:

" محمد شاه المتعصب المتذبذب، الذي رفض أن يحقق رغبة حضرة الباب في الحضور إلى العاصمة لإقامة الدليل على صدق دعواه، وأذعن لإلحاح وزيره الخبيث ... الحاج ميرزا آقاسي المطلق السلطان والقوة من وراء العرش، والمحرض الأول على الهجمات التي شنت على حضرة الباب بما في ذلك اعتقاله في جبال آذربيجان"[64]

ورغم الاهتمام الذي أبداه الشاه المريض لملاقاة حضرته والاستجابة لطلبه المتعلق بعقد جلسة له مع العلماء والأكابر في محضره، إلا أن وزيره الأعظم الذي فوّضه الصلاحية المطلقة، حال دون ذلك، وأبعده في المنفى بجبال آذربيجان بعيدا عن أهله والمؤمنين به. ولما زاد نفوذ حضرة الباب لدى السكان في تلك الأرجاء:

---

[64] - كتاب القرن البديع. ص. 111/110.

" أصدر الصدر الأعظم أمره التاريخي لكبار رجال الدين في تبريز بأن يجتمعوا على الفور ليتخذوا التدابير الفعالة الحاسمة التي تكفل إخماد لهيب هذه النيران المتأججة الأكالة إلى الأبد"[65].

وثانيهما ابنه ناصر الدين، ولي العهد وحاكم آذربيجان، الذي كان وقتذاك، حاضرا في محاكمة الباب من طرف العلماء في تبريز. وما أن جلس على سرير الملك حتى عين على الوزارة الأولى بدل ميرزا آقاسي:

" أمير النظام ميرزا تقي خان الوضيع الخسيس، الذي تلوثت أولى سنوات وزارته القصيرة العمر بالهجوم الوحشي على المدافعين عن قلعة طبرسي، وصادق على قتل شهداء طهران السبعة وشجع عليه، وشحن الهجوم على وحيد وزملائه، وعجل بفتنة زنجان العظيمة، والمسؤول الأول عن إصدار الحكم بقتل حضرة الباب..."[66]

وكان لهذا الوزير اليد الطولى في سياسة الدولة، والمسؤولية الأولى في محاولة القضاء على البابيين، بما فيها الحكم بإعدام حضرة الباب بإجازة فتاوى علماء تبريز.

*****

---

65 - نفس المرجع. ص. 42.

66 - نفس المرجع . ص . 111

V. المسار نحو الاستشهاد

اختصر ولي أمر الله مسار حضرة الباب نحو مأساة الاستشهاد في العبارة التالية:

" شيراز شهدت إعلان حضرة الباب التاريخي فهي ساحته الخالدة، وأصفهان قدمت له- على عجل- ملاذا تمتع فيه بقسط من الأمن والسلام. وأما آذربيجان فقد قدر لها أن تكون مشهدا لتباريح العذاب والاستشهاد"[67]

أجل، في شيراز ولد حضرة الباب وفيها أعلن دعوته وأبان في طفولته عن عرفانه اللدني الذي أبهر معلمه، وفيها جعل ملا حسين يؤمن به في أول لقاء معه، وأقنع في بداية الإعلان عن دعوته 'وحيد'، أول عالم معتمَد من طرف الشاه الذي جاء يختبره، فتحوّل بعد الجلوس والاستماع إليه إلى الإعجاب والانبهار بقدرة بيانه، مما جعله يقر بصحة رسالته ويكرس حياته لخدمته.

من المعروف أن علم رسل الله ومعارفهم إلّية غير مكتسبة: فلا إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، عليهم أفضل الصلاة والسلام، تتلمذوا على علماء الدين أو اختلفوا إلى حلقات التعليم، ولا كانوا محسوبين من فئة العلماء في زمانهم. ولكن علمهم كان ظاهرا مبهرا وحجتهم دامغة تحير عقلاء العلماء وتجذب قلوب الفضلاء، وكانت الآيات التي ينزلونها حجة كافية على صدق دعوتهم، كما أشار إلى ذلك رسول الله في محكم كتاب القرآن:

"أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم..."[68].

ومع ذلك فإن آيات الكتاب بقدر ما كانت برهانا كافيا لبعض النفوس فإنها كانت سببا إضافيا لاعتراض نفوس أخرى في أول نزولها.

---

[67] - كتاب القرن البديع.. ص. 38

[68] - العنكبوت. آية 51

كذلك كان شأن حضرة الباب الذي وإن كانت التجارة هي المهنة التي مارسها فإن علمه اللدني وقدرته على تنزيل الآيات وحل رموز المتشابهات كانت حجة كافية على صدق رسالته، كما يخبرنا حضرة عبد البهاء:

" وإذ كان معروفا لدى الناس بأنه لم يزاول أمر التعلم والتعليم تجلت مسألته وقضيته لهم خارقة للعادة فلفيف من الناس أقبلوا عليه وجمهور كبير صوبوا سهام الإنكار والتشريب إليه. وذووا المراتب والحيثيات وأصحاب المنابر والمحاريب من العلماء المجتهدين والفقهاء المعتبرين تحالفوا وتعاهدوا على إطفاء دعوته باستئصال جرثومته عدا زمرة من علماء طائفة الشيخية الذين اعتزلوا الخلق واعتكفوا وكانوا حسب مسلكهم دائما مشغولين بالبحث المتتالي عن شخص عظيم فريد أمين دعوه في اصطلاحهم بالركن الرابع وبمركز سنوحات حقائق الدين المبين ومن أولئك ملا حسين البشروئي ...*

تلك الثلة من العلماء الذين كرسوا حياتهم للبحث عن الموعود، هم الذين حملوا مهمة نشرها في مختلف جهات إيران، إلى أن وصل صداها إلى آذان القاصي والداني، وأثارت مخاوف رجال الدين الحريصين على مكانتهم، المدافعين عن عقيدتهم - وحضرة الباب لا يزال في بوشهر بعد رجوعه من الحج الى مكة و المدينة - فشمروا عن ساعد الجد، وبادروا بالاعتراض، وإثارة ثائرة السكان قبل أن تتمكن هذه الدعوة الجديدة من القلوب. فألقي القبض على بعض المؤمنين بحضرة الباب في شيراز، عندما:

---

* - الركن الرابع: لدى الشيخية هو الاعتراف بأن أولياء آل محمد هم أولياء الله ويجب ولايتهم وأعداء آل محمد هم أعداء الله ويجب عداوتهم. وعند الشيعة الاثني عشرية: الركن الرابع من الإيمان هم علماء الشيعة قاطبة.

... كثر القيل والقال وقامت ثورة الناس في (شيراز) وعلت ضوضاؤهم واشتد هياجهم ذلك لأن جمهورا غفيرا من العلماء قاموا على التضليل والتكفير وأفتوا بالقتل والتدمير وأغروا حاكم فارس (حسين خان أجودان باشي) بتعذيب دعاة الباب فجلد الملا صادق المقدس وأحرقت لحيته ولحية ميرزا محمد علي البارفروشي وملا علي أكبر الأردستاني وخزموا أنوفهم وطافوا بهم في الأزقة والأسواق ...

وبذلك بدأ الاصطدام الأول بين المؤمنين برسالة حضرة الباب وبين رجال الدين والحاكم في شيراز، فبعث:

... حاكم فارس بمشورة العلماء واستصوابهم ثلة من الفرسان فأحضروا الباب لديه وعند مثوله بين يديه أخذ في تأنيبه وتوبيخه بمحضر العلماء والفضلاء فصده الباب وقاومه أعظم مقاومة عند ذلك أومأ إليهم الرئيس فلطموه لطمة شديدة وأسرفوا في الإهانة والاعتداء بحيث سقطت عمامته عن رأسه وظهر أثر الضرب في وجهه وانتهى المجلس على أن يعتقل في بيته تحت ضمانة خاله (الحاج سيد علي) وأن يحال بينه وبين الأقارب والأباعد...

كانت عودة حضرة الباب من مكة إلى شيراز بداية نكبته، والشروع في الاستهزاء بحضرته والسخرية منه. وبدأت الأقدار تسجل فصلا جديدا من فصول مسار الدعوة الجديدة، بعد وصوله مخفورا إلى مدينته:

... ثم جاءوا به يوما إلى المسجد وأرادوا إجباره على إنكار مدعاه فصعد المنبر ونطق بما أسكت الحاضرين وصار سببا في ثبات ورسوخ التابعين وفهم من كلامه أنه يدعي وساطة الفيض من حضرة صاحب الزمان (أي المهدي) عليه السلام ثم ظهر أن مقصوده من لفظ الباب

كونه باب مدينة أخرى وأنه واسطة فيوضات من شخص آخر أتى على نعوته وأوصافه في سائر كتبه وصحفه"[69]

إن إشارته إلى أنه باب إلى مدينة أخرى، شبيه بما كان عليه النبي يحيى بن زكرياء في تبشيره بقرب ظهور السيد المسيح المجيد دون التصريح باسمه، في حديثه إلى علماء اليهود — في عملية تطهير الوافدين عليه في نهر الأردن لعل الله يغفر ذنوبهم – وهو العالم بما تكنّه قلوبهم، كما ورد في الإنجيل الجليل:

"فَلَمَّا رَأَى كَثِيرِينَ مِنَ الْفَرِّيسِّيِينَ وَالصَّدُّوقِّيِينَ يَأْتُونَ إِلَى مَعْمُودِّيَّتِهِ، قَالَ لَهُمْ: «يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي، مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي؟ 8فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ. 9وَلاَ تَفْتَكِرُوا أَنْ تَقُولُوا فِي أَنْفُسِكُمْ: لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَبًا. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ اللهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هذِهِ الْحِجَارَةِ أَوْلاَدًا لإِبْرَاهِيمَ. 10وَالآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ. 11أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلكِنِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ. 12الَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ، وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ، وَيَجْمَعُ قَمْحَهُ إِلَى الْمَخْزَنِ، وَأَمَّا التِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لاَ تُطْفَأُ»"[70].

وتتكرر مواقف علماء الدين وتكفيرهم رسل عصرهم، فيقلدهم في كفرهم التابعون لهم، وهم يعتقدون أن تصرفهم عين الصواب، كما يؤكد التاريخ كلما ظهر رسول، لدرجة أصبحت قاعدة علمية، لا

---

69 - مقالة سائح. ص. 5/4/ 6.

70 - الكتاب المقدس، إنجيل متى، الأصحاح الثالث

استثناء لها، تأكدت وقت ظهور الرسول محمد في الحجاز، حيث لم يُقبل على الإيمان برسالته كبار قريش ولا علماء اليهود ولا علماء النصارى، الذين بكفرهم كفر أتباعهم بالتبعية، كما أفاد حضرة ولي أمر الله:

" لو *آمنوا* (علماء مسيحيون) *بصحة رسالة حضرة محمد لتابعهم جمهور الناس من أهل دينهم بلا جدال*" [71]

وكذا لو آمن علماء اليهود وسادة القوم في مكة لآمن كل من كان على دينهم، لكن هذا لم يحدث كما لم يحدث في القرون الأولى ولا في أي زمان ظهر رسول وسط قومه، مما يؤكد القاعدة التي تتكرر أيضا في عصرنا، أيام ظهور حضرة الباب في شيراز مبشرا بحضرة بهاء الله.

***

[71] - كتاب القرن البديع . ص . 49

1. بداية الاضطهاد في شيراز

للدين أهمية كبيرة في النظام الاجتماعي الإيراني، يشكل التواصل الوحيد مع الله، والضامن لنيل رضائه في الدنيا وبعد الممات، والعامل القوي الذي يتفرد بجمع الأمة وتنظيم حياتها وفق ما يفهمه ويمليه علماؤها. وبالتالي فإن

المجتمع يرفض ويقاوم، بكل ما أوتي من حيلة وقوة، كل خارج عما اتفق علماء الدين عليه. لذلك وبمجرد الصدع بالإعلان عن توجيهات حضرة الباب إلى المؤمنين بأول أحكام شريعته المستقلة، قامت الفتنة الكبرى. ونال الملا صادق الخراساني، أول من جاهر بذلك في شيراز الأذى المهين، عندما:

*" دفعه ما أمر به حضرة الباب في ' **الخصائل السبعة** ' من تغيير صفة الأذان التقليدي إلى أن يؤذّنه بصورته المعدلة على مسمع من طائفة من أهل شيراز ، الأمر الذي صدمهم وأثار استنكارهم الشديد فألقوا عليه القبض على الفور، وأهانوه وخلعوا ملابسه وجلدوه ألف جلدة، وأمر حسين خان نظام الدولة حاكم إقليم فارس الخسيس الذي قرأ التحدي في قيوم الأسماء، بأن يعاقب الملا صادق والقدوس وأحد المؤمنين الآخرين عقابا علنيا سريعا، فأحرقوا لحاهم وخرموا أنوفهم وطافوا بهم في الشوارع والطرقات على هذا النحو المزري ثم طردوهم من المدينة"*[72].

وبذلك بدأ الاصطدام بين المؤمنين بالدين البابي الداعي للتجديد وبين الحكام ورجال الدين المحافظين على الأعراف والتقاليد، واحتدم الصراع والجدال والحديث بين الناس في مختلف الفضاءات، مما دفع حسين خان، حاكم شيراز العام، إلى إرسال رجاله إلى بوشهر عندما

---

[72] - كتاب القرن البديع . ص. 30

علم، عن طريق القدوس، بوصول حضرة الباب إليه. وفي الطريق سلم الباب نفسه لهم واقتيد مخفورا إلى شيراز، التي كان قد اضطرب فيها:

"حبل الأمن والسلام أيما اضطراب، وبدأ الشيوخ الخائفون الحاسدون الغاضبون كل الغضب يدركون حرج مركزهم. فأمر الحاكم الذي انخلع قلبه من الخوف، بأن يلقى القبض على حضرة الباب. فجيء به إلى شيراز تحت الحراسة المشددة..." [73]

*"وبمجرد أن أُخبر حسين خان بوصول حضرة الباب، استدعاه إلى محضره وقابله بكل وقاحة وأمره أن يجلس على كرسي أمامه في وسط الغرفة. ووبّخه أمام العموم ولامه على سلوكه بألفاظ بذيئة واحتج عليه غاضبًا بقوله: 'ألا تعلم ما جلبه عملك من المفاسد؟ وبأنك صرت لعنة على دين الإسلام المقدس وعظمة شخص مليكنا؟ ألست ذلك الرجل الذي تدعي أنك مبتدع أمرًا جديدًا يلغي أحكام القرآن المقدسة؟' فأجاب حضرة الباب بهدوء: "**إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**." فأثارت هذه الكلمات التي نطق بها حضرة الباب غضب حسين خان، وصاح قائلا: 'ماذا تقول؟ هل يجوز أن تنسب إلينا الفسق والجهل؟' وأمر مرافقه أن يصفع حضرة الباب على وجهه، فكانت اللطمة شديدة بدرجة أن عمامته وقعت على الأرض. ولكن الشيخ أبو تراب إمام الجمعة في شيراز الذي كان حاضرًا في ذلك الاجتماع، والذي كان رافضًا تصرف حسين خان، أمر بإعادة عمامة حضرة الباب وطلب منه أن يجلس بجانبه. والتفت إلى الحاكم وشرح له الظروف التي نزلت فيها الآية القرآنية التي اقتبسها حضرة الباب، وأراد بهذه الوسيلة أن يهدّي ثورة غضبه..."* [74]

---

[73] - المصدر السابق نفسه. ص. 30

[74] - مطالع الأنوار. ص. 136 -137.

ما أن علمت والدة حضرة الباب بما يتعرض له ابنها من إهانة حتى هرع خاله إلى مقر الحاكم يلتمس تسريح ابن أخته، ووافق الحاكم شرط أن لا يخرج من داره وأن لا يلتقي بأحد من الناس، فعقّب الخال موضحا أنه تاجر معروف في المدينة وأن الكثيرين يعرفونه ولسوف يزورونه بعد عودة ابن أخته من الحج، كما هي العادة، فلم يمانع الحاكم.

وكان الحاكم يريد إحضار الباب إلى المسجد حتى يدحض ما يدعيه، فاضطر إمام الجمعة أن يرسل إلى خاله:

"... رسالة سرّية إلى الحاج ميرزا سيد علي، يطلب منه أن يحضر حضرة الباب يوم الجمعة إلى مسجد الوكيل حتى يوفي بالتعهد الذي أعطاه. وقال له: 'أرجو أن تكون أقوال ابن أختك بعون الله سببًا في إخماد الهياج وتهدئة الخواطر حتى بذلك ترتاح ونرتاح معك.'

*ووصل حضرة الباب إلى المسجد مع الحاج ميرزا سيد علي في الوقت الذي صعد فيه إمام الجمعة إلى المنبر وأوشك على البدء بموعظته. وبمجرد أن وقعت عيناه على حضرة الباب، أعلن ترحيبه به وطلب إليه أن يصعد المنبر ويخطب في الناس. فتقدم حضرة الباب إجابة لطلبه ووقف على الدرجة الأولى من المنبر وتهيأ ليخطب في الحاضرين، فطلب منه إمام الجمعة أن يصعد المنبر، فصعد درجتين طبقًا لإرادته، بحيث كان وهو واقف يحجب برأسه صدر الشيخ أبو تراب الذي كان على أعلى المنبر. وابتدأ إقراره بمقدمة، وما كاد ينطق بقوله: '**الحمد لله الذي خلق السموات والأرض بالحق.**' حتى اعترضه سيد يعرف باسم "سيد شِش پري"، وظيفته حمل الصولجان أمام إمام الجمعة، وصاح بوقاحة قائلا: 'كفى هذا الكلام الفارغ! أسرع وقرر الشيء الذي تريد أن تقوله.' فغضب إمام الجمعة غضبًا شديدًا من وقاحة هذا السيد*

ووبخه قائلا: 'اسكت يا هذا واخجل من وقاحتك.' ثم التفت إلى حضرة الباب وسأله أن يختصر في القول حتى يسكن هياج العامة. فواجه حضرة الباب الجمع المحتشد وقال: 'لينزل غضب الله على كل من يعتبرني وكيلاً عن الإمام أو الباب إليه. لينزل غضب الله أيضًا على كل من ينسب إليّ إنكار وحدانية الله أو إنكار نبوة محمد خاتم النبيين أو رسالة أي من رسل الله أو وصاية علي أمير المؤمنين أو أي أحد من الأئمة الذين خلفوه.' ثم صعد إلى ذروة المنبر وعانق إمام الجمعة، ثم نزل إلى أرض المسجد وانضم إلى المؤمنين لأداء صلاة الجمعة. فتدخل إمام الجمعة وطلب منه الانسحاب وقال له: إن أسرتك تنتظر عودتك بقلق بالغ. وجميعهم يخشون أن تصاب بمكروه. فاذهب إلى منزلك..."[75]

أثناء تواجد حضرة الباب تحت الإقامة الجبرية بمنزل خاله في شيراز، كان حسين خان القاسي المحب للانتقام يتضايق مما يرسله:

" إليه جواسيسه وعيونه الساهرون من تقارير تقول بأن قوة الأسير وشهرته تزدادان ساعة بعد أخرى. فصمم على أن يخطو خطوة مباشرة حاسمة بل إنه يقال إن شريكه الحاج ميرزا أقاسي كان أمره من قبل بأن يقتل حضرة الباب غيلة بدعوى أنه لو أطلق له العنان لدمر المملكة وهدم دينها الراسخ. وبأمر من الحاكم تسور عبد الحميد خان كبير الضباط السور في جنح الليل، ودخل منزل الحاج ميرزا سيد علي حيث كان حضرة الباب معتقلا، وألقى القبض عليه وصادر جميع كتبه ووثائقه. إلا أنه في تلك الليلة حدثت حادثة مفاجئة دبرتها العناية الإلهية دون شك لكي تفسد على المتآمرين خططهم، وتمكن هدف كراهيتهم (حضرة الباب) من أن يطيل ولايته ويتم رسالته. فقد تفشى

---

[75] - المرجع السابق نفسه. ص. 136- 140.

وباء الكوليرا فجأة، وفتك منذ أن تغشى في منتصف الليل بما يزيد على مائة شخص. وداخل كل قلب الرعب من الوباء، وبات أهل المدينة الموبوءة يفرون مضطربين بين صرخات الألم والفزع، ومات ثلاثة من خدم الحاكم وسقط أفراد أسرته يقاسون من المرض. فولى الحاكم الأدبار يائسا إلى حديقة له خارج المدينة تاركا وراءه الموتى دون دفن. فلما واجه عبد الحميد خان هذا الموقف غير المنتظر قرر أن يسوق حضرة الباب إلى منزله، وما أن بلغ المنزل حتى تملكه الرعب والفزع، فقد علم بأن ولده يعالج سكرات الموت من الوباء. فألقى بنفسه يائسا على قدمي حضرة الباب متوسلا إليه أن يغفر له وألا يحمّل الولد أوزار أبيه، وأقسم على أن يستقيل من منصبه وألا يقبل منصبا مثله من بعد أبدا. فلما رأى دعاءه قد استجيب أرسل التماسا إلى الحاكم يرجوه فيه أن يطلق سراح الأسير فيعفي بذلك المدينة من هذا الوباء الوبيل، فاستجاب حسين خان لرجائه وأطلق سراح سجينه على شرط أن يغادر المدينة"[76]

سرعان ما سرت أخبار حضرة الباب في كل الأنحاء، قبل خروجه من شيراز، *'وبلغ الهياج مبلغا لم يعد الشاه يستطيع أن يتجاهله، فانتدب السيد يحيى الدارابي'*، أحد العلماء الأكفاء المعتمدين، ليبحث الموضوع ويأتيه بالخبر اليقين.

ورجّعت صدى حضرة الباب القوي خارج إيران، جريدة 'التايمز' اللندنية التي نشرت تقريرا في تاريخ أول نوفمبر/تشرين الثاني 1845 تحت عنوان 'إيران'، جاء فيه أنها توصلت برسالة من بوشهر بتاريخ العاشر من أغسطس/آب المنصرم، تقول (ما مضمونه):

---

[76] - كتاب القرن البديع. ص. 33/32.

" إن تاجرا إيرانيا عاد مؤخرا من الحج إلى مكة، حاول أن يؤكد أنه أحد ورثة محمد، وبالتالي من واجب المسلمين أن يذكروه في صلواتهم؛ وقد جمع حوله عددا من الأتباع الذين ساعدوه سرا على نشر دعوته. وقد علمتُ مساء يوم 23 يونيو المنصرم من مصدر موثوق، أنه قد ألقي القبض على أربعة أشخاص في شيراز عندما أعلنوا عن إيمانهم وفق الكيفية التي قال بها (المدعي)، ولدى استجوابهم وجدوهم مذنبين بذنب الكفر الذي لا يغتفر. فحكموا عليهم بحرق لحاهم. فنفذ فيهم الحكم بكل حماس وتعصب المؤمن الحق بمحمد. ولما كان حرق لحى المؤمنين ب(المدعي) غير مقنع، فإنهم في اليوم التالي سوّدوا وجوههم وطافوا بهم في شوارع المدينة. يقود كل واحد منهم المكلف بالتنفيذ بعد أن وضع ثقبا في أنفه، مرّر منه خيطا يجذبه بقوة يجعل البائس يصرخ طالبا الرحمة من المنفذ والانتقام من الله. إنها العادة في إيران في مثل هذه المناسبات أن يجمع المنفذون المال من المشاهدين خاصة من أصحاب المتاجر. وفي المساء عندما تكون جيوب المنفذين مليئة بالنقود يقودون البؤساء إلى باب المدينة ويقولون لهم: العالم كله أمامكم لتختاروا فيه مكانا لكم.

بعد ذلك أرسل ملاوات شيراز رجالا إلى بوشهر بأمر القبض على (المدعي)، وإحضاره إلى شيراز، حيث استجوب، وتمكن بكل حكمة إنكار تهمة الكفر الموجهة إليه، الذي أنجاه من العقاب"[77].

إن السرعة التي انتشرت بها دعوة حضرة الباب تدعو إلى الاستغراب، خاصة أن وسائل النقل وبنيتها التحتية في ذلك الزمان، في إيران، لم تكن سريعة: فلا سيارات ولا قطر ولا طائرات ولا وسائل للاتصال السريع مثل ما هي عليه اليوم، من وسائل البر والجو السريعة، والمذياع

[77] - البابية والبهائية، من 1844 إلى 1944 بعض الروايات الغربية المعاصرة (The Babi and Bahai religions, 1844-1944/ Some contemporary western accounts). ص . 69.

والتلفاز والهاتف المحمول. ومع ذلك، فإنه في ظرف خمس أو ست سنوات – من إعلان حضرة الباب دعوته في 1844 إلى استشهاده عام 1850– انتشرت دعوته في كل إيران، ورددت صداها، منذ العام الأول، وسائل الإعلام في الغرب.

***

2. في إصفهان

أثناء إقامة حضرته الجبرية في شيراز، طرأت أحداث أدت إلى خروجه من مدينته، ومنها انتشار وباء الكوليرا. وفي صبيحة تلك الليلة التي فشا فيها الوباء شرع الباب والسيد كاظم* في مغادرة شيراز، ولما اقترب حضرة الباب من ضواحي إصفهان:

" كتب خطابا إلى منوچهر خان معتمد الدولة والي تلك المقاطعة وطلب إليه أن يعين له مكان الإقامة حسب رغبته. وكان الخطاب الذي أرسل بواسطة السيد كاظم ناطقًا بالاحترام ومحررًا بخط رائع جعل المعتمد يأمر سلطان العلماء إمام الجمعة في إصفهان وهو أكبر رجال الدين في تلك المقاطعة، بأن يستقبل حضرة الباب ويستضيفه في منزله بكل ترحاب وإكرام. وإضافة إلى ذلك أرسل الحاكم لإمام الجمعة خطاب حضرة الباب. فأمر سلطان العلماء أخاه، الذي تسمى فيما بعد بـ"الرقشاء" من قلم حضرة بهاءالله نظرًا للوحشية التي ظهرت منه في السنين اللاحقة، أن يذهب مع بعض أصحابه المقربين لاستقبال ومرافقة الزائر المنتظر إلى بوابة المدينة. وإذ اقترب حضرة الباب، خرج إمام الجمعة بنفسه للترحيب به وأدخله منزله باستقبال رسمي... ووصلت محبة إمام الجمعة من أول ليلة إلى درجة أنه أعد نفسه لخدمة ضيفه المحبوب وقضاء حوائجه بنفسه، وكان يمسك بالإبريق من يد رئيس خدمه ويصب الماء بنفسه على يدَي حضرة الباب متناسيًا بالكلية شرف رتبته ".[78]

* - السيد كاظم الزنجاني: أحد المؤمنين الذي كان حاضرا بمنزل الباب، عندما اقتحمه *كبير الضباط عبد الحميد خان بأمر حاكم شيراز*. استشهد في ملحمة طبرسي.(كتاب الباب)

[78] - مطالع الأنوار. ص. 181- 183.

انجذبت قلوب أهل هذه المدينة إلى حضرة الباب الذين افتتنوا بشخصه ورحبوا بوفادته وأحلوه المقام الرفيع في وسطهم، وأحاطوه بهالة من التقديس واستقبلوه:

"... استقبالا حافلا، وبلغ من تأثير سحره الذي أسر به أهل المدينة، أن جماعة من أهلها اندفعوا أثناء عودته من الحمام العام، ذات مرة، يطلبون الماء الذي استحم به. بل لقد بلغ من جاذبيته أن مضيفه كان يصر على أن يقوم على خدمته بنفسه، متجاهلا مكانته الرفيعة...

وفي مأدبة أقيمت لحضرته حضر فيها حاكم إصفهان أيضا:

... ونزولا عند رغبة ذلك العالم الجليل أنزل حضرة الباب- ذات ليلة بعد العشاء- تفسيره الشهير لسورة 'والعصر' فأخذ يكتب بسرعة مدهشة، وأنزل في بضع ساعات ما يعادل ثلث القرآن من الآيات التي تنصب كلها على تفسير الحرف الأول من السورة (أي الواو) وهو حرف بالغ الشيخ أحمد الأحسائي في التنبيه عليه"[79].

انتقلت مكانة حضرة الباب من التقدير والتبجيل التي احتلها لدى مضيفه الذي قام على خدمته بنفسه، أثناء الأربعين يوما الأولى من إقامته في إصفهان، إلى حاكم الإقليم ذاته، الذي آمن به، وعمل على حمايته بعد ذلك:

" إن منوشهر خان الرزين الحكيم لم يتمالك نفسه من زيارة شخصية فذة ذات جاذبية إلى هذا الحد. وكان منوشهر خان مسيحيا من أهل جورجيا. وأمام جمع حاشد من رجال الدين الناهمين طلب إلى حضرة الباب أن يثبت له صدق رسالة محمد رسول الله الخاصة، فاستجاب حضرة الباب من فوره لهذا الطلب الذي كان الحاضرون يشعرون بالحرج من الاستجابة له. وفي أقل من ساعتين، وفي خمسين صفحة،

---

79 - كتاب القرن البديع. ص. 34.

أنزل حضرة الباب بحثا دقيقا قويا بليغا في هذا الموضوع الرفيع. ليس هذا فحسب، بل إنه ربطه كذلك بقدوم القائم الموعود ورجعة الإمام الحسين، وبلغ البحث من الإقناع حدا دفع منوشهر خان إلى أن يعلن على رؤوس الأشهاد إيمانه بالإسلام ونبي الإسلام واعترافه بالمواهب اللدنية التي امتاز بها صاحب البحث الذي بلغ هذا المبلغ من قوة الإقناع...

شكل موقف إمام الجمعة وحاكم إصفهان وجمهور الناس سدا منيعا حال دون تسليط الأذى على حضرة الباب، كما يحكي ولي أمر الله:

... امتنع الشيوخ عن إتيان أي عمل عدائي سافر يعلمون علم اليقين أنه يفسد عليهم خطتهم، ولكنهم حاولوا عن طريق ترويج أشنع الإشاعات أن يحرضوا الصدر الأعظم على أن يتدارك موقفا يزداد حدة وتهديدا ساعة بعد أخرى، فالشهرة التي يتمتع بها حضرة الباب ووقاره وهيبته، والتشريف الذي يتلقاه به مواطنوه بلغ أقصى غاية آنذاك. وسرعان ما أخذت ظلال المصير الداهم تتجمع بسرعة من حوله... فلقد نشط الحاج ميرزا آقاسي المستبد الماكر كما لم ينشط من قبل خشية أن يطوق حضرة الباب مليكه بنفوذه فيختم بذلك على مصيره. وقد عنف إمام الجمعة على تقصيره في أداء الواجب المقدس، وكان دافعه في ذلك ارتيابه من أن حضرة الباب يتمتع سرا بعطف معتمد الدولة وعلمه بأن الأخير هو موضع ثقة الشاه. وفي الوقت نفسه كتب خطابات عديدة إلى علماء اصفهان يتملقهم فيها، ولم يكن من قبل يقيم لهم وزنا. فأخذ رجال الدين الذين حُرّضوا يطعنون ويكيلون السباب من المنابر لمؤسس هذه النحلة التي بدت لهم كفرا وإلحادا

كريها يجب توقيه والخوف منه. بل لقد حرض الشاه نفسه على استدعاء حضرة الباب إلى عاصمة ملكه"[80]

إن المكانة الرفيعة التي احتلها حضرة الباب سواء لدى مضيفه، إمام الجمعة، والتبجيل والاحترام الذي أبداه سكان المدينة وحاكمها لحضرة الباب، قد:

أثار ... عداوة علماء إصفهان، وشاهدوا بمشاعر الامتعاض دلائل تأثيره النافذ يخترق معاقل الدين التقليدية ويهدم أساساتها. فدعوا إلى عقد اجتماع وفيه حرروا وثيقة ختمها كل من الرؤساء الدينيين في المدينة وحكموا فيها على حضرة الباب بالإعدام. ووافقوا جميعهم على هذا الحكم عدا الحاج السيد أسد الله والحاج محمد الآبادي، فإنهما رفضا أن يكون لهما أية صلة بمضامين وثيقة على هذا النحو الواضح من الاعتساف. وأما إمام الجمعة فمع امتناعه عن إمضاء حكم الإعدام على حضرة الباب فإنه كتب إقرارًا بخط يده على الوثيقة بسبب شدة جبنه الشديد وطموحه الأكال: 'أشهد أني في مدة صحبتي مع هذا الشاب لم أجد منه عملاً يناقض أحكام الإسلام، وبالعكس لم أرَ منه إلا التقوى وإنه شديد التمسك بأحكامه، ولكن مغالاته في الإدعاء واحتقاره لأمور هذا العالم تجعلني أعتقد أنه خال من العقل والحجى.'"[81]

ما كان لحاكم إصفهان أن يتجاهل الموضوع، ويترك الأمور تتطور إلى ما لا تحمد عقباه، بعدما أصرّ العلماء في اجتماعهم على إلحاق الأذى بحضرة الباب، وهو يدرك تمام الإدراك ما لاتّفاقهم من نفوذ، مما جعله يضيق ذرعا بتصرفاتهم، وأسرّ إلى إمام الجمعة أن يحتفظ بالضيف في منزله، إلى أن يحين الوقت المناسب لمغادرة المدينة. ودبر لحمايته:

---

80 - نفس المرجع. ص. 35

81 - مطالع الأنوار. ص. 190-191

"خطة لكي يهدئ الخواطر الثائرة، فأوحى إلى الأهلين الذين كانوا يزدادون هياجا بأن حضرة الباب قد رحل إلى طهران. وفي الوقت نفسه هيأ له استراحة قصيرة قوامها أربعة أشهر في 'عمارة خورشيد' وهي قصر الحاكم الخاص في إصفهان..."[82].

أثناء هذه الإقامة في مقر الحاكم الذي كان يقوم بنفسه على خدمة ضيفه بكل ما يلزم لراحته واطمئنانه، بعيدا عن عيون الناس، كان حضرة الباب لا يستقبل في المدينة أحدا من المؤمنين القلقين بشأن مصيره، ما عدا ثلاثة أشخاص كانوا وسائط طمأنة المؤمنين على محبوبهم، بينما كان الحاكم ينعم بلقاء حضرته ويفوز بالقيام على خدمته:

" ... وذات يوم أثناء جلوسه مع حضرة الباب في حديقته الخاصة داخل باحة المنزل، أفضى المعتمد إلى ضيفه ببعض أسراره وخاطبه قائلاً:

إن الذات العلية قد وهبتني أموالا عظيمة ولا أعلم كيف أصرفها على أحسن وجه والآن الحمد لله قد وصلت إلى معرفة حقيقة هذا الظهور ولي رغبة شديدة في أن أخصص كل ممتلكاتي للصرف منها على شئون هذا الأمر ولإعلاء صيته ولي رغبة أن أسافر بإذنك إلى طهران وأعمل جهدي حتى يعتنق محمد شاه هذا الأمر وهو شديد الثقة بي. وإني متأكد أنه سيقبل الدعوة ويقوم على ترويجها في كل الأكناف. وسأجتهد أن اقنع الشاه أن يطرد الحاج ميرزا آقاسي الفاسق الذي جعل البلاد تشرف على الخراب بطيشه وسوء إدارته. ثم أجتهد أن أحصل لك على يد إحدى أخوات الشاه وأنفذ مراسيم الزواج بنفسي. وأخيرًا أرجو أن أكون قادرًا على أن أكسب قلوب حكام

---

[82] - كتاب القرن البديع. ص. 36.

الأرض وملوكها إلى هذا الأمر المدهش وأن أقضي على كل أثر باق من هذه الهيئات الدينية التي لطخت اسم الإسلام النظيف. فأجابه حضرة الباب قائلا:

جازاك الله خيرًا على مقاصدك النبيلة فإن مثل هذا الغرض السامي بالنسبة لي أثمن من الفعل نفسه. ولكن أيامك وأيامي في هذه الدنيا محدودة وهي أقصر من أن تمكنني من مشاهدة تحقق آمالك أو أن تسمح لك أن تعمل على تحقيقها، فلا يتم الله القدير نصرة أمره بالطرق التي تتصورها بل بواسطة المساكين والمستضعفين في هذه الأرض، وبدمائهم التي يسفكها أولئك في سبيله يحقق القدير أمره ويحفظه ويصونه ويوطد أركانه. وسيتوج الله في العالم الآتي رأسك بإكليل الفخر الأبدي ويمطرك ببركاته التي لا تحصى...[83]

أطلعه حضرة الباب على حقيقة الفضل الإلهي الخفي، الذي يمنّ به على من يشاء من المستضعفين في الأرض، ويميزهم على غيرهم بموهبة التضحية في سبيل الفوز بنصرة أمر الله. وسرعان ما تحقق ما أنبأ به الحاكم الذي فاجأه الموت بعد وقت قصير، فتولى نائبه ' گرگين خان' حكم إصفهان، الذي علم:

"... من أحد المطلعين بمقر حضرة الباب الحالي في عمارة خورشيد وبالانعامات التي أعطاها سلفه لصديقه خاصة منزله وكذلك أطلعه على سرّ الاحتياطات التي عملها سلفه لحماية ضيفه. ولدى اطلاعه على تلك المعلومات أرسل گرگين خان رسوله إلى طهران ليسلم الرسالة الآتية إلى محمد شاه شخصيًّا:

كان من المعتقد في إصفهان منذ أربعة أشهر أن معتمد الدولة سلفي قد أرسل السيد الباب إلى مقر حكومتكم بناء على استدعاء جلالتكم.

---

[83] - مطالع الأنوار. ص. 194/193

وقد ظهر الآن أن هذا السيد قاطن في عمارة خورشيد، مقر إقامة معتمد الدولة الخاص. واتضح أن سلفي قد أكرم السيد الباب في ضيافته واجتهد في إخفاء ذلك السر عن الناس وعن المسؤولين في المدينة. فمهما يرى الآن جلالة الملك فإني أتعهد القيام بتنفيذه بلا تردد، ولما كان الشاه مقتنعًا بولاء المتعمد، فقد أدرك عندما استلم تلك الرسالة أن رغبة الحاكم المخلصة كانت في انتهاز فرصة مناسبة لترتيب اجتماع بينه وبين حضرة الباب، وإن منيّته المفاجئة عاجلته وحالت دون تنفيذ تلك الخطة. فأصدر أمرًا ملكيًا بدعوة حضرة الباب إلى العاصمة وفي خطابه إلى گرگين خان أمره أن يرسل حضرة الباب متخفيًا بصحبة حرس من الخيالة برئاسة محمد بيك چاپارچي من طائفة "عليُّ اللّهي" إلى طهران وأن يظهر له منتهى الاعتبار أثناء سفره وأن يبقي أمر مغادرته سرًا مكتومًا فذهب گرگين خان توًا إلى حضرة الباب وسلمه الخطاب الصادر من الشاه. ثم دعا محمد بيك وأطلعه على رغبات الشاه، وأمره بالاستعداد للرحيل، وحذره قائلاً: 'احترس لئلا يطلع أحد على شخصيته أو يشتبه فيه. ولا تجعل أحدًا خلافك يعرف شخصيته حتى ولا أفراد حرسه. وإذا سألك أحد عنه فقل إنه تاجر مطلوب للعاصمة ولا نعلم هويته.' وبعد منتصف الليل قام حضرة الباب بالارتحال عن المدينة إلى جهة طهران تبعًا للأوامر الصادرة" [84].

لم يتردد جرجين خان في الاستجابة للأمر الملكي المكتوب، وأرسل الباب مخفورا إلى طهران. وبينما كان الحراس على بعد قريب من العاصمة، وردت أوامر تغيّر وجهة المسار: .

[84] - مطالع الأنوار. ص. 195 - 196.

"جاء رسول وسلم محمد بك رئيس الحرس أمرا كتابيا من الحاج ميرزا أقاسي يأمره فيه بأن يتجه إلى 'كلين' ويتوقف هناك إلى أن تصدر إليه تعليمات أخرى. وبعد ذلك بقليل تلقى حضرة الباب رسالة من الشاه في ربيع الثاني 1263... وهي وإن كانت مهذبة العبارات إلا أنها تكشف عن مدى التأثير السيء الذي كان للصدر الأعظم على مولاه. وهكذا فشلت كل الخطط التي طالما علق عليها منوجهر خان الآمال. وكان المكان الذي عينه محمد شاه معتقلا لحضرة الباب بنصيحة الصدر الأعظم الغدار هو قلعة ماه كو..." [85]

لم تطل مدة إقامة حضرة الباب في مكان الانتظار هذا إلا أياما معدودة حتى أتت التعليمات من طهران، تضمّنها خطاب الشاه ذاته، يقول:

"ولو أننا كنا نود مقابلتك إلا أننا نجد أنفسنا غير قادرين على استقبالك في طهران بما هو لائق لك، نظرًا لمغادرتنا عاصمتنا. وقد أبدينا رغبتنا أن تُرسَل إلى ماه كو وأصدرنا التعليمات اللازمة إلى علي خان محافظ القلعة أن يعاملك بالإجلال والاعتبار. وأملنا وعزمنا أن نطلب حضورك لدى عودتنا إلى سرير السلطنة، وفي ذلك الوقت نقدر أن نحكم في مسألتك ونعتقد إننا لم نسبب لك أي انزعاج وإنك لا تتأخر أن تخبرنا عن أي حيف يصيبك ونتمنى لك أن تستمر على الدعاء والتوفيق لنا والسعادة لمملكتنا.' (مؤرخ في ربيع الثاني سنة 1263هـ.)" [86]

وبهذه الرسالة من جلالة الشاه، وبإيعاز من وزيره الأول الذي كان يثق به، وُضع الحد لطلب حضرة الباب الحضور إلى عاصمة البلاد من أجل

85- كتاب القرن البديع. ص. 36.
86 - مطالع الأنوار . ص. 210- 211

إظهار الحجة وإقامة الدليل على صحة رسالته أمام العلماء ورجال الحكم في محضر الملك.

***

3. تحويل المسار نحو آذربيجان

توهم الوزير الأول أن حضرة الباب يشكل منافسا قويا ومزاحما له في مكانته عند الشاه، يرهقه هاجس فكرة تأثير حضرته على مليكه، صاحب نعمته، فحال بين لقائهما دون أن يراوده الاتعاظ بما حدث للحاكم المتواطئ معه لإيذاء حضرته في شيراز:

"... الذي فر فرارا مخزيا، وأطلق سراح أسيره عندما تجرع أول جرعة من غضب الله المنتقم وهو فزع يرتجف، وإنما أخذ بدوره يدخر لنفسه غضبا إلهيا شديدا محتوما، ويمهد السبيل لسقوطه نتيجة لتلك الأوامر التي أصدرها".[87]

كانت تعليمات الحاجي ميرزا آقاسي لرئيس الحراس واضحة. تقضي بالتزام السرية في هذه الرحلة وعدم الكشف عن المهمة المنوطة بهم وإخفاء حقيقة حضرة الباب وعدم الدخول في المدن، لدرجة أنهم ألبسوه قلنسوة بدل العمامة الخضراء التي تميز نسبه الشريف إيغالا في التمويه حتى لا يتعرف أحد عليه، احترازا من أي طارئ، إلا أن يد الغيب أبطلت خطة الكائدين، إذ:

"... في ليلة اليوم الذي سبق وصول حضرة الباب إلى كاشان، كان الحاج ميرزا جاني المشهور بـ"كَرِيا" وهو من مشاهير سكان المدينة، قد رأى في المنام كأنه واقف غصرًا في ساعة متأخرة على بوابة العطار، إحدى بوابات المدينة، إذ رأت عيناه فجأة حضرة الباب راكبًا جواده وعلى رأسه "كلاه" بدل العمامة التي اعتاد لبسها، وكان في حراسته من الأمام والخلف عدد من الخيالة يبدو أنه سلم إلى عهدتهم، وإذ

---

87 - كتاب القرن البديع . ص. 39.

اقترب من البوابة حيّاه حضرة الباب قائلاً: سوف نكون ضيوفًا عليك مدة ثلاث ليال فاستعد للقائنا.

وإذ استيقظ شعر من وضوح رؤياه أنها حقيقية وجاءته على غير انتظار واعتبرها في نظره بمثابة إنذار سماوي رأى من واجبه الالتفات إليه وتنفيذه. وبناء عليه أخذ في إعداد منزله لنزول الزائر وتوفير كل ما يبدو ضروريًا لراحته. وبعد أن أتم الترتيبات للوليمة التي عزم على تقديمها لحضرة الباب في تلك الليلة، ذهب الحاج ميرزا جاني إلى بوابة العطار وانتظر هناك علامات وصول حضرة الباب المتوقع. وفي الساعة المعينة بينما كان يمعن النظر في الأفق شاهد عن بعد، مجموعة من الخيالة تتقدم نحو بوابة المدينة. ولما أسرع للقائهم ميزت عيناه حضرة الباب محاطًا بحرسه وهم بنفس الملابس والهيئة التي رآهم بها في الرؤيا، فاقترب منه الحاج ميرزا جاني بفرح وانحنى ليقبّل ركابه، فمنعه حضرة الباب وقال: 'سنكون ضيوفك مدة ثلاث ليال. وغدًا هو يوم النوروز فسنحتفل به سويًا في منزلك.' وكان محمد بيك ممتطيًا جواده بجانب حضرة الباب، فظن أن حضرته صديق حميم للحاج ميرزا جاني، فالتفت إليه وقال: 'أنا مستعد لتنفيذ كل ما يأمر به السيد الباب، ولكني أطلب منك أن تطلب من زميلي الذي يشاركني في الحراسة إلى طهران الموافقة على ذلك...'"[88]

أظهر ميرزا جاني كثيرا من المحبة والكرم في منزله لضيفه وزواره وبعض أتباعه وحراسه، مما أكسبه رضاء ومدح حضرة الباب، وإعجاب الحراس بكرمه ودماثة أخلاقه أثناء الليالي الثلاثة التي قضاها ضيفه في ضيافته دون حراسة.

---

[88] - كتاب مطالع الأنوار. ص. 197-198.

تابع حضرة الباب طريقه مخفورا بالحراس إلى أن وصلوا قريبا من 'قم'، حيث قال له حراسه، إننا مأمورون:

'أن نسلك بك طريقًا غير اعتيادي لإيصالك مباشرة إلى طهران. وقد صدرت إلينا التعليمات الخاصة بأن لا نقترب من حرم المعصومة، الذي من التجأ إليه يكون آمنًا من القبض عليه، حتى ولو كان من أعتى المجرمين. إلا أننا مستعدون أن نتجاهل بالكلية لأجلك كل الأوامر التي تلقيناها. وإذا أردت فإنا دون تردد نمرّ بك من وسط شوارع مدينة قم ونمكّنك من زيارة المقام المقدس.' فأجاب حضرة الباب بقوله: 'قلب المؤمن عرش الرحمن، والذي هو سفينة النجاة وحصن القادر الذي لا غالب له، يسافر معكم الآن في هذه البيداء، وإني أفضّل السير في طريق الريف عن الدخول إلى هذه المدينة الفاسدة، فالمعصومة التي دُفنت بقاياها في هذا المقام تندب هي وأخوها وأسلافها اللامعون مصيبة هؤلاء القوم الأشرار. فهم يحترمونها بأفواههم ويهينون اسمها بأعمالهم. في الظاهر يخدمون ضريحها ويحترمونه، وفي الباطن يلوثون شرفها...

تابع الحراس طريقهم متجهين نحو 'ماه كو'، وفق ما تقتضي توجيهات الشاه. وفي بلدة 'كلين'، توصل حضرة الباب برسالة وببعض الهدايا من بهاء الله. ما أن استلمها حتى تهلل وجهه فرحا وسرورا، جددت فيه:

... نشاطا وسلوًا ونفت ذلك الغم الذي كان يساور قلبه ونفثت في روحه تأكيد الفوز والنصر فتبدد ذلك الحزن الذي كانت تزيده متاعب الأسر...

كانت الفرقة المسؤولة عن حراسة حضرته، منذ الخروج من إصفهان، قد تأثرت بما شاهدته من بركات غير طبيعية في شخصه، الشيء الذي جعل محمد بك رئيس الحراس يؤمن بمقام حضرة الباب مثلما انجذب

إلى شخصه الحراس المرافقون الذين تأسفوا على فراقه قبل تسليمه لحاكم تبريز، كما يروي النبيل:

... لما اقترب الركب من بوابة تبريز وشعر محمد بك بأن ساعة الفراق من مسجونه، قد دنت، حضر أمامه وبأعين دامعة رجاه أن يغفر له تقصيره وتعديه وقال له: إن السفر من إصفهان كان طويلا وشاقاً وقد قصرت في أداء واجبي في خدمتك كما ينبغي لي، لذلك أستسمحك وأرجوك أن تباركني... وفعل باقي الحرس كما فعل رئيسهم وتضرعوا إلى مسجونهم أن يباركهم وقبلوا قدميه وودعوه الوداع الأخير بعيون دامعة "[89]

ولما وصلوا إلى قرية قريبة من تبريز استجاب حضرته لالتماس سيدة أن يشفي ببركته مريضها، التي اعتبرها السكان معجزة لا تصدر إلا من شخص له سلطة روحانية، كما أورد الحكاية الأستاذ الباحث باليوزي في كتابه الباب، ما مضمونه:

" أثناء خروج حضرة الباب من قرية ميلان القريبة من تبريز، حدث أن تقدمت سيدة إليه تلتمس منه علاج طفل تاكل رأسه بالقروح، فما أن وضع منديلا على رأسه ونطق ببعض الكلمات حتى تم شفاؤه، فانجذب إلى الإيمان به مئتان من الذين شاهدوه"[90].

مُنع الناس من الوصول إلى حضرته ما عدا شاب أبهر الحراس باستماتته في الوصول إليه وهو يمسك بطرف رداء أحدهم قائلا، وهو يبكي بحرقة: *" أنتم رفقاء محبوبي وإني أعزكم لذلك أكثر من حبة عيني"*، فأذِنوا له بالمرور، قبل أن يحبسوا حضرته في منزل محروس:

"أثارت أخبار وصوله إلى تبريز ضجة كبيرة بين الأهالي واحتشد جمع غفير لمشاهدة دخوله إلى المدينة. وحضر بعضهم لمجرد الإطلاع

---

89 - مطالع الأنوار. من ص 204 إلى 217.

90 - الباب: The Bab. ص. 126 . مترجم بتصرف.

وآخرون ليتحققوا بأنفسهم من صحة الإشاعات السيئة التي كانت تحوم حوله، كما كان هناك من أهل الإيمان من حرّكهم خلوصهم وانقطاعهم ليتشرفوا بمحضره ويؤكدوا له ولاءهم. وبينما كان يسير في الشوارع كان صياح الغوغاء يتردد من كل الجهات، وكان أغلب الجمهور الذين رأوا وجهه يحيّونه بنداء "الله أكبر" وكان غيرهم يرحب به ويهلل وبعضهم يطلب من الله نزول بركات العلي القدير عليه، وشوهد غيرهم يقبّل تراب موطئ قدميه باحترام. وبلغت جلبة الغوغاء على أثر وصوله لدرجة أنهم أمروا مناديًا يحذر السكان من الخطر الذي يحدق بهم إذا تجاسروا على الحضور أمامه ويقول: 'كل من يحاول الاقتراب من السيد الباب أو يسعى للقائه تُضبط وتُصادر أملاكه جميعها ويُحكم عليه بالسجن المؤبد' [91]

تذكّرُ هذه الحماسة التي استُقبل بها حضرة الباب عند دخوله تبريز، بحماسة السكان لدى دخول السيد المسيح إلى القدس، كما يرويها الإنجيل:

"[10]وَلَمَّا دَخَلَ أُورُشَلِيمَ ارْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا قَائِلَةً:«مَنْ هذَا؟»
[11]فَقَالَتِ الْجُمُوعُ:«هذَا يَسُوعُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ نَاصِرَةَ الْجَلِيلِ». [92]

إن هذا الاستقبال الشعبي الحافل الذي كان دليلا على اهتمام السكان باستقبال حضرة الباب، أثار قلق السلطات واحترازها من زيادة نفوذ الوافد على آذربيجان بأمر من السلطان، مما جعل:

" الفترة التي نفي فيها حضرة الباب إلى جبال آذربيجان والتي دامت ما لا يقل عن ثلاث سنوات، هي أحزن وأعنف أطوار ولايته التي لم تزد عن ست سنوات كما أنها أخصبها وأحفلها باعتبار من الاعتبارات. فهي تشتمل على تسعة أشهر من الاعتقال المتصل في قلعة ماه كو ثم

---

91 - مطالع الأنوار . ص. 219
92 - انجيل متى. الأصحاح الحادي والعشرون

الاعتقال في قلعة جهريق اعتقالا لم يتخلله سوى زيارة لتبريز قصيرة ولكنها لا تنسى..."[93]

*

أ. قلعة ماه كو

كانت الأوامر الصادرة من الشاه إلى 'علي خان' محافظ قلعة ماه كو واضحة، تنص على معاملة حضرة الباب بما يليق من الإجلال والاعتبار. وبعد إقامته في تبريز أربعين يوما، نُقل إلى ماه كو:

"عند وصوله إلى ماه كو- التي لقبها ' بالجبل الباسط '- لم يُسمح لأحد بأن يراه في الأسبوعين الأولين عدا كاتب وحيه السيد حسين وأخيه. ولقد بلغ به البؤس في تلك القلعة شأنا عبر عنه في كتاب البيان الفارسي أنه لم يكن لديه مصباح يضيء له في ظلمة الليل، وأن زنزانته التي بنيت من اللبن كانت تفتقر حتى إلى باب، على حين شكا في لوحه لمحمد شاه من أن نزلاء القلعة عهد بهم إلى حارسين وأربعة كلاب..."[94]

لكن لطف ومحبة ودماثة أخلاق الباب وما أثاره في قلوب السكان من مشاعر نبيلة، سرعان ما جعل روحهم المعروفة بالإباء والتمرد، تنجذب إلى حضرته، ويتوجهون بنظرهم في كل صباح إلى مكان حبسه يطلبون منه أن يبارك عملهم اليومي، دونما اعتبار لتحذير 'علي خان' الذي كان حريصا على عدم السماح بالإقامة لأحد من أتباعه في بلدة ماه كو، إلى أن تغيرت أحواله ذات يوم:

'فاقترب علي خان وانحنى تعظيمًا له وارتمى على أقدامه وتوسل قائلاً: 'خلصني من حيرتي، فإني أستحلفك بالنبي جدّك العظيم أن تقشع عني شكوكي لأن ثقلها عليّ يقطّع نياط قلبي. فإني كنت أقود جوادي في

---

93 - كتاب القرن البديع. ص. 38
94 - نفس المرجع. ص. 40

البيداء وعندما اقتربت من بوابة المدينة وقت الفجر، رأيتك بعيني فجأة بجانب النهر واقفًا تؤدي صلاتك. وبيدين ممدودتين وعينين مرتفعتين إلى السماء كنت مشتغلاً بالمناجاة لله. فوقفت ساكنًا ألاحظك وانتظرت حتى أتممت الصلاة لأقترب منك وأوبخك على التجاسر لترك القلعة دون أذني. وكنت أثناء مناجاتك مع الله منهمكًا في العبادة والابتهال ناسيًا نفسك تمامًا، فاقتربتُ منكَ بهدوء وأنت في حالة وله ولم تشعر بوجودي بتاتًا. وفجأة شعرت بخوف شديد ورجعت عن عزمي عن إيقاظك من هيامك، فقررت أن أتركك وأذهب إلى الحرس لأوبخهم على إهمالهم. ولكني سرعان ما دهشت إذ وجدت البوابتين الخارجية والداخلية مغلقتين ولم يُفتحا إلا بناء على طلبي، فدخلت إلى محضرك، والآن وجدتك جالسًا أمامي مما أوجب تعجبي وارتبت أن يكون عقلي قد فارقني...

قلبت هذه الحادثة العجيبة قلب علي خان كلية... وأراد أن يكفر عن سابق سلوكه بكل ما أوتي من نفوذ ... ولم يألُ ... جهدًا، ضمن الصلاحيات المخولة له، في عمل كل ما من شأنه تخفيف وطأة الحبس على حضرة الباب. وبقيت بوابة القلعة مغلقة أثناء الليل، وأما في النهار فكان كل من يريد الدخول إلى حضرة الباب يصرح له ويتمكن من التحدث معه وتسلّم التعليمات اللازمة منه"[95]

سرعان ما وصلت إلى الميرزا آقاسي، بواسطة الجواسيس، الأخبار التي لا تطمئنه على تحقيق مراده من إبعاد حضرة الباب إلى ذلك الصقع النائي حيث لا مجال له لنشر دعوته بين قوم يعتبرهم أعداء للشيعة ومن حلفائه المعتمدين للقضاء عليه، غير أنهم خيبوا أمله، فقرر نقله إلى 'جهريق".

---

95 - مطالع الأنوار. ص . 226-227.

ب- قلعة جهريق

نُقل حضرة الباب من ماه كو إلى جهريق بعد أن ظل حبيسا فيها نحو تسعة أشهر، نتيجة التغيير الكبير الذي آلت إليه العلاقة الطيبة للسكان مع السجين والاحترام والتقدير الذي كان يحظى به حضرته من طرف محافظ القلعة، الشيء الذي لم يرق للوزير الأعظم الحاج ميرزا آقاسي عندما أخبره الجواسيس المكلفون بمراقبة حاكم ماه كو:

"... بما آلت إليه الأمور. فعزم على أن ينقل حضرة الباب إلى قلعة جهريق التي لقبها حضرته ب'الجبل الشديد' (وكان ذلك في حدود 10 نيسان 1848) وهناك عهد به إلى يحيى خان صهر محمد شاه. وبالرغم من أنه تصرف في البداية بكل شدة وصرامة إلا أنه اضطر آخر الأمر إلى أن يخضع لسلطان سحر سجينه. لا بل أهل قرية جهريق الأكراد الذين كانت كراهيتهم للشيعة تفوق كراهية أهل ماه كو لم يستطيعوا أن يقاوموا تأثير السجين النفاذ. فكنت تراهم- هم أيضا- كل صباح يقتربون من القلعة قبل أن يباشروا أي عمل ويسجدون تقديسا لنزيلها المقدس. ولقد شهد شاهد عيان أوروبي عندما كتب في سياق مذكراته عن حضرة الباب فقال: بلغ من تزاحم الناس وتدافعهم أن ضاق بهم الفناء ولم يتسع لهم جميعا فظلت الأغلبية وقوفا في الشارع يستمعون في انتباه ونشوة إلى آيات القرآن الجديد ...

يئس ميرزا آقاسي من إخضاع إرادة الباب في قلعة ماه كو عندما علم بتأثيره على حاكم البلدة ذاته، وازدياد عدد أتباعه وزواره، فنقله إلى جهريق، حيث حاكمٌ أكثر صرامة وامتثالا لأوامره، لكن حماس استقبال سكان جهريق لم يكن أقل من التقدير الذي حظي به في ماه كو من طرف سكانها:

*... والواقع أن الهياج الذي ثار في جهريق يكسف كل ما شهدته ماه كو... ذلك لأن السادة الأشراف والعلماء الكبار، بل وموظفو الحكومة بدأوا يدخلون في دين السجين بسرعة وجرأة. وبلغ هذا الأمر قمته عندما آمن ميرزا أسد الله الشهير بالديان، وكان من أكابر رجال الدولة والأدب، وهو الذي وهب له حضرة الباب **'العلم المكنون المخزون'** وشرفه بأنه **' موضع سر الله الواحد الصمد"**[96].*

وهذه قصة إيمان هذا الموظف المشهود له بالشهرة والقوة الأدبية العالية، كما رواها النبيل في تأريخه:

"كان استنكاره العنيف لدعوة حضرة الباب قد حيّر أولئك الذين سعوا لتبليغه، رأى رؤيا. ولما استيقظ قرر ألا يرويها لأحد، واختار في نفسه آيتين من القرآن الكريم، وأرسل لحضرة الباب الطلب التالي: 'إني قد رتبت في عقلي ثلاثة أمور وأطلب منك أن تكشف لي عن طبيعتها.' وطلب من ميرزا محمد علي أن يسلم ذلك الطلب الكتابي إلى حضرة الباب. وبعد بضعة أيام جاءه الجواب بخط يد حضرة الباب، وكشف له فيه بشكل كامل ظروف تلك الرؤيا وكشف عن نص الآيتين حرفيًا. وسببت دقة تلك الإجابة تحولاً مفاجئًا. ومع إنه لم يكن معتادًا على المشي فقد أسرع ميرزا أسد الله وارتقى ماشيًا ذلك الطريق السحيق الحجري المؤدي إلى القلعة من خوي. وأراد أصحابه إقناعه أن يمتطي جوادًا إلى چهريق، فلم يقبل عرضهم وفضل السير. ولما تقابل مع حضرة الباب ثبت يقينه وأشعلت المقابلة فيه حماسًا شديدًا استمر إلى آخر أيام حياته "[97]

كما حدثت واقعة أخرى زادت في تعلق الأهالي بحضرته:

---

98 - كتاب القرن البديع. ص. 41

97 - مطالع الأنوار . ص. 280.

"... عندما وصل إلى جهريق درويشٌ كان نوابا في الهند من قبل، رأى حضرة الباب في المنام يأمره بأن يتخلى عن ماله وجاهه، ويقبل على قدميه ليلقاه في آذربيجان. وما كانت أنباء هذه الحوادث المثيرة تبلغ تبريز حتى تنتقل منها إلى طهران. ومرة أخرى يجد الحاج ميرزا آقاسي نفسه مضطرا إلى أن يتدخل. وكان والد الديان صديقا حميما لذلك الوزير، فأفصح له عن قلقه الشديد من الطريقة التي يعتنق بها رجال الدولة المقتدرون هذا الدين الجديد. ولكي تخف حدة الهياج الصاعد استدعي حضرة الباب إلى تبريز، وخوفا من حماسة أهل أذربيجان فكر الموكلون بحراسته أن يغيروا طريقهم ليتجنبوا مدينة 'خوي' ويمروا بدلا منها ب' أرومية '. فلما بلغ حضرة الباب هذه المدينة رحب به الأمير ملك قاسم ميرزا وأكرم وفادته، بل إن الناس شاهدوه في يوم من أيام الجمعة وهو يصحب ضيفه إلى الحمام العام سائرا على قدميه بينما كان الضيف راكبا، على حين حاول أتباع الأمير أن يصدوا الجموع الغفيرة التي كانت تتدافع وتتزاحم بحماسة وشوق إلى الفوز بلمحة من هذا السجين المدهش الرائع"[98].*

***

* - نواب أوده اسم يطلق على مجموعة من الحكام الذين حكموا دولة أوده في الهند في الفترة 1722-1858. نواب أوده كانوا شيعة من أصل فارسي

[98] - كتاب القرن البديع. ص. 42/41

4. المحاكمة في تبريز

استُقبل حضرة الباب في أورومية* بتقدير واحترام من طرف حاكمها 'ملك قاسم ميرزا' الذي راودته فكرة اختباره، فأعد له حصانا جامحا للذهاب يوم الجمعة إلى الحمام، يتوقع وحاشيته حدوث ما لا تحمد عقباه. وكم كانت دهشتهم كبيرة وهم يشاهدون الحصان الجامح ساكنا هادئا وحضرة الباب يمتطيه. أحس الحاكم بالخجل والندم ما جعله يمشي على قدميه يرافق حضرته راكبا. وما أن انتشر خبر هذه الحادثة، حتى تسابق الناس عند خروجه من الحمام يتبرّكون بقطرات الماء التي استعملها.

تناقلت الألسن العجائب الصادرة عن الباب في كل جهة، فتكاثر المعجبون به رغم معارضة السلطات ورجال الدين، بما فيها ساكنة تبريز التي استقبلته:

" بحفاوة بالغة وأكرمت وفادته أيما إكرام. ولقد بلغ من هياج الشعور العام أن السلطات عينت لحضرة الباب مكانا خارج بوابات المدينة. إلا أن هذا التدبير عجز عن تهدئة الهياج السائد. ولم يفد التهديد والوعيد ولا المنع والقمع، بل عملت على زيادة حدة الموقف حتى بلغ حد التأزم.

وما أن بلغت الأمور هذا الحد حتى أصدر الصدر الأعظم أمره التاريخي لكبار رجال الدين في تبريز بأن يجتمعوا على الفور ليتخذوا التدابير الفعالة الحاسمة التي تكفل إخماد لهيب هذه النيران المتأججة الأكالة إلى الأبد...

هذه النار الملتهبة هيجت رؤساء الدين المرتعبين خوفا من زوال نفوذهم وهيبتهم ومعاشهم، فعزموا على بذل مجهودات أخرى، بعد فشل محاولاتهم السابقة، في اجتماع كان الهدف منه، كما يروي ولي أمر الله:

"... تجريم السجين على الملإ، ومناقشة ما يجب أن يتخذ من التدابير الرامية إلى استئصال شأفة ما بدا لهم مروقا وإلحادا. إلا أن ذلك الاجتماع أتاح له أرفع فرصة سنحت له في حياته لكي يؤكد دعاوى ظهوره تأكيدا علنيا رسميا وبلا تحفظ، ففي مقر الحكومة، وبمحضر من حاكم آذربيجان ناصر الدين ميرزا ولي العهد، وتحت رئاسة الحاج ملا محمود نظام العلماء مربي الأمير، وأمام كبار رجال الدين المجتمعين وزعماء طائفة الشيخية وشيخ الإسلام وإمام الجمعة جلس حضرة الباب في المكان المخصص لولي العهد وأجاب بنبرة مجلجلة عن السؤال الذي وجهه إليه رئيس الاجتماع إجابته المشهورة قال: " أنا هو ذلك القائم الموعود الذي ظللتم ألف سنة تقولون لظهوره (عجل الله فرجه)، أنا هو ذلك القائم الذي كنتم تنتظرون ظهوره. وأن طاعتي واجبة على أهل الشرق والغرب جميعا...

ماذا عسى يفعل العلماء الأعلام بعد تصريح حضرة الباب بمقامه الرفيع بهذا الوضوح المبين؟. يتابع حضرة ولي أمر الله يصف ما جرى:

... طأطأ الحاضرون رؤوسهم برهة وقد استبد بهم الذهول والروع الصامت ثم استجمع الملا محمد المامقاني الأعور الأشيب اللحية المارق وقاحته التي عرف بها، ونهره واتهمه بأنه عون شرير حقير من أعوان الشيطان. فأجابه الشاب الثابت الجنان بأنه مازال يؤمن بما أكده لهم. ثم وجه إليه نظام العلماء سؤالا فأكد له حضرة الباب أن كلماته وحدها هي الدليل القاطع والبرهان الساطع على صدق دعوته،

واستشهد على صحة تأكيده بآيات من القرآن، وادعى أنه قادر على أن ينزل في يومين وليلتين من الآيات ما يعادل ذلك الكتاب كله. وإجابة على نقد وجهه إليه بشأن خطأ نحوي ورد في كلامه تلا عليه بعض آيات من القرآن وردت فيها شواهد مماثلة. وبعد أن أعرض في حزم ووقار عن تعليق طائش بعيد عن الموضوع رشقه به أحد الحاضرين، فض بنفسه ذلك الاجتماع باقتضاب بأن نهض من مكانه وغادر الغرفة، فانفض الاجتماع وتفرق أعضاؤه كاسفي البال منقسمين على أنفسهم متخاذلين يأخذ بكظمهم الغيظ المرير والهوان لأنهم لم يفلحوا في بلوغ مناهم..."[99]

طرح العلماء الأعلام أسئلة يمتحنون بها حضرة الباب لتسفيهه ودحض ادعائه، أشار إليها حضرة ولي أمر الله إشارة عابرة، كما وردت في النص السابق.

فماذا يمكن أن تكون طبيعة الأسئلة التي تُطرح على من يدعي الرسالة الإلهية؟.

هذه بعضها كما وردت في كتاب 'الباب' للباحث حسن بليوزي، مترجمة بتصرف:

- قيل إن العلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان. في الطب ماذا يحدث في البطن عندما يتألم شخص من عسر الهضم؟
- لماذا بعض الحالات قابلة للعلاج؟
- ولماذا تتطور بعض الحالات إلى عسر الهضم المزمن أو الإغماء أو المُراق؟
- هل لك، أنت الذي تقول عن نفسك إنك الباب، أن تصرّف فعل قال؟

---

99 - كتاب القرن البديع. ص. 43/42.

- ما اسمك وأسماء والدك ووالدتك؟ أين مسقط رأسك؟ وكم عمرك؟[100]

أما محمد زرندي فقد ذكر في كتابه مطالع الأنوار الأسئلة التالية التي ألقوها على حضرته:

- *'من تدعي أن تكون؟ وما هي الرسالة التي أتيت بها؟' فأجاب حضرة الباب ثلاثًا: 'إني أنا الموعود، وأنا الذي دعوتموه مدة ألف سنة وتقومون عند سماع اسمه، وكنتم تشتاقون للقائه عند مجيئه وتدعون الله بتعجيل ساعة ظهوره. الحق أقول لكم إن طاعتي واجبة على أهل الشرق والغرب.' فلم يجرؤ أحد على الكلام سوى الملّا محمد الممقاني وهو أحد رؤساء الشيخية الذي كان نفسه تلميذًا للسيد كاظم. وكان أستاذه السيد يئن وينوح من عدم إيمانه ويأسف لفساد أخلاقه. وروى لي الشيخ حسن الزنوزي الذي سمع تلك الانتقادات من السيد كاظم ما يأتي:*

- *﴿كنت أتعجب كثيرًا من تعريضه بالملّا محمد وكنت أشتاق أن أعرف مستقبل حياته وسلوكه لأرى إن كان حكم السيد كاظم عليه في محله من عدمه، فلما رأيت سلوكه نحو حضرة الباب في ذلك اليوم عرفت صدق ما أخبر به الأستاذ عن غفلته وعَماه وكبره وغروره. وكنت واقفًا مع أشخاص آخرين خارج هو القاعة التي كانوا فيها. وتمكنت من سماع الحديث الذي جرى في الداخل. وكان الملّا محمد جالسًا على يسار ولي العهد. وحضرة الباب جالسًا بينهما. ولما أعلن حضرة الباب أنه هو الموعود أخذ الرعب جميع الحاضرين ونكسوا رؤوسهم مرتبكين وهم سكوت، وعلت وجوههم فترة واصفرار دل على غليان قلوبهم.*

---

[100] - أخذ بتصرف من كتاب الباب. The Bab. ص. 142/141

وكان الملا محمد ذلك الأعور أبيض الذقن الغادر قد قام على توبيخ حضرته بوقاحة قائلاً: 'إنك أيها الشقي الناقص صبي شيراز قد خربت العراق والآن تريد أن تثير مثل هذا الخراب في آذربيجان.' فأجابه حضرة الباب: 'يا فضيلة الشيخ أنا لم أحضر هنا من تلقاء نفسي بل دُعيت إلى هذا المكان.' فردّ عليه الملاّ محمد بغضب: 'أسكت يا أرذل أتباع الشيطان.' فأجاب حضرة الباب: 'يا فضيلة الشيخ أكرر لك ثانيًا ما سبق أن قلته لك.'

ورأى نظام العلماء أن الأحسن هو الاعتراض على رسالته علنًا. فقال لحضرة الباب: 'إن الدعوة التي تقدمها الآن هي دعوة خطيرة فيجب أن تدعمها بالدليل القاطع.' فأجاب حضرة الباب: 'إن أقوى دليل مقنع على صحة دعوة رسول الله هو كلامه كما دلل على ذلك بقوله: "**أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب**". ولقد منحني الله القوة لآتي بهذا البرهان، ففي ظرف يومين وليلتين أقرر أني أقدر أن أظهر آيات توازي في الحجم كل القرآن.' فقال له نظام العلماء: 'إن كنت صادقًا صف لنا هذا الاجتماع شفاهة بلغة تشابه آيات القرآن، حتى أن ولي العهد والعلماء المجتمعين يشهدون بصحة دعوتك.' فوافق حضرة الباب على طلبه وابتدأ ينطق بهذه الكلمات: 'بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والأرض.' فاعترض عليه الملاّ محمد الممقاني لافتًا نظره لغلطة نحوية وصاح قائلاً باحتقار: 'إن هذا القائم أظهر جهله في أول كلامه في أبسط القواعد النحوية.' فأجابه حضرة الباب: 'إن القرآن نفسه لا يتفق في كثير من الأحوال مع هذه القواعد السائدة بينكم، فكلمة الله لا تقاس بالحدود التي هي عند خلقه بل إن القواعد التي أوجدها الناس قد

استنتجوها من كلام الله. وقد وجد هؤلاء الناس مخالفات نحوية في القرآن في أكثر من ثلاثمائة موضع مثل الموضع الذي تنتقد عليه، ولكنهم امتثلوا ولم يكن لهم بد من ذلك لأن الكلام إنما هو كلام الله.

ثم أعاد الكلمات التي نطق بها وانتقد عليها ثانية الملاّ محمد. وبعد ذلك تجاسر شخص آخر على إيراد السؤال الآتي لحضرة الباب: 'على أي صيغة من صيغ الأفعال تصرف كلمة اشترطن؟' وجوابًا عن هذا السؤال، تلا حضرة الباب الآيات القرآنية: **" سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين."** *ثم قام بعد ذلك وترك مجمعهم.*

وغضب نظام العلماء من الطريقة التي سلكها ذلك الجمع وسُمع يقول: 'وا أسفا على سفاهة أهل تبريزا فما هي العلاقة بين هذه الأسئلة التافهة وبين النظر في أمثال هذه الدعوة الخطيرة؟' كذلك كان غيره يسفّه أحلام الذين عاملوا حضرة الباب بهذه الطريقة المعيبة المخجلة..."[101]

تبيّن فشل العلماء في إخضاع حضرة الباب لإرادتهم، وانتهى الاجتماع دون إقناع الأسير ببطلان دعواه، والاعتراف بخطئه، أو التنازل عن دعوته.

ما أشبه موقف علماء تبريز بموقف علماء يهود القدس، وقت محاكمة السيد المسيح، أثناء استجوابه تمهيدا لإثبات التهمة عليه:

"...[55]وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةً عَلَى يَسُوعَ لِيَقْتُلُوهُ، فَلَمْ يَجِدُوا. [56]لأَنَّ كَثِيرِينَ شَهِدُوا عَلَيْهِ زُورًا، وَلَمْ

---

[101] - مطالع الأنوار. ص. 291-294

تَتَّفِقْ شَهَادَاتُهُمْ. [57]ثُمَّ قَامَ قَوْمٌ وَشَهِدُوا عَلَيْهِ زُورًا قَائِلِينَ: [58]«نَحْنُ سَمِعْنَاهُ يَقُولُ: إِنِّي أَنْقُضُ هذَا الْهَيْكَلَ الْمَصْنُوعَ بِالأَيَادِي، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَبْنِي آخَرَ غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِأَيَادٍ». [59]وَلاَ بِهذَا كَانَتْ شَهَادَتُهُمْ تَتَّفِقُ. [60]فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ فِي الْوَسْطِ وَسَأَلَ يَسُوعَ قَائِلاً:«أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هؤُلاَءِ عَلَيْكَ؟» [61]أَمَّا هُوَ فَكَانَ سَاكِتًا وَلَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ. فَسَأَلَهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا وَقَالَ لَهُ:«أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ؟» [62]فَقَالَ يَسُوعُ:«أَنَا هُوَ. وَسَوْفَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا فِي سَحَابِ السَّمَاءِ». [63]فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ ثِيَابَهُ وَقَالَ:«مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ [64]قَدْ سَمِعْتُمُ التَّجَادِيفَ! مَا رَأْيُكُمْ؟» فَالْجَمِيعُ حَكَمُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ" [102]

انتفض رجال الدين، الذين وُلد المسيح في أحضانهم، صارخين بكفره، محرّضين على إهانته ومعاقبته وإعدامه، كما صرخ علماء الشيعة الذين ولد في وسط عقائدهم حضرة الباب وأفتوا، بعد تسعة عشر قرنا من قتل السيد المسيح، بكفره وقتله، وسلموا فتواهم لحاكم تبريز، مثلما سلم اليهود إلى الحاكم الروماني الذي أصدر الحكم بصلبه في القدس:
[11]فَوَقَفَ يَسُوعُ أَمَامَ الْوَالِي. فَسَأَلَهُ الْوَالِي قَائِلاً:«أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ:«أَنْتَ تَقُولُ». [12]وَبَيْنَمَا كَانَ رُؤَسَاءُ

[102]- إنجيل مرقس. الأصحاح 14.

الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ لَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ. 13فَقَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: «أَمَا تَسْمَعُ كَمْ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ؟» 14فَلَمْ يُجِبْهُ وَلاَ عَنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، حَتَّى تَعَجَّبَ الْوَالِي جِدًّا... 26حِينَئِذٍ أَطْلَقَ لَهُمْ بَارَابَاسَ، وَأَمَّا يَسُوعُ فَجَلَدَهُ وَأَسْلَمَهُ لِيُصْلَبَ " [103]

ما فعله اليهود بعيسى بن مريم أو العرب بمحمد أو العجم بحضرة الباب، عليهم جميعا أزكى السلام، ليس استثناء لما أذاقه الأقوام السابقون رسلهم من أنواع الأذى، عند إعلانهم دعوة الله للخير لهم. إن الاستهزاء بالرسل سنة البشر في كل الأزمان، اقتداء بما وجدوا عليه أسلافهم الأولين، والرضاء بأوضاعهم القائمة، وعدم استساغة التبديل، أو إدراكهم للفائدة من التغيير، فقاوموا وأعرضوا وقمعوا واضطهدوا الداعين إلى إرادة الله، الغالبة في نهاية المطاف، كما فعلت الأمم السابقة، والأمة المعترضة على المسيح بالذات، الذي يقول حضرة ولي أمر الله، في مقارنة بينهما، إن الملامح المميزة لحياة حضرة الباب شبيهة بحياة السيد المسيح من عدة وجوه:

"... *ففي شباب حضرة الباب الغض ووداعته، وفي قصر ولايته العلنية وهياجها الشديد، وفي السرعة الشديدة التي اندفعت بها هذه الولاية إلى قمتها، وفي النظام الرسولي الذي أقامه والأولية التي أنعم بها على أحدهم وفي جرأة تحديه للرسوم والطقوس العتيقة والشرائع الراسخة التي التحمت بنسيج الدين الذي ولد بين أحضانه، وفي الدور الذي لعبه النظام الديني الرسمي العتيد بصفته المحرض الأول في التعديات التي عاناها والإهانات التي انهالت عليه، وفي اعتقاله المفاجئ والاستنطاق الذي تعرض له، وفي الاستهزاء الذي انهمر عليه والجلد الذي قاسى*

---

[103] - إنجيل متى. الأصحاح 27.

منه، والقذف العلني الذي احتمله، وأخيرا في صلبه الشنيع أمام الجمهور المعادي"[104].

أعلن كل من السيد المسيح وحضرة الباب دعوتهما والتحقا بالرفيق الأعلى في ريعان شبابهما. إذ كان عمر حضرة الباب لا يتجاوز 25 ربيعا عندما أعلن دعوته عام 1844 ودامت مدة دعوته نحو ست سنوات، مدة تقارب ضعف دعوة السيد المسيح التي عاشها بعد بدء الإعلان عن رسالته.

ورغم قصر مدة حياتهما فقد انتشرت دعوتهما، وأقبل على الإيمان بهما جم غفير من الناس، بفعل ما صدر عنهما من عجائب، ثم ما بذله المؤمنون الأولون من جهود لترويج الدعوة، وما أبدوه من شجاعة وثبات في مواجهة الاضطهاد الذي أودى بحياة عشرات الآلاف من الشهداء.

كما أن النظام الذي أقامه السيد المسيح بتعيين اثني عشر حواريا، شبيهٌ بتعيين حضرة الباب لحروف ' الـــحي ' من المؤمنين السبّاقين إلى الإيمان بحضرته، الذين كرسوا حياتهم للترويج لدعوته. ولا ريب أن الجرأة التي أعلن بها حضرة الباب دعوته في محاكمة تبريز لا تختلف كثيرا عن الجرأة التي أبداها السيد المسيح عندما سئل:

هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ؟» [64]قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«أَنْتَ قُلْتَ!... [65]فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ حِينَئِذٍ ثِيَابَهُ قَائِلاً:«قَدْ جَدَّفَ! مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ هَا قَدْ سَمِعْتُمْ تَجْدِيفَهُ! [66]مَاذَا تَرَوْنَ؟» فَأَجَابُوا وَقَالُوا

---

104 - كتاب القرن البديع. ص. 82/81.

:«إِنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ». [67]حِينَئِذٍ بَصَقُوا فِي وَجْهِهِ وَلَكَمُوهُ، وَآخَرُونَ لَطَمُوهُ [68]قَائِلِينَ:«تَنَبَّأْ لَنَا أَيُّهَا الْمَسِيحُ، مَنْ ضَرَبَكَ؟»"[105]

كذلك فعل علماء تبريز لما لم يجدوا سبيلا لدحض ما ادعاه حضرة الباب، فقرروا جَلْده.

على أن حضرة الباب الذي لم يدرك مغزى رسالته الشيوخ المدعوون لمحاكمته في تبريز، ولم يتمكنوا من دحض دعوته بالحجة والبرهان، قد بين مقامه حضرة ولي أمر الله في بعض ما ذكره في تواقيعه:

"... *أعلن حضرة الباب عن مقامه في كتاب قيوم الأسماء بقوله*:

إنني أنا هيكل السر الذي أقامته يد القدرة، أنا المصباح الذي أوقد أصبع الله مشكاته وجعله يضيء بنور لا يطفأ، أنا النار التي ظهرت من النور الأعلى ولمعت في السيناء على بقعة السرور وظل مخفيا في قلب الشجرة المتأججة، *ثم يقول مخاطبا نفسه في ذات الكتاب*: **يا قرة العين، إنك أنت النبأ العظيم في الملإ الأعلى، وعلى ذلك الاسم عند أهل العرش قد كنت بالحق مرفوعا**، *ثم يقول*: **وما أرسلنا من نبي إلا وقد أخذناه بالعهد للذكر ويومه، ألا إن ذكر الله ويومه في المنظر الأعلى لدى ملائكة العرش قد كان بالحق على الحق مشهودا.** *إلى أن يقول*: **وإنا نحن لو نشاء لهدينا الأرض ومن عليها على حرف من الأمر أقرب من لمح العين جميعا.** *وفي خطابه لمحمد شاه الذي بعث به إليه من سجن قلعة ماه كو يتفضل الباب بقوله*: **أنا النقطة التي ذوت بها من ذوت... وإني أنا وجه الله الذي لا يموت ونوره الذي لا يفوت... قد جعل الله مفاتيح الرضوان في يميني، وكل مفاتيح النيران في شمالي... ألا إنني ركن من كلمة الأولى التي من عرفها**

105- إنجيل متى. الأصحاح 26.

عرف كل الحق ويدخل في كل خير... ولذا خلقني الله من طينة لم يشارك فيها أحد، وأعطاني ما لا يدرك البالغون ولا يقدر أن يعرفه الموحدون. *وفي مقام التأكيد عن القوة الغير المحدودة، وهي الكامنة في أمره بقوله:* **لو أرادت نملة أن تفسر القرآن من ذكر باطنه وباطن باطنه لتقدر لأن سر الصمدانية قد تلجلج في حقيقة الكائنات...** [106] "

عرف حضرة الباب في طريقة إلى آذربيجان عددا من المواقف الحافلة بالأحداث التي أبانت عن قدرته الروحانية المؤثرة في الذين عاشروه وعايشوه وشاهدوه خلال هذه المرحلة الحاسمة من تاريخه التي تذكّر بالأحداث العجيبة التي وقعت للسيد المسيح أثناء الترويج لدعوته قبل عرضه على محكمة رجال الدين المتوجسين الخائفين من انتشار نفوذه، المجتهدين في القضاء عليه وعلى دعوته.

***

106 - النظام البديع لدورة بهاء الله. ص.42/41.

5. بعض آثار حضرة الباب الكتابية.

وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم...[107]

يتميز التنزيل باللغتين العربية والفارسية في دورة حضرة الباب بكثافته وكتابته مباشرة بأنامل صاحب التنزيل أو كُتّابه، مما يجعل آثار الأديان المقدسة لأول مرة في تاريخها، محفوظة مضمونة كما نزلت. وقد منح النفي والسجن المفروض على حضرة الباب منذ الإعلان عن دعوته فرصة تدوين الوحي الموجّه إلى أتباعه أو غيرهم من الحكام وعلماء عصره في الأقاليم وفي مختلف المناسبات والمواضيع:

*"وبفضل ضخامة الآثار الفائضة من قلمه وتنوع الموضوعات التي تناولتها هذه الآثار، يحتل وحيه وإلهامه مكانا فذا فريدا لا مثيل له في تواريخ الأديان السابقة. حتى إنه ليؤكد — وهو مازا ل نزيل ماه كو- أن آثاره التي تناولت هذه الموضوعات المتباينة أشد التباين قد بلغت حتى ذلك الحين خمسمئة ألف آية. وبذلك يشهد حضرة بهاء الله في كتاب الإيقان أنه " **نزل من غمام الرحمة الرحمانية هذا ما لم يحصه أحد حتى اليوم وإنا لا نجد منها الآن إلا عشرين مجلدا، وناهيك بما فقد، وناهيك بما نهب وسلب ووقع في أيدي المشركين ولم يعلم أحد ماذا فعلوا به**"... فمن مناجاة وأدعية وخطب إلى ألواح للزيارة وبحوث علمية ورسائل عن العقائد الدينية إلى ابتهالات وتفاسير للقرآن وللأحاديث المختلفة، إلى ألواح وجهها لكبار رجال الدين في المملكة، إلى أحكام وشرائع لتثبيت أركان الدين وتوجيه مناشطه.*

*أنزل في شيراز، في المرحلة الأولى من ولايته ما وصفه حضرة بهاء الله بأنه " **أول وأعظم وأكبر جميع كتب**" الدورة البابية، ألا وهو تفسير*

---

[107] - سورةإبراهيم. آية 4.

سورة يوسف الشهير ب"، قيوم الأسماء"... تلاه لوح حضرة الباب الأول لمحمد شاه ولوحان للسلطان عبد المجيد ونجيب باشا والي بغداد و"صحيفة بين الحرمين" التي نزلت بين مكة والمدينة إجابة عن أسئلة ميرزا محيط الكرماني... وكتاب "الروح" على سبعمئة سورة وكتاب " الخصائل السبعة" الذي طلب فيه بتغيير صيغة الآذان و"رسالة الفروع العدلية" ... و"تفسير سورة الكوثر"، الذي أحدث كل هذا التحول في روح وحيد، و"تفسير سورة والعصر" بمنزل إمام الجمعة باصفهان، ورسالته التي كتبها في إثبات "النبوة الخاصة" استجابة لطلب منوجهر خان، واللوح الثاني لمحمد شاه الذي يطلب فيه أن يلقاه حتى يبين له حقائق الدين الجديد ويبدد شكوكه، وألواحه المرسلة من قرية 'سياه دهان' إلى علماء قزوين وللحاج ميرزا آقاسي يسأله عن سبب عدوله المفاجئ عن عزمه.

إلا أن الجانب الأكبر من الآثار الفائضة عن فكر حضرة الباب الخصيب كان من نصيب فترة اعتقاله في ماه كو وجهريق. وربما انتمى إلى هذه الفترة ما لا يحصى من الرسائل، كما يشهد بذلك حضرة بهاء الله دون غيره. وهي الرسائل التي وجهها إلى كل رجل من رجال الدين في كل مدينة من مدن إيران، وإلى العلماء المقيمين بالنجف وكربلاء، يحصي في كل رسالة منها الأخطاء التي ارتكبها كل واحد منهم بالتفصيل، وفي أثناء اعتقاله تسعة أشهر في قلعة ماه كو أنزل ما لا يقل عن تسعة تفاسير للقرآن... وبين جدران تلك القلعة نزل "البيان"، ذلك الكتاب العظيم الذي يحتوي على شرائع الدورة الجديدة وأحكامها، والخزانة التي تكتنز معظم إشارات حضرة الباب ومدائحه وتحذيره بشأن، "**من يظهره الله**"، وهو كتاب لا شبيه له ولا نظير بين

الكتب الدينية... والبيان العربي الأصغر حجما والأقل شأنا الذي نزل أثناء الفترة نفسها...

أما كتاب " الدلائل السبعة" – أهم آثار حضرة الباب الاستدلالية– فقد نزل خلال الفترة نفسها..."[108]

في إصفهان عندما كان حضرة الباب ضيفا على إمام الجمعة، بأمر من حاكمها الأرمني المسيحي، منوشهر خان، حدث:

"... ذات ليلة بعد العشاء أخذ إمام الجمعة العجب من المناقب الخارقة لضيفه الشاب وطلب منه أن ينزّل تفسيرًا لسورة "والعصر". فأجيب إلى طلبه حالاً، وطلب حضرة الباب القلم والورق وأخذ يكتب بسرعة مدهشة دون أدنى تأمل، ما طلبه مضيفه ونزل أمامه تفسيرًا جليلاً لتلك السورة. فكان قريبًا من نصف الليل عندما كان حضرة الباب يتلو عليهم المعاني المتعددة التي يدل عليها أول حرف من السورة وهو حرف الواو الذي كان الشيخ أحمد الأحسائي كثيرًا ما يلفت إليه الأنظار في كتاباته. فكان في نظر حضرة الباب يدل على ابتداء دورة جديدة للوحي الإلهي..."[109]

في نفس الليلة وفي نفس الاجتماع طلب حاكم إصفهان المسيحي من حضرته الدليل على صدق رسالة النبي محمد عليه السلام، فاستجاب لطلبه بكتابة رسالة في إثبات "النبوة الخاصة" التي جعلته يدرك حقيقة رسالة الإسلام ومقام حضرة الباب، ويسلم وجهه لله.

إن هذه الألواح وإن تناولت مختلف المواضيع التي أثارت اهتمام مجتمع ذلك اليوم، فإنها كانت تدور حول محور أساسي ألا وهو إعداد الشعوب إلى استقبال الشخص الذي سماه **"من يظهره الله"**، والذي عقد على الإيمان به تحقق خير البشرية وخلاصها.

---

108 - القرن البديع. ص. من 44 إلى 49.

109 - مطالع الأنوار. ص . 183.

على أن التنزيل ظل مسترسلا مدة مديدة في الدورة الإلهية الجديدة سواء أيام الباب أو **من يظهره الله**، كما يكتب ولي أمر الله:

" فإن هذه الدورة باستثناء الفترة القصيرة ما بين استشهاد الباب ومحن بهاء الله الشديدة في سياه چال بطهران قد امتازت بوحي مستمر متواصل لقرابة خمسين عاما، واتسمت بطول زمنها ووفرة إنجازها ما يجعلها بحق فريدة في تاريخ العالم الروحي..."[110]

*****

[110] - النظام البديع لدورة بهاء الله . ص. 54.

VI. استشهاد حضرة الباب

"انظر ثم اذكر ملأ الفرقان الذين ناحوا على حروفاته في المساجد وعلى المنابر فلما أتى سيدهم قتلوه بظلم محى من كتاب العشاق ذكر الفرح والسرور"[111]

كانت الدولتان الإسلاميتان الصفوية والعثمانية منذ تأسيسهما، تحكمان حكما يقوم على الغلبة والتوريث، وتستمدان شرعيتهما من الدين، يدعمهما الفقهاء القائمون على حراسة مصالح الدين المقرون بمصالحهم. وظل الحال على ما هو عليه، إلى أن بدأت حركات التنوير، فالنهضة التحررية في القرن التاسع عشر، طالبت بتنظيم السلطات وتقنينها في البلاد، اقتداء بالدول الأوروبية.

كان هذا النظام الملكي المطلق مازال متجذرا قائما عندما أعلن حضرة الباب دعوته في آخر النصف الأول من القرن التاسع عشر، إلى أن عصفت رياح التغيير بالحكم العثماني السني والحكم القاجاري الشيعي، المتنافسين على التوسع الذي ما فتئ أثره باديا اليوم في محاولة توسيع دائرة نفوذ كل منهما الاقتصادي والسياسي والعسكري الجاري حاليا في الصراعات الدموية في دول الجزيرة العربية وما تلاها من الدول في آسيا وإفريقيا.

اعتبر رجال السلطة، يومذاك، كل من يخالف إرادة الحكام أو يقول برأي لا يصُبّ في النهج الذي يحقق مصالحهم، تمردا على الأصول المرعية والتقاليد المعمول بها، ويجدون في الصرامة والترهيب الحل الأنسب للقضاء عليهم. ولا يرون في النزول إلى مستوى التفاوض والنظر في مطالب الرعايا، إلا خذلانا يؤدي إلى الانتقاص من مركزهم وإضعاف سلطتهم، واستقواء الرعية لزيادة التمرد على السلطة القائمة.

---

[111] - آثار قلم أعلى. مجلد 2. ص. 114.

تزامنت وفاة الشاه (5 سبتمبر/أيلول 1848) مع حبس حضرة الباب في آذربيجان وإحضاره إلى تبريز من أجل محاكمته بحضور ولي العهد ' ناصر الدين ' * الذي تولى العرش بعد وفاة والده. وبحكم صغر سنه الذي لم يكن قد تجاوز السبعة عشر عاما، اعتمد في تسيير شؤون البلاد وما فيها من العباد على وزيره الأكبر الجديد ' ميرزا تقي خان' الذي تصرف مع البابيين بصرامة وسلك سياسة التضييق عليهم وإرهابهم وتعذيبهم وتشريدهم والفتك بهم، كما يروي حضرة عبد البهاء:

" ولما كانت الحضرة العلية الملكية في عنفوان الشباب وقع الوزير في أوهام غريبة ولم يبال بنشر استبداده بل ضرب طبل الاستقلال في الأمور وأصدر الأمر باعتراض البابيين دون استئذان من الحضور الهمايوني وأقدم على هذا بعزم وجزم بلا أدنى استشارة من عقلاء الوزراء. وظن أن قوة القهر والتجبر تمكنه من اقتلاع وقمع هذه الأمور وأن الشدة والغلظة تثمر هذه الثمرة...

ولم تقتصر سياسة الشدة مع البابيين في العاصمة ومحيطها فحسب بل أصدر أوامره الصارمة إلى أطراف إيران، يأمر السلطات في الأقاليم:

... بتأديب البابيين وتعذيبهم، فألفت الحكام وولاة الأمور سبيلا إلى الاكتساب ووجد المأجورون وسيلة لاغتنام المنافع، وقام العلماء المعروفون على رؤوس المنابر يحضّون ويحرّضون الناس عموما على القيام بهجوم عام، فتحاضنت قوتا التشريع و التنفيذ واصطلحتا على مقاومة وقمع تلك الطائفة التي لم تكن بعد واقفة على قواعد وأسرار مبادئ الباب وتعاليمه كما يليق وينبغي..."[112]

* - ناصر الدين القاجاري ولد في شهر يوليو/تموز 1831 وتقلد مقاليد الملك في إيران من 17 سبتمبر/ أيلول 1848 إلى حين اغتياله في مايو/أيار 1896

112 - مقالة سائح . ص. 22/ 24/23

لم يجد البابيون أي مناص أمام العداء المستحكم، واستباحة مشاهير الفقهاء لدمائهم بفتاواهم التي تحرض على اضطهادهم وقتالهم، وهجوم الجنود عليهم ومحاصرتهم، سوى الدفاع عن أنفسهم، في قلاع طبرسي وزنجان شمال إيران، ونيريز في الجنوب ، أو الاستشهاد في سبيل الله، إن اقتضى الحال.

أبدى المتحصنون شجاعة نادرة وصبرا لا مثيل له، مستميتين في الدفاع عن عقيدتهم، إلى أن استأمنهم المحاصِرون، ووثقوا أيمانهم بالقسم والتوقيع على كتاب القرآن، بعد أن أعياهم تحقيق الانتصار عليهم. وما أن جرّدوهم من السلاح، حتى حنثوا في يمينهم، وتم الغدر بهم، والإجهاز عليهم.

***

1. تبريز من جديد

لم يجد الحاج ميرزا آقاسي سبيلا آخر بعد فشل الغاية من محاكمة الباب سوى أن يأمر بإعادته إلى جهريق حيث:

"... أوكلوا لحراسته يحيى خان مرة أخرى، وظن مضطهدوه أنه سوف يترك ادعاءه من جراء تهديده في مجلسهم. إلا أن ذلك الاجتماع الذي أعدوه له وأحضروه فيه كان قد مكنه من أن يبين حقيقة مدعاه علنا وبكل جسارة أمام أكبر هيئة دينية في عاصمة أذربيجان وأن يتغلب بكلام مختصر مفيد على كل حجج معترضيه" [113]

تمكن حضرة الباب من إقامته الأخيرة في جهريق، من ترتيب أموره استعدادا لمصيره المأساوي، فكان:

"... قبل وصول ذلك الضابط بأربعين يومًا إلى چهريق قد جمع كافة أوراقه والألواح التي بحوزته ووضعها مع مقلمته وأختامه وخواتيمه العقيقية في صندوق وائتمنها إلى الملاّ باقر، أحد حروف الحيّ. وسلّمه أيضًا خطابًا موجهًا لميرزا أحمد، كاتب وحيه، وأرفق به مفتاح ذلك الصندوق. وحثّه على الاعتناء الشديد بتلك الوديعة، وأكد له قداسة طبيعتها، وأمره أن يخفي محتوياتها عن أي شخص خلاف ميرزا أحمد...

كان من محتويات الصندوق ملف به ورق أزرق كتبت آياته بخط يد حضرة الباب وهي عبارة عن اشتقاقات من كلمة بهاء، يقول الذين شاهدوها:

... أخذنا الإعجاب بهذه المخطوطة الفنية التي لا يقدر أي كاتب، باعتقادنا، أن يأتي بمثلها. فأرجعت تلك اللفيفة إلى مكانها في الصندوق الذي أعيد لميرزا أحمد وقد توجه إلى طهران في اليوم نفسه. وقبل

---

113 - مطالع الأنوار. ص. 256.

ارتحاله أخبرنا أن كل ما يمكنه أن يبوح به عن الرسالة، أن عليه إيصال الأمانة إلى يد "جناب البهاء" في طهران..."[114]

***

[114] - المرجع السابق نفسه . ص. 467-468.

2. حادثة الاستشهاد

ليس بالهيّن على رجال الحكم، تحمّل مسؤولية قتل شخص ينتهي نسبه إلى صاحب الخلق العظيم، لم يقترف ذنبا سوى ادعائه أنه الموعود المنتظر، مبرهنا على صدق دعوته بتنزيل الآيات وفك رموز المتشابهات. لكن ازدياد إقبال الناس على دعوته، إلى جانب الملاحم التي خاضها أتباع حضرة الباب بحماسة صدًّا للمهاجمين عليهم، حيّرت الجيش النظامي الذي تكبّد خسائر فادحة، أقلقت رجال الدولة مما جعلهم يتدبرون حيلة لكسر شوكة البابيين، انتهت خلال وقائع زنجان بتدبير التخلص من زعيمهم، فرأى:

"... الأمير الكبير قتل الباب العلاج القطعي والدواء الأخير. فأبرز الأمر بذلك دون استصدار فرمان شاهاني ومن غير مشاورة مع وزراء الساحة الهامايونية التي هي الملجأ للرعية بل بمقتضى رأيه الصارم وأمره الجازم والاستقلال التام ... صدر الأمر إلى حاكم آذربايجان الأمير (حمزة ميرزا) بقتل الباب فاستنكف الأمير أن يكون تنفيذ هذا الحكم على يده فخاطب أخا الأمير الكبير ميرزا حسن خان في هذا الشأن قائلا إن هذا العمل عمل شائن دنيء وقريب المنال وكل أحد يتسنى له عمله والقيام به وكنت أظن أن حضرة الأمير الكبير يأمرني بمحاربة الأفغان وازبك أو مهاجمة ملك الروس والروم. فكتب ميرزا حسن خان المذكور اعتذاره هذا تفصيلا وبعث به إلى الأمير الكبير... بعد أن أنهى أخوه اعتذار الحاكم إليه أصدر فرمانا ثانيا إلى أخيه ميرزا حسن خان المذكور وإذا فيه أن الأمير يأمره بأن يتسلم من أكابر علماء تبريز الذين هم ركن المذهب الجعفري الركين وحصن النحلة الاثني عشرية الحصين فتوى صحيحة صريحة...

بعد استصدار الفتوى من علماء تبريز، وتردد بعض المسؤولين في إنجاز مهمة قتل حضرة الباب المنتسب إلى الدوحة النبوية، خشية أن ينالهم غضب من الله بإتيانهم مثل هذا العمل الشنيع، أصدر الأمير أمرا يبين فيه الطريقة التي يجب أن يُقتل بها حضرة الباب، باستحضار فوْج:

... من جنود ارمن ارومية ويصلب الباب في ملأ من الناس وأن يأمر ذلك الفوج أن يرموه بالرصاص دفعة واحدة فاستدعى ذلك المندوب (ميرزا حسن خان) رئيس ضابطته ورسم له دستور العمل فأخذ في إجرائه وقاد الباب بعد أن نزع عن رأسه عمامته الخضراء والشالة زناره الأخضر سمة الحسب النبوي مع أربعة أفراد من خلص أتباعه إلى ميدان القشلاق التبريزي وزجوا بهم في حجرة هناك وأقاموا عليهم أربعين جنديا ارمنيا من جنود تبريز خضراء"[115]

***

[115] - مقالة سائح. ص. 30/29/28.

3. رفيق الاستشهاد

محمد علي الزنوزي الشاب المعروف بأنيس، العاشق الخاضع لإرادة حضرة الباب، الذي امتزج دمه ولحمه وعظمه بجسد حضرته. أبدى سلوكا لا يصدر إلا عن إنسان يسكنه روح العشق والهيام، يستشعر السرور والانشراح في بذل حياته في سبيل محبوبه. ويُروى أنه في ذلك اليوم الذي:

"... أُحضر فيه الباب إلى مكان استشهاده وإذ اقترب حضرته من ساحة الثكنات، ظهر فجأة شاب اخترق الحشود في لهفته للوصول لحضرته، مقتحمًا الصعاب والمخاطر المترتبة على محاولة كتلك. كان شاحب الوجه، حافي القدمين وأشعث الشعر. وبأنفاس محبوسة بالشوق، وجسد منهك بالتعب، رمى بنفسه على قدمَي حضرة الباب وأمسك بطرف ردائه وتضرع إليه بحرقة قائلاً: 'لا تبعدني عنك يا سيدي. وأينما ذهبت اجعلني أتبعك.' فأجابه حضرة الباب: 'يا محمد علي! انهض وتأكد أنك ستكون معي.[1] وغدًا ستشاهد ما يقضي به الله.' واندفع اثنان آخران من الأتباع لم يقدرا أن يكبحا مشاعرهما وأكدا لحضرته ولاءهما الثابت له. فقبض على هذين الشخصين ومعهما ميرزا محمد علي الزنوزي ووضعوا في الزنزانة نفسها التي حبس فيها حضرة الباب والسيد حسين..." [116]

أثناء اعتقاله كتب رسالة إلى أخيه الأكبر منه سنًّا تنبئ عن حقيقة عمق الوجد الذي ملك قلبه:

"... والبرهان على صدق هذا الرجل النبيل وثباته، ظاهر من خطاب أرسله بخط يده الشريفة إلى أخيه قبل شهادته بثلاثة أيام أو يومين من السجن. والخطاب في حوزة أخي المذكور المدعو الملاّ عبد الله من

---

[116] - مطالع الأنوار. ص. 470

أهالي تبريز. وكان ذلك ردًا على خطاب الأخ المذكور الذي طلب منه فيه الرجوع عن الإخلاص لهذا الأمر الذي سبب له السجن الذي هو فيه. وفي هذا الخطاب يبسط الشهيد أوجه عذره. ولما كان هو الأخ الأصغر، لذلك حرر الخطاب بالاحترام اللازم. وكان مضمون الخطاب كالآتي: "هو الرحيم. يا من هو قبلتي، أحمد الله إني لم أجد خطأً في أموري، ولكل مجتهد نصيب. أما ما كتبت لي بأن هذا الأمر ليس له آخر فأي أمر إذا يكون له آخر؟ وإنّا لم نأسف لوقوعه بل حقًا إنّا عاجزون عن شكر هذه النعمة. وأقصى ما في الأمر هو أن أذبح في سبيل الله. فوا فرحي لذلك! وإن إرادة الله نافذة عن طريق عباده ولن تقدر التدابير أن تمنع المقدور. فما أراده الله يكون ولا حول ولا قوة إلا بالله فيا قبلتي أن نهاية هذه الحياة الموت. كل نفس ذائقة الموت. فإذا شاء الله ونفذ المقدور الذي أراده جل وعلا لأجلي، فالله ولي أمر أسرتي وإنك تكون وصيًا عليهم وتعمل معهم بما يرضي الله. فسامحني إذا قصرت في واجب الاحترام أو الحقوق نحو أخ أكبر، واطلب لي الغفران من جميع أهل بيتي واتركني لحراسة الله، فهو نصيبي وهو خير الحافظين!

ولما أدخل ميرزا محمد علي إلى محضر المجتهدين، ألحوا عليه أن يرتد عن إيمانه، نظرًا للمقام الذي يحتله زوج أمه، السيد علي الزنوزي. فصاح قائلاً: 'لا يمكن أبدًا أن أنكر سيدي. فهو جوهر إيماني وهو مقصود عبادتي الحقة. وفيه وجدت جنتي وفي اتّباع شريعته استدللت على سفينة نجاتي.' فأرعد الملاّ محمد الممقاني، الذي أُحضر ذلك الشاب أمامه، قائلاً: 'اسكت! إن مثل هذه الكلمات تدل على جنونك، وإني أغفر لك هذه الكلمات التي لست مسئولاً عنها.' فأجابه قائلاً: 'لست مجنونًا، بل إنك أولى بهذه التهمة يا من حَكم بالقتل على من لا يقل

قداسة عن القائم الموعود. فليس مجنونًا من اتّبع دينه ويشتاق أن يسفك دمه في سبيله... ولما هموا بوضع ميرزا محمد علي في الغرفة نفسها، انهمرت عيناه بالبكاء وتوسل إليهم أن يسمحوا له بالبقاء مع سيده. فسلّموه إلى سام خان، الذي أمر بأن ينفذ فيه حكم الإعدام أيضًا، إذا أصر على رفض الارتداد عن دينه...

وأثناء تواجده في غرفة السجن مع حضرة الباب ورفاقه، بعد أن طاف الحراس بحضرته على علماء تبريز من أجل استصدار فتوى تبيح سفك دمه وإعادته إلى السجن، جرى الحديث التالي بينهم:

وسمعت السيد حسين يقرر الآتي: "في تلك الليلة أضاء وجه حضرة الباب فرحًا وتهلل سرورًا لم يشاهد على طلعته من قبل. وكان يتكلم معنا بالفرح والانبساط غير مبال بالعاصفة التي أثيرت حوله. واختفى الحزن الذي كان يثقل عليه، وبدا أنه ذاب أمام اليقين بالنصر الآتي. وقال لنا: "باكر سيكون يوم استشهادي، فمن منكم يقوم الآن وبيديه ينهي حياتي، فإني أفضل أن أذبح بيد حبيب بدلاً من العدو." فانهمرت الدموع من أعيننا عندما سمعناه يعبر عن تلك الرغبة. إلا أننا ارتعنا من فكرة إنهاء حياة ثمينة مثل حياته بأيدينا. وامتنعنا وبقينا ساكتين. ولكن ميرزا محمد علي قام فجأة وأعلن استعداده بإطاعة كل ما يرغبه حضرة الباب. فقمنا وأجبرناه على هجر تلك الأفكار، فقال حضرة الباب: "إن هذا الشاب الذي قام لينفذ رغبتي سوف يحصل معي على الشهادة. وهو الذي أختاره ليشاركني بتاجها."[117]

وكذلك كان.

***

---

[117] - مطالع الأنوار. من ص 470 - 473

4. الشروع في تنفيذ الإعدام

بعد فشل المحاكمة التي منحت حضرة الباب فرصة الإعلان عن دعوته بمحضر العلماء وولي العهد، أُحضر من جهريق إلى تبريز من جديد، برفقة أربعة من المؤمنين وحبسوهم جميعا في إحدى غرف السجن:

" ... سلم رئيس الضابطة الباب مع آقا محمد علي (شاب من نجباء تبريز) بفتوى المجتهدين الملا محمد المامقاني وميرزا باقر وملا مرتضى قلي وغيرهم إلى سام خان سردار فوج الارامنة الارومية فأخذوا في تنفيذ الأمر ودقوا مسمارا حديديا في وسط حائط المحبس السابق وربطوا به شريطين علقوا بأحدهما الباب وبالآخر آقا محمد علي المذكور وجعلوا وضع أحدهما من الآخر بحيث كان رأس ذلك الشاب على صدر الباب والتف الناس حول ذلك المنظر متزاحمين في كل جهة بحيث كانت أطراف السطوح (أعالي الدور) تموج موجا من كثرة الجموع واصطف فوج واحد ثلاثة صفوف وابتدأ الأول فرمى دفعة واحدة ثم تبعه الثاني وتلاه ثالث فرمى دفعة واحدة فارتفع من الرمي دخان عظيم أظلم منه الجو. ثم لم يلبث أن انكشف دون أن يصيب سهم من هذه السهام نقطة الهدف فقد رأوا ذلك الشاب واقفا وأن متبوعه (الباب) جالس مع كاتبه السيد حسين بحجرته التي صلب بجانبها..."[118]

ويصف حضرة ولي أمر الله المشهد المذهل نفسه، قائلا:

" لقد توارى حضرة الباب عن أنظارهم، ولم يكن أمامهم غير رفيقه يقف بجوار الحائط الذي صلبا عليه حيا لم يصبه أي سوء. أما الحبلان اللذان صلبا بهما فقد تمزقا. صاح المشاهدون المشدوهون: "اختفى السيد الباب عن أنظارنا" وتلا ذلك بحث محموم، فإذا بهم يجدونه

---

118 - مقالة سائح. ص. 30.

سليما معافى في نفس الغرفة التي قضى فيها ليلة البارحة مشغولا بإتمام حديثه مع كاتب وحيه. وإذا بالسجين الذي حفظته العناية الإلهية على هذا النحو المعجز يرحب بقدوم الفراش باشي ويقول له:" أما وقد انتهيت من حديثي مع السيد حسين فبإمكانكم أن تفعلوا ما بدا لكم". عندئذ تذكر الفراش باشي التأكيد الجريء الذي ألقاه السجين إليه من قبل، فعرته القشعريرة من هذه الظاهرة الصاعقة وغادر المكان على الفور واستقال من منصبه.

وكذلك تذكر سام خان في رعب وعجب ذلك التأكيد الذي وجهه إليه حضرة الباب، فأمر رجاله بأن يغادروا الثكنات على الفور، وأقسم، وهو يغادر الفِناء، ألا يعود إلى تكرار هذه الفعلة ولو كلفه ذلك حياته. عندئذ تطوّع آقا جان خمسه قائد الحرس بأن يحل محله، وعلى نفس الحائط وبنفس الطريقة علق حضرة الباب ورفيقه من جديد، واصطفت الفرقة الجديدة، وأطلقت عليهما الرصاص وفي هذه المرة تمزق صدراهما واختلط جسداهما تماما، أما الوجهان فقد ظلا سالمين لم تصبهما إلا خدوش طفيفة. وكانت كلمات حضرة الباب الأخيرة للجماهير المحملقة حين تأهبت الفرقة لإطلاق رصاصها:" أيها الجيل الملتوي! لو آمنتم بي لاحتذى كل واحد منكم حذو هذا الشاب الذي هو أعظم منكم شأنا، ولأقبل راضيا مختارا على التضحية بنفسه في سبيلي، وسيأتي اليوم الذي فيه تؤمنون بي، وعند ذاك لن أكون معكم.

ولم يكن هذا كل شيء، ففي نفس اللحظة التي انطلق فيها الرصاص هبت عاصفة هوجاء واكتسحت المدينة، وظلت دوامة الغبار تحجب ضوء الشمس وتعمي العيون من الظهر حتى الليل...

إبان وقوع الاستشهاد وبعده بقليل حدثت حادثتان غير طبيعيتين، ذات عبر، أدهشتا وأبهرتا الشهود المذهولين، كما يرويها ولي أمر الله:

... حادثتان على جانب عظيم من الدلالة تلقيان ضوءا كاشفا على الظروف الغريبة الغامضة التي اكتنفت فواتح استشهاده. أما الحادثة الأولى فهي أن الفراش باشي قاطع آخر حديث لحضرة الباب مع كاتب وحيه السيد حسين في إحدى غرف الثكنات، وعندما كان الفراش باشي يدفع السيد حسين بعيدا ويعنفه بشدة، خاطبه السجين قائلا: " لن يمنعني أحد عن قول ما أريد أن أقوله له، ولو قاومني جميع من على الأرض فلن يستطيعوا أن يمنعوني عن إبلاغ نواياي وإتمامها حتى الحرف الأخير". أما الحادثة الثانية فهي أن سام خان المسيحي قائد الفرقة الأرمنية التي كلفت بتنفيذ حكم الإعدام، خشي أن تجر عليه فعلته غضب الله، فالتمس أن يعفى من هذه المهمة المفروضة عليه فرضا، فأجابه حضرة الباب قائلا: "نفّذ ما أمرت به، وإذا كنت صادق النية فإن الله قادر أن ينجيك من ورطتك..."[119]

نجا سام خان، المسيحي الديانة، من عمل أبتْ نفسه القيام به، رغم مهمته العسكرية التي تفرض عليه الطاعة. وتطوّع للقيام بها من لم يحسب الحساب الصحيح لعاقبة تصرفه الذي لا يختلف عن تصرف العسكر الذين أعدموا السيد المسيح:

"... [27]فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكَتِيبَةِ، [28]فَعَرَّوْهُ وَأَلْبَسُوهُ رِدَاءً قِرْمِزِيًّا، [29]وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ:«السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!» [30]وَبَصَقُوا عَلَيْهِ،

119- كتاب القرن البديع. ص. 77/76.

وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ. [31]وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الرِّدَاءَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ، وَمَضَوْا بِهِ لِلصَّلْبِ... [35]وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ:«اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي أَلْقَوْا قُرْعَةً». [36]ثُمَّ جَلَسُوا يَحْرُسُونَهُ هُنَاكَ. [37]وَجَعَلُوا فَوْقَ رَأْسِهِ عِلَّتَهُ مَكْتُوبَةً:«هذَا هُوَ يَسُوعُ مَلِكُ الْيَهُودِ»"[120]

صلب المسيح وأعدم الباب، ولكن ما صلبوهما وما قتلوا رسالتيهما، بل شبّه لهم.

*****

[120] - انجيل متى. الأصحاح 27

VII. مصير المسؤولين عن استشهاده

ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون. قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين[121].

يتساءل حضرة وليّ أمر الله عن مصير أولئك الذين أملت عليهم ظنونهم الآثمة وأوهامهم الباطلة تكذيب حضرة الباب وإساءة معاملته وإيذاءه وقتل حضرته قصد القضاء على دعوته الإلهية. ويستعرض خاتمة حياة بعض الذين جنوا على أنفسهم بما ارتكبوه من الفظائع واقترفوه من الأوزار التي حمّلوها بني جلدتهم، متسائلا ومنبِّها:

"ماذا كان مصير هؤلاء الأنذال الذين حركتهم البغضاء والطمع والتعصب، وحاولوا أن يطفئوا النور الذي أشرق به حضرة الباب وأتباعه على وطنهم وبني جنسهم؟ نعم، نزلت مقامع القصاص الإلهي بسرعة وبلا رحمة ولا هوادة على رؤوسهم جميعا. فلم تبق على الشاه، رأس الدولة، ولا على وزرائه ومستشاريه، ولا على رجال الدين الذين ارتبطت بهم حكومته ارتباطا وثيقا، ولا على ولاته ونوابه، ولا على قواد جيشه الذين اشتركوا، بدرجات متفاوتة ودوافع مختلفة منها العمد ومنها الخوف ومنها الغفلة، في إثارة تلك الفتن والمحن القاسية التي عاناها الدين الجديد بلا ذنب ولا جريرة، وبدون وجه حق ولا استحقاق..."[122].

* * *

121 - القرآن. سورة الأنعام. آية. 11/10.
122 - كتاب القرن البديع. ص. 110

1. رجال الدولة

نزلت النقمة والانتقام على أولئك الذين امتدت أيديهم إلى إيذاء حضرة الباب والمؤمنين به. ومن هؤلاء الذين ذكرهم حضرة ولي أمر الله:

*

أ. محمد شاه

" وما كاد محمد شاه يحكم على حضرة الباب بالأسر وسط جبال آذربيجان حتى واجهه تغيير مفاجئ في حظوظه، فتبدلت راحته بالمتاعب بدرجة لم يعهد لها مثيل من قبل، واشتدت عليه الكوارث من كل الجهات وابتدأت أركان السلطنة تتزلزل، وأخذت المصائب المفجعة تنتاب القوات التي كانت تحافظ على الأمن في داخل البلاد وارتفع علم الثورة في خراسان واستولى الذعر والرعب على المملكة بدرجة اضطر الشاه إلى إلغاء سفره إلى هرات في الحال. وكان إهمال الحاج ميرزا آقاسي وإسرافه قد سببا إشعال نيران الاستياء واندلاع لهيبها وسخط الجمهور، فتشجع الناس للقيام على النهب والسلب. وأخذت أكثر العناصر مشاغبة في خراسان من السكان في أقاليم قوچان وبُجنورد وشيروان تتّحد تحت إمرة السالار ابن آصف الدولة وهو الخال الأكبر للشاه والحاكم على الإقليم المذكور، وخلعوا سلطة الحكومة المركزية وثاروا عليها. وكلما أرسلت قوات من العاصمة كان محركو الثورة يهزمونها في الحال. وكان جعفر قلي خان نامدار والأمير أرسلان خان ابن السالار، اللذان يقودان الثوار المحاربين للشاه قد أظهرا منتهى القسوة في معاملة الأسرى، وإذ صدّا هجوم الأعداء، قاما بإعدام أسراهم بوحشية"[123].

---

[123] - مطالع الأنوار. ص. 233-234.

يسجل تاريخ إيران أنه في صيف عام 1848، راجت الشائعات حول وفاة الشاه الوشيكة وتفاقم انعدام الأمن في جميع أنحاء البلاد، وعمت الاضطرابات في إصفهان وكرمان وشيراز ويزد ... وفي سبتمبر/أيلول من نفس العام وافاه الأجل المحتوم بعد معاناة شديدة من آلام مرض النقرس.

"... فمحمد شاه المتعصب المتذبذب، الذي رفض أن يحقق رغبة حضرة الباب في الحضور إلى العاصمة لإقامة الدليل على صدق دعواه، وأذعن لإلحاح وزيره الخبيث، تهالك وهو مازال في ربيعه الأربعين، تحت وطأة طائفة من الأمراض والعلل هاجمته بعد أن تلقى نكسة مفاجئة، وحكم عليه 'بالنار' التي أقسم صاحب 'قيوم الأسماء' أن تلتهمه 'يوم القيامة التهاماً'[124].

ب. الحاج ميرزا آقاسي

إن إدراك ميرزا آقاسي بعقله السياسي نفوذ الباب وقدرته على الإقناع الذي برهن عليه سواء في شيراز أو في إصفهان، هو الذي جعله يتوجس خيفة من تسهيل لقائه بالشاه، والعمل على تدبير الحيلة للحيلولة دون هذا اللقاء خوفا من أن يقرّبه الشاه إليه، ويفقد بالتالي مكانته السياسية التي يحرص عليها كل الحرص. وتوهم أن اقتلاعه من جذور مدينته ومجتمعه في شيراز وحبسه في جبال آذربيجان على الحدود الروسية العثمانية، بعيدا عن أهله وأتباعه، وسط مجتمع كردي سني غريب عنه، لا يؤمن بما يؤمن به الشيعة الاثنا عشرية، بل يكنّون لهم العداوة والبغضاء، هو الحل الحاسم لكسر شخصيته والقضاء على دعوته. لكن سرعان ما انتهى نفوذ الوزير الأعظم وسلطته التي

---

124 - كتاب القرن البديع. ص. 110

أطاحت بها وفاة مليكه، وعصفت بآماله رياح الخيبة والخسران ورمت به في هاوية الذل والهوان. وقد وصفه ولي أمر الله قائلا:

" أما شيطانه الحاج ميرزا آقاسي المطلق السلطان والقوة من وراء العرش، والمحرض الأول على الهجمات التي شنت على حضرة الباب بما في ذلك اعتقاله في جبال آذربيجان، فقد عزل بعد مضي ما لا يزيد عن سنة ونصف منذ أن ألقى بنفسه بين الشاه وبين أسيره، وصودرت أمواله وأملاكه المشبوهة، وفضحه مليكه، واضطر إلى أن يحتمي بمقام شاه عبد العظيم خوفا من غضب مواطنيه المتزايد، ثم نفي بعد ذلك إلى كربلاء نفيا مزريا، وسقط فريسة للفقر والمرض والندم الأكال، وكان ذلك تحقيقا مؤسفا لما ورد في ذلك اللوح الذي فضحه فيه أسيره وتنبأ له فيه بمصيره، وكشف عن خزيه وعاره"[125].

*

ج. أمير النظام ميرزا تقي خان

وما أن مات محمد شاه وتولى الملك ولي العهد الشاب ناصر الدين شاه حتى عين ميرزا تقي خان محل الحاج ميرزا آقاسي الوزير الأول السابق. وكان من سوء سياسة هذا الوزير الجديد أن أمر بالقضاء على البابيين وإعدام حضرة الباب، مما جلب إليه الغضب الإلهي، كما أخبر عنه ولي أمر الله في تاريخه:

"... وأما أمير النظام ميرزا تقي خان الوضيع الخسيس، الذي تلوثت أولى سنوات وزارته القصيرة العمر بالهجوم الوحشي على المدافعين عن قلعة طبرسي، وصادق على قتل شهداء طهران السبعة وشجع عليه، وشحن الهجوم على وحيد وزملائه، وعجل بفتنة زنجان العظيمة، والمسؤول الأول عن إصدار الحكم بقتل حضرة الباب، فقد جرد من

---

125 - كتاب القرن البديع. ص: 112/111.

كل مزايا الجاه والاحترام التي تمتع بها نتيجة لحسد مليكه الشديد ومؤامرات البلاط الناقمة، وقتل غيلة بأمر الشاه فقطعت شرايينه في حمام قصر (فين) في كاشان...

*

د. حسين خان

وبالنسبة لحاكم شيراز الذي كان:

... أول من أساء معاملة حضرة الباب وعنّفه على رؤوس الأشهاد، وأمر خادمه بأن يصفعه على وجهه بعنف، فإنه لم يضطر إلى أن يتحمل البلاء الفظيع الذي نزل بغتة به وبأهله وبمدينته وبإقليمه كله فحسب، بل واضطر فيما بعد إلى أن يشاهد بعينيه فشل كل مساعيه، وأن يقضي بقية أيامه مغمورا مجهولا إلى أن احتواه قبره بعد ان هجره الصديق والعدو على السواء...

*

ه. ميرزا حسن خان

أما مصير ميرزا حسن خان الذي أمر الجنود بإطلاق الرصاص على حضرة الباب، بعد المحاولة الأولى الفاشلة، و:

... نفّذ حكم الإعدام في حضرة الباب بأمر أخيه أمير النظام، فقد عوقب بعقوبة فظيعة أفضت إلى موته قبل انقضاء سنتين على ارتكابه ذلك الإثم الذي لا يغتفر...

أما فرقة الإعدام نفسها التي تولت تنفيذ الإعدام بعد انسحاب فرقة الأرمن وقائدها سام خان:

... التي تجاهلت المعجزة التي أنذرت سام خان ورجاله بأن ينسحبوا ولا يعاودوا إعدام حضرة الباب، وتطوعت لتحل محلها ومزقت جسده برصاصها، فقد فقدت في السنة نفسها ما لا يقل عن مائتين وخمسين رجلا من ضباطها ورجالها في زلزال مروع حدث بين أردبيل وتبريز،

كما أعدم الخمسمئة الباقون في تبريز بعد سنتين رميا بالرصاص جزاء عصيانهم. فذكر الناس فعلتهم الشنعاء وهم يشاهدون أجسامهم المعروضة المشوهة، وبالغوا في اللعن والطعن وإظهار التعجب حتى اضطر أكابر المجتهدين إلى أن يعاقبوا الناس ليسكتوهم. وأما قائد الفرقة آقاجان بك فقد مات بعد ست سنوات من استشهاد حضرة الباب أثناء قصف البحرية البريطانية للمحمرة...

وذكر حضرة ولي أمر الله في كتابه القرن البديع ما حدث لسكان إيران أيام الدولة القاجارية نفسها، مستشهدا بما رواه النبيل في تاريخه، قائلا:

... أما جمهرة الناس من شعبها (إيران) الذين شاهدوا في غير اكتراث تلك المأساة تمثل أمام عيونهم دون أن يرفع أحد منهم إصبع احتجاج واحدة، فقد سقطوا بدورهم فريسة لبلاء عجزت عن صده موارد الدولة وجهود رجالها. منذ ذلك اليوم الذي امتدت فيه يد المجرم الأثيم إلى حضرة الباب... أخذت الرزايا والبلايا المتوالية تزهق أرواح هذا الشعب الجاحد وتفضي به إلى شفا الإفلاس العام، واكتسحته أوبئة مجهولة لم ترد لها سوى إشارات عابرة في بطون الكتب المهجورة التي لم يكترث بقراءتها سوى القليل، اكتسحته اكتساحا لايبقي ولا يذر. فأنزلت الخراب أينما انتشرت وأهلكت الحرث والنسل أينما اتجهت وعاثى من وطأتها الرفيع والوضيع والأمير والفقير، وأطبقت بقبضتها على الأهلين وأبت أن ترخيها، ومضت هذه البلايا تجتاح البلاد كما اجتاحت الحمى إقليم جيلان. وبالرغم من جسامة هذه الكوارث فإن غضب الله المنتقم لم يقف عند حد ما أصيب به هذا الشعب الضال عديم الإيمان، بل عم كل نفس تتنفس على هذه الأرض الموبوءة وترك أثره على حياة النبات والحيوان على حد سواء، وجعل الناس يحسون

بجسامة مصابهم وفداحة خطبهم. وأقبلت الجماعة فأضافت أهوالها إلى الرزايا الثقيلة التي يئن الناس تحت وطأتها، وفشا بينهم شبح الموت جوعا، وأفزعتهم رؤيا الموت البطيء المؤلم... وتلهف الشعب والحكومة على الخلاص ولا خلاص. فشربوا كأس الويلات حتى ثمالتها غير متفطنين إلى تلك اليد التي رفعتها إلى شفاههم، ولا إلى ذلك الشخص الشخيص الذي من أجله قاسوا ما قاسوا "[126]

* * *

[126] - كتاب القرن البديع. ص 112.

2. رجال الدين

ما أن أعلن حضرة الباب عن دعوته الإلهية المستقلة حتى قاومه رجال الدين بضراوة، تضاعفت شراستها كلّما زاد عدد المقبلين عليه، فعملوا على إقناع رجال السلطة بالخطر الذي تشكله دعوته على نفوذ الحكام، كما أعلنوا للعامة من أعلى المنابر في المساجد خطر دعوة الباب على الدين، فتكاثفت جهود رجال الدين والسلطة والعامة على محاربته، ومن هؤلاء العلماء:

أ. ميرزا علي أصغر

من العلماء الأربعة الذين استجوبوا حضرة الباب في تبريز:

"... شيخ الإسلام لمدينة تبريز ميرزا علي أصغر الوقح الخسيس الطاغية، الذي جلد بيديه حضرة الباب إحدى عشرة جلدة بعد أن امتنع حرس حاكم المدينة عن ذلك، فقد أصيب بالشلل في السنة نفسها، وقاسى ألوان العذاب ومات بائسا، ثم ألغي منصب شيخ الإسلام في تلك المدينة بعد موته..."[127]

*

ب. سعيد العلماء

الذي ألّب سكان بارفروش ليؤذوا القدوس، الذي قال عنه ولي أمر الله:

... وأما سعيد العلماء مجتهد بارفروش المتعصب الغليظ القلب الصفيق، الذي أنزل بعداوته المتعطشة الإهانات على رأس أبطال طبرسي، وسبب لهم كثيرا من المتاعب، فقد سقط بعد هذه الشناعات التي ارتكبها مباشرة فريسة لمرض وبيل غريب جعله يعطش عطشا لا يمكن إطفاؤه، وأحدث فيه نوبات برد شديدة فلا تدفئه الفراء التي يتدثر بها

---

[127] - القرن البديع. ص. 110

ولا النيران المشتعلة في غرفته على الدوام. وأما منزله الفاخر الرياش فقد تهدم وتخرب وبلغت به الحال بعد موته إلى أن أصبح مزبلة لأهل المدينة. وقد أثر منظره في أهالي مازندران تأثيرا عميقا حتى أن أحدهم كان يدعو على خصمه بأن يصير منزله إلى ما صار إليه هذا المنزل اللعين..."[128]

على أن موقف هؤلاء العلماء، ورد ذكرهم في الأحاديث الإسلامية، ومنها ما ذكره الصادق بن محمد:

"فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود"[129].

مثل هؤلاء العلماء أشاعوا، بالوسائل المتوفرة لديهم بمساندة الحكام، الإشاعات الكاذبة عن الباب في جميع الفضاءات أيام دولة السلالة القاجارية، وظلت تلك الإشاعات رائجة في مختلف الأوساط، تتناقلها الأجيال بعد سقوط الحكم القاجاري على يد الأسرة البهلوية التي لم تمنع يد الظلم من الامتداد إلى حضرة بهاء الله الموعود وإلى المؤمنين به أو تحول دون نهب أرزاقهم وأملاكهم وتخريب مقدساتهم، بل تمادت في بث الشائعات التي نسجتها الظنون والأوهام، وصدّقها تعاقب الأجيال، مما زاد في تراكم الشائعات وترسيخها في العقول التي لا تكلف نفسها عناء التحري عن الحقيقة، أو استقصاء أقوال وأفعال وسلوك المؤمنين ب **من يظهره الله**، وقراءة آثاره الكتابية وتحليلها تحليلا نزيها من أجل الوصول إلى نتائج سليمة، كما يوصي منزّلو الوحي في جميع الكتب السماوية.

إن معظم المسلمين أخذوا أخبار البابية والبهائية عمن سبقوهم، وصدقوا مقولاتهم وقلدوهم تقليدا صارما في أقوالهم وأفعالهم إلا القليل

---

128 - القرن البديع. ص. 112-113

129 - كتاب الإيقان. ص. 198.

من الذين تجرأوا على البحث في مسألة الباب، فتجلت لهم الحقيقة واضحة ناصعة. أما الذين تمادوا في الظلم، فإن عاقبة الظلم الوخيمة سلطت عليهم الغضب والخسران من حيث لا يحتسبون، كما ورد ذلك في الكتب المقدسة:

"سوف يأخذ الله الذين ظلموا كما أخذ الظالمين من قبل إنه لا تعجزه صفوف العالم ولا سطوة الأمم يفعل ما يشاء وهو الفرد الواحد المقتدر العليم الحكيم"[130]

انعكس اضطهاد البابيين على ورثتهم البهائيين إبان الدولة البهلوية رغم ما آلت إليه رسالة حضرة بهاء الله من الانتشار، وظلت عقول وأفئدة الأجيال المعاصرة مشحونة بما يلقي فيها علماء الدين من الإشاعات الموروثة التي تتولى نشرها وسائل الإعلام الغافلة عن الحقيقة، إلى أن أنشأ رجال الدين دولة دينية تحكم إيران. وأصبح بإمكانهم أن يوجّهوا ضربات قاسية إلى كل منتم من بشر وحجر إلى الرسالة البهائية التي حاول معول العداء قطع أغصانها واستئصال جذورها التي تعمقت في وجدان أبنائها. ورغم العداء والموانع الجمّة التي حاولت وأُد وجودها فقد امتدت فروعها اليوم إلى عنان السماء، يستظل في ظل شجرة تعاليمها الممدود أهل الشرق والغرب، الذين يعيشون وفق هدايتها عاملين على بناء مجتمع يحقق الهدف الرامي إلى تقدم المجتمعات البشرية.

يشهد على هذه الحقيقة ما آل إليه رفات حضرة الباب، الجوهرة المصونة في صدفة ضريحه المستقر على سفح جبل الكرمل، المنادي من عليائه إلى الإقبال عليه والاستفسار عن قصته ومكانته، حتى يطّلع الذين مازالوا غافلين عن هويته، السائرين في حياتهم عبر مراحل من

---

130 - لآلئ الحكمة. الجزء الثالث. ص. 104.

التجارب الفاشلة، التي تُثقل أعباؤها المؤلمة كواهلهم في البحث عن المسار الذي يحقق الهدف الزاهر المحتوم الذي فدى حضرة الباب حياته وحياة الآلاف من المؤمنين به ثمنًا للتبشير به، كما قدم **من يظهره الله** حياته وحياة أتباعه من أجل إرساء قواعدها والعمل على بناء مجتمع ينتقل من مرحلة الصراع والنزاع إلى مرحلة يودّع فيها البشر الحروب الدينية والطائفية والعرقية والعنصرية، كما أرادت مشيئة الله لهم في هذا العصر من مراحل تقدمهم.

*****

VII. تمجيد حضرة الباب

1. من طرف الهياكل المباركة

أ. حضرة بهاء الله

أنزل حضرة بهاء الله كتاب الإيقان، في بغداد، قبل الإعلان عن رسالته في حديقة الرضوان، بطلب من أحد أخوال حضرة الباب لإثبات أحقية دعوة ابن أخته، عبّر حضرته فيه عن إنفاق حياته فداء لحضرة الباب، قائلا:

" وهذا العبد قائم أمام الوجوه وواضع روحه على كفه بكمال التسليم والرضاء، عسى بالعناية الإلهية والفضل السبحاني ينفق هذا الحرف المذكور المشهور روحه، ويفدي بها في سبيل النقطة الأولى، والكلمة العليا. ولو لم يكن عندي هذه النية، فوالذي نطق الروح بأمره، إني ما كنت أتوقف في هذا البلد لحظة واحدة، وكفى بالله شهيدا" [131].

وقال عن حضرته في لوح أحمد* المنتشر المشهور، قبل نزول الكتاب الأقدس، يقول له فيه:

"... أن يا أحمد فاشهد بأنه هو الله لا إله إلا هو السلطان المهيمن العزيز القدير والذي أرسله باسم علي هو حق من عند الله وإنا كل بأمره لمن العاملين قل يا قوم فاتبعوا حدود الله التي فرضت في البيان من لدن عزيز حكيم قل إنه لسلطان الرسل وكتابه لأم الكتاب إن أنتم من العارفين كذلك يذكركم الورقاء في هذا السجن وما عليه

---

[131] - كتاب الإيقان . ص. 202.

* - أحمد : من مواليد يزد، انجذب منذ صغره إلى عالم الروح، وبحث في أماكن شتى إلى أن التقى ملا صادق الخراساني، ثم تشرف بلقاء حضرة الباب في كاشان، ثم عاش نحو 6 سنوات في جوار بهاء الله في بغداد. دفعه الشوق إلى زيارة حضرته عندما نفي إلى أدرنة، وما أن وصل إلى اسطنبول حتى وافاه اللوح المشهور، ففهم منه أن حضرته يريد منه العودة إلى إيران لحمل بشارة ظهور من يظهر الله.

إلا البلاغ المبين فمن شاء فليعرض عن هذا النصح ومن شاء فليتخذ إلى ربه سبيلا..."[132]

ولحضرة الباب نعوتٌ أخرى وصفه حضرة بهاء الله بها، ومنها:

' جوهر الجواهر ' و ' بحر البحور ' و ' النقطة التي تدور حولها أرواح النبيين والمرسلين' والذي به ' فصل من النقطة علم ما كان وما يكون ' والذي ' قدره أعظم من كل الأنبياء ' و ' أمره أعلى وأرفع من عرفان كل الأولياء وإدراكهم '.

*

ب. حضرة ولي أمر الله

يصفه حضرة ولي أمر الله ب:

... هذا الذي أشار مقدمه إلى انتهاء دور ' الوعود والنبوات' وافتتاح ' دور الوفاء بالوعود وتحقق النبوات '، محا بظهوره ظلام الليل الذي خيم على بلاده، وأعلن في الوقت نفسه اقتراب بزوغ النير الأعظم الذي يحيط نوره الجنس البشري جميعا. وصرح مؤكدا بأنه: **' النقطة التي ذوت بها من ذوت '، و ' الركن من كلمة الأولى'، و ' البيت ' و ' النبأ العظيم' و ' النار في النور على نور الطور '، ' ذكر الله' والذي، ' ما أرسلنا من نبي إلا وقد أخذناه بالعهد من أجله'** *وحقق بمجيئه وعد جميع العصور، وافتتح دور بلوغ كل الظهورات الإلهية واكتمالها في آن واحد. هذا ' القائم ' موعود الشيعة و ' المهدي ' المنتظر من أهل السنة، و ' رجعة يوحنا المعمدان ' التي يتوقعها المسيحيون ورجعة ' أوشيدرماه ' الذي أشارت إليه الكتب الزردشتية، ورجعة ' إيليا ' الذي ينتظره اليهود، هذا الذي تُظهر بعثته ' آثار جميع*

---

[132] - نسائم الرحمن. ص. 26/25. الطبعة الرابعة، 1993.

الأنبياء' هذا الذي' عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيوب'، ظهر وأشهر أمره واضطهد بلا رحمة ومات مجيدا" [133].

ويتابع في أحد تواقيعه قائلا:

"والتحية والبهاء على مبشره الفريد قرة عين النبيين باب الله الأعظم وذكر الله الأكبر الأكرم الأفخم وحجة الله بين الأمم الدرة الأولى والعلي الأعلى والنقطة الأولى الظاهر بآثار جميع الأنبياء وجه الله الذي لا يموت ونوره الذي لا يفوت القائم الموعود والمهدي المنتظر صبح الهداية صاحب الزمان سلطان الرسل الذي بظهوره قامت القيامة وأتت الساعة وانشقت الأرض وانفطرت السماء ومرت الجبال وانصعقت الكائنات وامتد الصراط ونصب الميزان وسعرت النيران ووضعت كل ذات حمل حملها وانفلق فجر الهدى وظهرت البشارة الكبرى واقترب بزوغ شمس البهاء الساطعة أنوارها على الخلائق أجمعين" [134]

***

133 - كتاب القرن البديع. ص. 82.

134 - من التوقيعات المباركة. توقيع 101 بديع. ص. 6

2. بعض العلامات في الكتب المقدسة

أ. في القرآن الكريم

وردت في القرآن بعض الآيات تشير إلى حضرة الباب، ذكرها حضرة ولي أمر الله:

*" ... قد بعث أول المرسلين اللذين تنبأ بظهورهما القرآن الكريم. و' **نفخ في الصور**'، نفخة صعق لها من في السموات والأرض وبلغت بالعالم نهايته، و' **وقعت الواقعة**'، و '**جاءت الطامة الكبرى**' و' **البعث**' و ' **زلزلة الساعة**' و' **أتت البينة**' و' **تنزل الملائكة والروح فيها**' و ' **قام الناس لرب العالمين**' و' **السماء كشطت**' و ' **جاء ربك والملك صفا صفا**' و' **الكواكب انتثرت**' و' **أخرجت الأرض أثقالها**' و' **الجنة أزلفت**' و' **الجحيم سعرت**' و' **وضع الكتاب**' ومد ' **الصراط**' و' **وضع الميزان**' و' **نسفت الجبال نسفا**' ... وانقضى يوم' **كان مقداره ألف سنة مما تعدون**' ...*

*

ب. في التراث الإسلامي:

*... ظهرت ' **الخمسة والعشرون حرفا** ' الباقية من ' **السبعة والعشرين**' التي تحوي العلم كله كما يقول الحديث الإسلامي..."*[135]

على أن السنة النبوية تزخر بالأحاديث التي تتحدث عن ظهور المهدي، والمذكورة في *مسند أحمد وصحيح الترمذي وابن داود*، ومنها هذا الحديث الذي ذكره الكثير من الرواة:

يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي وكنيته كنيتي يملأ الأرض عدلاً كما مُلِئت جوراً وذلك هو المهدي. وقول النبي: المهدي من عترتي من ولد فاطمة...

---

135 - كتاب القرن البديع. ص.83/82.

ج. في العهد القديم

كما وردت نبؤات في كتب العهد القديم تبشر بظهور حضرة الباب، كالتي أوردها حضرة ولي أمر الله:

"... وتم "***تطهير قدس الأقداس***" الذي تنبأ به دانيال وأكده السيد المسيح في إشارته إلى "***رجسة الخراب***"... وانتهت "***الاثنان والأربعون شهرا***" التي تداس فيها "***المدينة المقدسة***" كما تنبأ يوحنا اللاهوتي، وافتتح "***وقت النهاية***" وقام أول "***الشاهدين***" اللذين دخل فيهما "***بعد الثلاثة أيام ونصف روح حياة من الله***" فوقف على رجله و"***صعد إلى السماء في السحابة***"... ***هذا الابن الذكر العتيد أن يرعى الأمم بعصا من حديد***"[136] المذكور في كتاب رؤيا يوحنا.

*

د. العلماء الغربيون

لم تقتصر دعوة حضرة الباب على اهتمام مواطنيه الإيرانيين بل جذبت اهتمام المفكرين من الشرق والغرب، للبحث عن حقيقته، كما تفضل حضرة عبد البهاء:

" لقد انطلق كثيرون من جميع آفاق العالم إلى إيران وبدأوا يفحصون الأمر من كل قلوبهم"[137]

ومن هؤلاء المهتمين المستشرقون الغربيون الذين عبروا عن آرائهم وأدلوا بشهاداتهم التي ذُكر بعضها في كتاب القرن البديع:

"وهذه شهادة سجلها عالم مسيحي ورجل من رجال الدولة عاش في إيران مدة وتعرّف على حياة حضرة الباب وتعاليمه قال: إن ذلك المثل الرائع الذي قدمه الباب للإنسانية لتتأمله لهو من أعظم الأمثلة الرائعة

---

136 - كتاب القرن البديع. ص. 83.
137 - نفس المرجع. ص. 80

على الشجاعة، ودليل يثير الإعجاب على المحبة التي حملها بطلنا لمواطنيه. لقد ضحى بنفسه من أجل الإنسانية ولها وهب جسده وروحه، وفي سبيلها عانى الحرمان والهوان والسباب والعذاب والشهادة. وقد وقع بدمه ميثاق الإخاء العالمي، ودفع من حياته، كما فعل السيد المسيح من قبل، عربونا لعهد الوفاق والعدل والمحبة القادم.

وهذه شهادة أخرى كتبها هذا العالم أيضا معلقا على ملابسات استشهاد حضرة الباب، قال: "إنها حقيقة غريبة فذة بين تواريخ الجنس البشري".

وهذا ما قاله مستشرق فرنسي يلحوظ المكانة: " إنها لمعجزة حقيقية ".

وهذا حكم رحالة وكاتب انجليزي شهير قال: " هو رجل إلهي حقيقي".

وهذا ثناء رجل فرنسي نابه من رجال الإعلام قال: "خير من أنتجته بلاده".

وهذا ما حكم به رجل انجليزي من رجال الدين المختارين قال: " إنه لهو مسيح العصر... نبي وأكثر من نبي".

وهذا هو الاحتمال الذي قدره للدين البابي عالم اكسفورد الذائع الصيت وعميد كلية باليول مؤخرا، إذ قال:" إنه أهم نهضة دينية ظهرت منذ أن تأسست المسيحية..."

ومن المهتمين بالحركة التي أثارها دعوة حضرة الباب روسيا، الدولة المتاخمة لإيران، المهتمة بكل ما يجري في الجوار، الداعمة لجهودها من أجل ضمان مصالحها، لذلك اهتم القيصر ذاته بقضية الباب والأحداث التي أثيرت حولها، كما يذكر ولي أمر الله:

... إن مؤرخا معاصرا كتب آنذاك فقال: إن قيصر روسيا أرسل إلى القنصل الروسي في تبريز- قبل استشهاد حضرة الباب بقليل- يأمره أن

يبحث هذه الحركة المثيرة ويكتب عنها تقريرا وافيا، ولكن هذه التعليمات لم تنفذ نظرا لاستشهاد حضرة الباب"[138].

*****

[138] - كتاب القرن البديع، ص. 80.

IX. مآل دورة حضرة الباب

1. استمرار الاضطهاد

"ذكّر أيامي في أيامك ثم كربتي وغربتي في هذا السجن البعيد"

بهاء الله

أ. حادثة محاولة اغتيال الشاه

اعتقد الوزير الأعظم أن إعدام حضرة الباب، يضع حدًّا لانتشار دعوته، ونهاية لمقاومة أنصاره. غير أنه لم يحسب الحساب لردود أفعال بعض عشاقه الذين قد يفلت منهم زمام التحكم في مشاعرهم والتعقل في تصرفاتهم الشخصية المفتقرة إلى التبصر والتعقل والحكمة، والمخالفة أصلا لجوهر تعاليم دينهم.

إذ دفع التهور أحد البابيين الذي زينت له نفسه العدل في الانتقام لسيده، فأقدم على محاولة اغتيال الشاه، فصب بذلك الزيت على نار اضطهاد البابيين التي زادت في إلهاب مشاعر العداوة تجاه كل من اتهم بانتسابه للدين البابي. كما أشار حضرة عبد البهاء في مقالة سائح إلى هذه المحاولة الفاشلة:

" انه في حين إقامة الباب بآذربيجان انتظم في سلك أهل الإخلاص له شاب يدعى صادقا. ظل هذا الشخص ليل نهاره مواظبا على الخدمة وتفانى في ذلك حتى غاب عن صوابه. فلما أن تم على الباب بتبريز ما تم من أمر القتل والشهادة علق بوهم هذا الخادم وزعمه أن يلي القصاص له وزين له ذلك، ولجهالته بتفاصيل الوقائع وعدم درايته باستبداد أمير النظام واستقلاله في إدارة دفة الشؤون الإيرانية لم يعلم بأن واقعة القتل لم تقع باطلاع الملك قطعيا وجهل أن بطل روايتها نفس شخص الوزير الكبير، فتوهم أن من دائرة الملك خرج هذا الحكم حسب الرسوم المرعية...

أجل. إنه من بعد وقوع هذا الخطب الجسيم اتهمت جميع هذه الطائفة. وفي البدء لم يحصل فحص ولا تحقيق..."[139]

وجاء في كتاب القرن البديع ذكرُ هذه الحادثة التي يندى لها جبين المؤمنين كلما ورد ذكرها:

"دفعت مرارة مأساة استشهاد حضرة الباب، وجنون اليأس، والاعتقاد بأن المحرض الأول على هذه الجريمة هو الشاه دون سواه، بصادق التبريزي العامل في حانوت حلواني بطهران إلى أن يثأر لهذه الفعلة النكراء. فتقدم في يوم من أيام آب (15 آب 1852) مع شريك له نكرة مثله يدعى فتح الله القمي إلى نياروان حيث عسكر الجيش حول محل إقامة الشاه. وانتظر بجانب الطريق كأحد المارة الأبرياء ثم أطلق من سلاحه الناري الرصاص على الشاه بعد خروجه من رحاب القصر على جواده يتريّض رياضة الصباح. وأظهر فحص السلاح الذي استعمله المعتدي طيش هذا الشاب الأخرق بصورة لا تقبل الشك. وبّين بجلاء أن أي رجل سليم العقل لم يكن ليقدم على ارتكاب مثل هذه الفعلة الخرقاء...

وما كادت هذه الفعلة ترتكب حتى وقع ظلها على البابيين كلهم، وهبت على الأمة بأسرها عاصفة من الذعر والسخط والكراهية تعززها أم الشاه الشاب. ولم يعد هناك أي مجال للتفكير في إجراء أبسط ألوان التحقيق عن أصول هذا الاعتداء أو المحرضين عليه، وكانت أي همسة أو إشارة كافية لأن تورد أي بريء موارد الهلاك وتصب عليه أشنع ألوان العذاب..."[140]

وبذلك بدأت مرحلة جديدة من الاضطهاد، ألجأت المنتسبين لحضرة الباب إلى التستر والاختباء، ووجدت شراسة العداء في محاولة الاغتيال

---

[139] - مقالة سانح. ص. 35/34.

[140] - كتاب القرن البديع. ص. 88/87

هذه الفرصة السانحة والمبرر الذي كان يتمنى إيجاده رجال الدولة والدين الذين وحدهم روح الكراهية لأتباع الدين الجديد، لإشباع ما في نفوسهم من غل. وصفه أحد العسكريين الغربيين الذين عملوا في إيران وشهدوا بعض الفظائع التي نالت البابيين:

" ... وهو الكابتن فون جومونس الذي كان آنذاك في خدمة الشاه هالته بشاعة الفظائع التي كان مضطرا إلى مشاهدتها بحكم عمله فقدم استقالته، وبعد أسبوعين من محاولة الاغتيال أرسل خطابا نشر في مجلة 'صديق الجنود'. قال: اتبعني يا صديقي، وأنتم يا من تدعون بأنكم تتحلون بالأخلاق الأوربية الرفيعة تعالوا معي لتشاهدوا البؤساء الذين فقئت عيونهم ثم أجبروا على أن يأكلوا آذانهم المبتورة في مشهد التعذيب ذاته دون ملح ولا توابل ! والذين انتزع الجلادون أسنانهم وضروسهم بوحشية، والذين لم ينلهم شيء كبير من الأذى سوى أن حطمت المطارق جماجمهم العارية بكل بساطة. هلموا هلموا إلى حيث تضاء الأسواق بالضحايا البؤساء لأن الناس شقوا ثقوبا عميقة في صدور الضحايا وأكتافهم عن اليمين وعن الشمال، ووضعوا في الجروح شموعا مشتعلة. ولقد شاهدت بعضهم يسحبون في السوق مصفدين بالأغلال تتقدمهم إحدى الفرق العسكرية. وكانت الشموع قد احترقت وتوغلت حتى أخذ شحم الجروح يدخن كالمصباح إذا انطفأ حديثا. وليس من النادر أن تتفتق عبقرية أهل الشرق عن ألوان جديدة من التعذيب. من ذلك مثلا أنهم يسلخون قدمي البابي ويغمسون جروحه في الزيت المغلي، ويدقون فيها حدوة حصان، ويرغمونه على الجري. فلا تصدر من الضحية آهة ولا زفرة. بل تتحمل حواسه المفقودة ذلك العذاب في صمت مظلم. والآن يجب عليه أن يجري. ولا يستطيع الجسم أن يتحمل ما يتحمله الروح

فيسقط. ألا فارحموه واضربوه الضربة القاضية، وخلصوه من آلامه ولكن لا، الجلاد يهوي بالسوط، وكان علي أن أشاهد ذلك، وإذا بالضحية المتحملة مئة ضعف من العذاب تركض من جديد، كل هذا مجرد بداية للنهاية. أما النهاية نفسها فهي أن الجلادين يصلبون الأجساد المكوية الممزقة رأسا على عقب على جذوع الأشجار. عند ذلك تتاح الفرصة لأي إيراني يحب أن يجعل تلك الأجساد المعلقة النبيلة هدفا لإظهار براعته في التصويب على قدر ما يحب ويشتهي وعلى مسافة معينة ليست بالقريبة جدا ولقد رأيت أجسادا مزقتها مائة وخمسون رصاصة تقريبا، ثم مضى يقول: حين قرأت ما كتبت مرة أخرى تصورت أن الذين يعيشون معكم في النمسة وطننا العزيز المحبوب قد يخامرهم الشك في صحة هذه الصورة، وقد يرمونني بالتهويل والمبالغة، ألا ليتني لم أولد حتى لا أرى هذه الصورة، ولكنني بحكم عملي كنت أشاهد هذه الأهوال كثيرا، أكثر مما ينبغي لسوء الحظ. إنني لا أغادر منزلي الآن حتى لا أشاهد شناعات جديدة أخرى... ولما كان روحي يثور ضد هذا العار... فإنني أقطع صلتي بمنظر هذه الجرائم"[141].

لم تكن هذه المشاهد المرعبة وما أدت إليه من يُتم وترمُّل وثكْل وتشريد، نهاية لمصير المؤمنين بحضرة الباب، بل تتابعت موجات الاضطهاد مع مرور الأيام نظرا لما زرعته وسائل الإشهار، يومذاك، من بذور العداء والكراهية في قلوب الناس تجاه البابيين، وما نسبته إليهم من مختلف التهم الباطلة التي لا تجد من يتفحصها أو يفنّدها. وبات استمرار تكرارها وما أسقطه التخيل عليها من صور بشعة، حقائق يؤمن بها كل من يتلقاها ويشيعها في الأوساط التي يتعامل معها.

---

141 - كتاب القرن البديع. ص . 92/91.

امتد التشهير بالبابيين إلى البهائيين، وصار الوصول إلى معرفة حقيقتهم مقتصرا على ما يروّجه المتحاملون على الدعوة الجديدة، خلاف ما قد يجده اليوم الراغب في المعرفة من الوسائل التي يتوفر عليها البهائيون من منابر إعلامية، ومواقع الكترونية تنتشر في كل بلد، تمكّن من معرفة تاريخهم وحاضرهم وما يطمحون إليه في مستقبلهم.

إن النكبات والمآسي التي عرفها البابيون والبهائيون بعدهم، لا تعتبر في التصور الديني إلا برقا ورعدا يبشران بهطول أمطار الخير المحيية لأرض القلوب، وعاملا من عوامل التطهير وإزالة العقبات التي تعرقل تقدم الرسالة الإلهية، كما يقرر ولي أمر الله، إذا ما:

" ... تأملنا كل واحدة من هذه النكسات في أبعادها الصحيحة لقررنا، بثقة واطمئنان، أنها عناية مسطورة وبركة مقنعة ووسيلة ربانية لإطلاق المزيد من القدرة السماوية، ومهرب معجز من كوارث وشيكة الحدوث أشد نكالا ووبالا، وأداة لتحقيق التنبؤات العريقة وعاملا لتطهير حياة الجامعة وتقويتها، ودافع لتوسيع نطاقها ونشر تأثيرها، وشاهد مفحم ملزم على عدم قابلية عرى الدين للانفصام..."[142]

وإذا ما استفزّ المسافر الذاكرة وعاد بها إلى زمن ولى، يشاهد المقاومة الشرسة التي تعرض لها الأمر الإلهي من طرف الحكومة ورجال الدين والشعب، وقاموا ضده قومة رجل واحد، وتحالفوا فيما بينهم على مناصبته العداء إلى الأبد، و:

"اشترك فيه ملكان من آل قاجار ووزرائهما الأشرار، وناصرته طائفة الشيعة بأسرها وموارد الدولة العسكرية برمّتها، وعدوان الجماهير بجمعهم..."[143]

---

142 - نفس المرجع. ص. 87/86.

143 - نفس المرجع. ص. 13.

قصد استئصال جذور الدين وإخماد نار الحب التي أوقدها الله في قلب العالم المنبثقة من روح حضرة الباب. وكيفما تمكنت قوة المعارضة من إخماد شعلتها، إلا أنها سرعان ما انبعثت جذوتها بنفخة إلهية أخرى، كأنما الاضطهاد يؤجج لهيبها ويوسع انتشارها،كطائر العنقاء الأسطوري لا ينبعث من رماده إلا بعد احتراقه، أو كعودة المسيح إلى الحياة بعد ثلاثة أيام من استشهاده، كما تحكي الأناجيل، أو كاختفاء الرسول محمد من مكة في جنح الليل وإشراق نوره في يثرب. إنه نفس ما يشاهد في مسار تاريخ الدين البابي البهائي الذي عرف مراحل من التأزم واجه تحدياتها بصبر وثبات إلى أن تجاوزها، واستجمع قوته المتجددة التي اندفع بها إلى مزيد من التقدم نحو هدفه المنشود، كما تفضل ولي أمر الله:

"... إذا أمعنا النظر نلاحظ بأن الانقلابات وتتابع المصائب والنوائب والشدائد والمتاعب والمحن والمصاعب كانت سببا في اتساع نفوذ الأمر الإلهي ودافعا لقوته. إن هبوب العواصف والبلايا واشتداد زوابع الامتحان والافتتان أدى إلى اتساع ساحته وارتفاع عموده واستحكام أساسه وظهور حقيقته وتسريع نفوذه وبروز انتصاراته وثبات سطوته. إن كل لطمة ظلم نزلت على جامعة أمر رب العالمين كانت سببا في إحراز انتصارات وفتوحات جديدة، وكل فتنة من تدبير وتدليس خائن فاسد من داخل الجامعة أحدثت انتصارا عظيما وأظهرت أمرا بديعا...

ويستعرض مسار أمر حضرة الباب منذ بدايته في شيراز، قائلا:

... إن طلوع فجر الهداية من أفق بلاد فارس، وظهور القائم الموعود في مدينة شيراز الطيبة المعظمة المنورة، وفتح الباب الأعظم على أهل العالم في تلك الليلة المباركة، وإظهار الأمر الأعز الأفخم في البيت

المكرم لأول من آمن، وصدور الآيات المهيمنة المهيجة لكتاب قيوم الأسماء خطابا للملوك وأبناء الملوك وللوزير الأعظم وإلى عامة الملل والطوائف في شرق العالم وغربه وتعيين حروف الحي الذين هم أعظم وأكبر مائة مرة من حروف الفرقان، ثم نزول توقيع شاه إيران والسلطان العثماني وإرسال رسول إلى أرض الطاء* مقر السلطنة، وطواف بيت الله الحرام وإبلاغ أمر الله إلى شريف مكة وارتفاع النداء في إقليم الحجاز وقيام حروف الحي بتبشير وإعلان الأمر البديع في بلاد إيران والأقاليم المجاورة. كل ذلك أدى إلى حدوث زلزال بأركان الدولة والشعب وحرك العلماء وأشعل نار الفساد والبغض والعداوة. نتيجة لذلك ألقي القبض على مظهر الظهور الإلهي وأحضر إلى دار الحكومة ثم تم ضربه وتوبيخه وتحقيره وإهانته أمام الحاكم حسين الشقي** وجمع كثير من العلماء والفقهاء. كما اضطهد وعذب أتباع حضرة الباب، وصدر حكم الوزير المستبد*** بنفي وسجن مظهر المظلومية الكبرى في جبال آذربيجان وحبسه في قلعة ماه كو. هذا الأسر والحبس اللذان استغرقا ثلاث سنوات في القلعتين ماه كو وجهريق، وفيهما انفصل عن أصحابه وأحبابه، كان نتيجتهما صدور كتاب البيان وتشريع الأحكام ونزول الآيات البينات كالغيث الهاطل وتأسيس ميثاق الرب الأعلى والبشارة بقرب ظهور من يظهره الله وكشف النقاب وكسر الحدود والنفخ في الصور في أرض بدشت بقيادة الجمال الأبهى ومساعدة جناب الطاهرة المطهرة، النقية المنجذبة، وهمة وشهامة ثلة من الأصحاب وإعلان ظهور القائم دون ستر وحجاب بواسطة مظهر الظهور نفسه في عاصمة ولاية آذربيجان في

---

* - طهران
** - حسين خان حاكم شيراز.
*** - ميرزا آقاسي، الصدر الاعظم أيام حكم محمد شاه

مجلس الحكومة وفي محضر ولي العهد وأمام علماء الشيخية والمجتهدين العظام.

هذا الانتصار العظيم والإعلان الخطير كان سببا في إشعال نار العداوة والحسد بين الجهلة وأثار رعبا وخوفا في قلوب الحكام والرؤساء وأدى إلى اتحاد واتفاق الحكام مع الشعب على قلع وقمع هذا الحزب المظلوم.

ارتفع نداء وا شريعتاه و وا مذهباه من المنابر ووقعت هذه الفئة القليلة تحت مخالب الذئاب الكاسرة. تطاول الأعداء على الأحباء من جميع الجهات وعملوا على سفك الدماء البريئة ونهب الأموال وأسر النساء والأطفال. تجرع جمع من فحول الرجال والأنصار والرؤساء وحروف الحي كأس البلاء في واقعة مازندران المؤلمة* على مدى أحد عشر شهرا وأيضا في واقعتي نيريز وزنجان وفاجعة استشهاد الشهداء السبعة في ميدان طهران، حيث ذاقوا شتى أنواع البلايا والرزايا وشربوا كأس الشهادة الكبرى.

... خلال هذه الوقائع الجسيمة والمصائب الواردة على الأصحاب الأوائل وقعت فاجعة عظمى في تبريز. وحدثت مصيبة أشد وأعظم على الفئة المظلومة، فقد أصدر السفاك الكبير والجريء[144]** أمرا بقتل وإعدام المشرع الأعظم وسيد الأمم وإهراق دمه الأطهر. فقد علقوا الهيكل الألطف الأعز الأعلى في الهواء وشبكوا صدره المقدس برصاص أولي البغضاء وقطعوا جسده المنير شرحة شرحة ورموه بقرب خندق خارج تلك المدينة بكل تحقير ومهانة..."[145]

---

*- مازندران: القلعة التي تحصن فيها البابيون وفيها استشهد ملا حسين بشروني أول حروف الحي.

** - الصدر الأعظم ميرزا تقي خان.

145 - من التوقيعات المباركة. توقيع 101 بديع من ص 25 إلى 29.

أجل، ما أن حل ميقات الكشف عن رسالة حضرة الباب، حتى هبت النفوس المستعدة باحثة عنه إلى أن اهتدت إليه، وكان من نصيب هذه النفوس، رغم التحديات، أن تتولى الإخبار عنه والدعوة إليه. ولم يكن لعامة الناس أي اعتراض على ظهوره إلى أن دعا حضرته جميع الناس بما فيهم ملك البلاد إلى اتباع شريعته التي بدت مختلفة في أحكامها عن الشريعة المعهودة، ولو في جزئياتها مثل صيغة الآذان، فقامت القيامة واعترض العلماء والأمراء وشرعوا في محاولة القضاء عليها بإهانة أتباعها ومعاقبتهم، ومحاصرة المدافعين عن أنفسهم والقضاء عليهم، وامتدت سلطتهم إلى حضرة الباب، مصدر قوتهم ومرجع إلهامهم، فأعدموه رميا بالرصاص استئصالا لجرثومتهم. فتم لهم بذلك تشريد وإسكات من بقي منهم، بإجبارهم على إخفاء عقيدتهم.

تنفّست عداوة العلماء وسلطة الحكام الصُّعداء، وظنوا أن القسوة الصارمة والشدة البالغة أتت أكلها بتخلصهم مما اعتبروه فسادا حل بالبلاد.

ب. استمرار الاضطهاد بعد الإعدام

وإذا كان الاضطهاد لم يتوقف بإعدام حضرة الباب، فإن ما كمُن فيه من نتائج إيجابية لم تتوقف بدورها، فقد تولّد عنه إبّان سجن حضرة بهاء الله في سياه جال، بلوغ الرسالة البابية إلى كمالها، وبداية إرهاصات رسالة **من يظهره الله** الذي بشر بقرب ظهوره حضرة الباب، ذلك أن:

"... سجن الجمال الأبهى في سياه جال في طهران- فكان من نتيجته حلول سنة التسع، واختتام شريعة البيان وتحقيق وعد الرب الأعلى والنقطة الأولى، وافتتاح العهد المشعشع للجمال الأقدس الأبهى الذي

فيه بلغ جنين الأمر وفق ما تفضل به حضرة عبد البهاء، مقام " **أحسن تقويم**"[146].

وبإعلان حضرة بهاء الله عن رسالته في بغداد، بدأت دورة إلهية جديدة، وتضافرت جهود المقاومة من طرف ملكين عظيمين: شاه إيران القاجاري، وخليفة المسلمين العثماني، لمنع انتشارها، دون أن يكتب لهما النجاح في صدّ الناس عن الاستجابة لنداء حضرته، والإيمان به.

فما الذي يجعل الرسالة الإلهية تنتشر، ويبني المتمسكون بتعاليمها مجتمعا متميزا، رغم المعارضة، والاضطهاد والمنع؟

يلقي تاريخ الأديان النور الكاشف على بعض الأمثلة المستقاة من الوقائع الحادثة في الماضي، جوابا على هذا التساؤل:

إن قوة الكلمة الإلهية الخلاقة التي منحت لكليم الله، موسى عليه السلام، نفخت روحها في مجتمع بني إسرائيل، وجعلتهم يتحولون من عبيد لدى الفراعنة إلى بناة حضارة، بلغت أوجها أيام الملكين داود وسليمان. وكذلك فعلت كلمة السيد المسيح بأمته، التي سادت أيام البيزنطيين. أما الرسول محمد، فقد أخرج أمة من الجاهلية، لتكتسح بقوة روح الكلمة السماوية أقطار القارات الثلاثة المجاورة.

هذه الظاهرة، من جملة المعايير التي تميز الرسول الحامل لرسالة الله من الكاذب المدعي، يعززها استجابة الناس له وانتشار كلمته، رغم قوى الاعتراض وكثرة الإكراهات والعراقيل التي يتعرض لها المؤمنون. ومع ذلك، فإن رسالته تستمر في البقاء والتقدم، رغم ما عليه أتباعه من ضعف وعجز، بينما لا يفلح المدّعي الكاذب، ولا المعارض لرسالة الله، وإن توفرت لهم جميع الأسباب المادية للبقاء.

---

146 - توقيعات مباركه حضرت ولي امر الله خطاب به احباء شرق – نوروز 108 بديع، ص 394 (ترجمة غير معتمدة)

ويرجع الاعتراض على الرسول الإلهي إلى التغيير والتحول، الذي تدعو إليه رسالته، عن التقاليد الثابتة التي يتمسك بها قومه، والتي يعتبرونها خالدة، لا تقبل التغيير والتبديل، فيحاربونه متهمين إياه بالفساد والتمرد الداعي إلى هدم الدين الذي عاش الجميع حسب مقتضياته، أباً عن جد، على مدى العصور. كما لوحظ في رسالة حضرة الباب عندما صرح بما يخالف الثوابت، إلى جانب ما أتى به من مفاهيم دينية تخالف ما تعلمه ويعلمه الفقهاء. زيادة على غياب ما يتوقع الناس من حدوث العلامات المبهرات عند إعلان الموعود عن رسالته السماوية، والخوف من تغيير الوضع المعتاد المريح القائم الذي ألفوه وتعوّدوا عليه. وحتى الراغب الصادق في البحث بإخلاص عن دعوة الرسول قد يتهيّب مما يستدعيه التحري من نبذ للتقاعس، وبذل المجهود الشخصي الجدي، ومواجهة مواقف أخطار المعارضين، من أجل الوصول إلى معرفة الحقيقة.

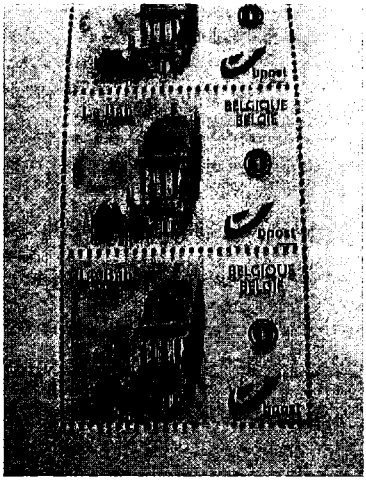

لذلك لم يتوقف اضطهاد البهائيين، ورثة البابيين، رغم ما طرأ على العالم من تغيير كبير في القرن العشرين من تحول وانقلاب سياسي وما توصل إليه قادة الشعوب بعد الحربين العالميتين المهلكتين من صدور ميثاق الأمم المتحدة واعتماد الجمعية العامة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، عام 1948، الذي يحدد الحقوق الأساسية التي يتعين حمايتها عالميا، كما نصت مادته 18:

"لكل شخص حقّ في حرية الفكر والوجدان والدين، ويشمل هذا الحقّ حريته في تغيير دينه أو معتقده، وحريته في إظهار دينه أو معتقده بالتعبد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، بمفرده أو مع جماعة، وأمام الملأ أو على حدة" ونصت المادة الثالثة على أن:" *لكل فرد الحقّ في الحياة والحرية وفي الأمان على شخصه*".

ورغم إدراك الباحثين المنصفين جدوى تعاليم الدين البهائي، وإشادتهم بها، واعتراف عدد من الدول بوجود مواطنين بهائيين يتمتعون بحقهم الطبيعي في ممارسة حياتهم الدينية الخاصة، واعتراف هيئة الأمم المتحدة ذاتها بالجامعة البهائية العالمية، منظمة غير حكومية، ومشاركة البهائيين في منتدياتها الدولية والإقليمة. ورغم إدانة انتهاك حق البهائيين في الحرية وفي الحياة في إيران من طرف جمعيات حقوق الإنسان، وطنيا وعالميا، ورغم احتفاء بعض الدول بتثبيت الآثار البهائية في طوابعها البريدية بما فيها مقام حضرة الباب... فإن ثقافة الحقد والعداء وكراهية المنتسبين إلى الدين البهائي، مازالت منتشرة، ومازال الاضطهاد قائما مستمرا في وطن حضرة الباب وحضرة بهاء الله.

ففي عام 1955، امتدت معاول الحكومة الإيرانية وهدمت المركز البهائي في طهران، أيام حكم الأسرة البهلوية، وما أن تأسس النظام الثيولوجي في إيران، وتولى فيها الحكم نظامُ ولاية الفقيه*، واستولى رجال الدين على السلطة عام 1979، حتى تم هدم بيت حضرة الباب في شيراز، من طرف حراس ثورة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وإعدام أعضاء المحفل الروحاني المركزي، والعدد العديد من البهائيين، رجالا ونساء، ونهب وحرق ممتلكاتهم، وتدنيس وتخريب مقابرهم

* - ولاية الفقيه: مصطلح فقهي قديم في الفقه الشيعي الاثني عشري منذ بدايات الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر... حيث يعتبرها الفقهاء ولاية وحاكمية الفقيه الجامع لشرائط الفتوى والمرجعية الدينية المعبر عنه بالمجتهد في الأحكام الشرعية في عصر غيبة الإمام الحجة، حيث ينوب الولي الفقيه عن الإمام الغائب في قيادة الأمة وإدارة شؤونها والقيام بمهام الحكومة الإسلامية وإقامة حكم الله على الأرض (ويكيبديا)

وتسويتها بالأرض في جهات مختلفة من إيران، وحرمان الشباب البهائيين من التعليم العالي، وطردهم رسميا من الجامعات التعليمية، وسجن القائمين منهم على خدمة البهائيين في إيران. وتمادت محاربة البهائيين في دينهم وأملاكهم وأرزاقهم، وقطع الطريق على تكوينهم العلمي وتقدم حياتهم، واضطهادهم بشراسة ترقى إلى الإبادة الجماعية.

وحيثما امتد نفوذ النظام الإيراني في العالم الإسلامي، امتد العداء والكراهية إلى البهائيين، كما هو واقع الحال في اليمن التي تعرف حربا أهلية، يُتّهم فيها البهائيون، بسبب عقيدتهم الدينية، بتهم واهية، تزجُّ بهم في السجون، ويتعرض بعضهم لأحكام الإعدام.

إن حادثة استشهاد حضرة الباب، وما تلاها من أحداث، تذكّر بنفس ما حدث في المجتمعات السابقة التي تمادت في اضطهاد رسلها وأتباعهم، إلى أن استدعت الظروف التبديل وفرضت التغيير، وشرع المؤمنون بها في بناء حضارة أكثر تقدما وضمانا للرخاء والاطمئنان، على أسس التعاليم التي جاء بها الرسول المضطهَد.

هذا ما يستعرضه تاريخ الأديان، وما تكرر حدوثه دون أن يحدث فتور في تعاقب الأجيال. فكأنما التاريخ يعيد الأحداث نفسها في عصرنا، عصر الانفتاح على الآخر، عصر التسامح والتعايش الذي يتباهى به الجميع.

وإذا ما بُرّر اضطهاد البابيين يومذاك، والمؤمنين ببهاء الله بعدهم، بهمجية المجتمع الذي لم يكن قد خرج بعد من ظلمات القرون الغابرة، فإن استمرار المنع والقمع والاضطهاد في وقت تتفاخر فيه الدول بمساندة المبادئ والقيم الأخلاقية وحقوق الإنسان، هو ما يحير العقول الواعية، ويقلق الضمائر الحية، وهم يشاهدون احتيال المغرضين والالتفاف على القوانين الوطنية والدولية، وتلفيق التهم الباطلة، قصد

تكريس اضطهاد المتمسكين بحقهم في اختيار الدين الذي يتعبدون به خالقهم.

***

2. الهدف من رسالة حضرة الباب

شكلت رسالة حضرة الباب حلقة اتصال تفصل بين النظام البالي البائد وبين النظام القادم الجديد، وفي نفس الوقت تربط الجسر ما بين إعلان رسالة وبين رسالة **من يظهره الله** التي بشر بها وبنظامها العالمي الذي يسمو برسالة حضرته إلى مرحلة ارتقائها وتحقيق هدفها:

"إن حضرته (الباب) *لا يعتبر مؤسسا لدورة سماوية فحسب، كما هي حال مؤسس الدين المسيحي، بل ومبشرا بعصر جديد، ومفتتحا كورا إلهيا عالميا"*[147]

*

أ. التبشير بمن يظهر الله: (بهاء الله)

لم تستثن مأساة إعدام حضرة الباب واستشهاد البابيين الأليمة في طهران التي وقعت بعد حادثة محاولة اغتيال الشاه:

" شخصية حضرة بهاء الله الشامخة، فألقت عليه القبض إلا أنها عجزت عن أن تصرعه. نعم إنها جعلت حياته في خطر، وطبعت على جسده آثارا لا تمحى من القسوة المتحجرة، ولكنها عجزت عن أن تعطل مهمته التي لم تكن مجرد المحافظة على النيران التي أوقدها روح حضرة الباب فحسب بل وإشعال نار تبلغ، بظهور حضرة الباب، تمامه وتفوق كل أمجاده" [148]

ادّخرت العناية الإلهية حضرة بهاء الله وحافظت على حياته حتى تتم به إرادة الله بإظهار الأمر الذي وعد به المرسلون عبر العصور، وبشر حضرة الباب بظهوره الوشيك، وأكد على عظمته في أكثر من مناسبة مقارنا ظهور رسالة حضرته بمقام البيان، قائلا:

---

147 - القرن البديع. ص. 82.
148 - نفس المرجع. ص. 93/92.

"إن البيان ومن فيه طائف في حول قول من يظهره الله مثل ما كان الألف 'الانجيل' ومن فيه طائفا حول قول محمد رسول الله...
... إن البيان في مقام النطفة اليوم وآخر كمال البيان في أول ظهور من يظهره الله..."[149]

وبذلك ربط كل تنزيله بإرادة **من يظهره الله**، إن شاء ثبّته وإن شاء استبدله. كما نص عليه حضرته في الخطاب الذي وجهه إلى حضرة بهاء الله، في تفسير سورة يوسف:

"يا سيدي الأكبر ما أنا بشيء إلا وقد أقامتني قدرتك على الأمر. ما اتكلت في شيء إلا عليك: وما اعتصمت في أمر إلا إليك. يا بقية الله قد فديت بكلي لك ورضيت السب في سبيلك وما تمنيت إلا القتل في محبتك وكفى بالله العلي معتصما قديما وكفى بالله شاهدا ووكيلا"[150].

على انه لا ينبغي أن يفهم من هذا التصريح أن تفاضلا ما قائم بين رسل الله، وأن أحدهما يتفوق على الآخر، كما قد يفهم من بعض الآيات، أو كما يكرس معظم المؤمنين مفهوم تفوق رسولهم الذي يتبعون شريعته على غيره من الرسل، إذ لا فرق بين رسل الله، وإنما التفاضل يرجع إلى درجة الهداية التي يقدمونها تلبية لحاجيات تقدم البشر إلى المزيد من الهداية المناسبة لعصرهم، كما تفضل حضرة بهاء الله:

"وهؤلاء الهياكل القدسية هم المرايا الأولية الأزلية التي تحكي عن غيب الغيوب وعن كل أسمائه وصفاته من علم وقدرة وسلطنة وعظمة ورحمة وحكمة وعزة وجود وكرم. فكل تلك الصفات

---

149 - النظام البديع لدورة بهاء الله. ص. 10/9 .
150 - نسائم الرحمن. الطبعة الرابعة. ص 7.

ظاهرة ساطعة من ظهور هذه الجواهر الأحدية. إن هذه الصفات ليست مختصة ببعض دون بعض ولم تكن كذلك فيما مضى بل إن جميع الأنبياء المقربين والأصفياء المقدسين موصوفون بهذه الصفات وموسومون بتلك الأسماء. نهاية الأمر أن بعضهم يظهر في بعض المراتب أشد ظهورا، وأعظم نورا..." [151]

وبين حضرة ولي أمر الله تعقيبا على توضيح حضرة عبد البهاء في تبيينه لرموز إحدى النبؤات، تتناول تعاقب رسل الله:

"... *وفقًا لمبدأ التدرّج في الكشف عن الحقائق الدينية، لا بدّ لكل مظهر إلهي أن يمنح أهل زمانه درجة من الهداية الإلهية تكون أكبر من تلك التي تلقّاها أو أدركها عصر سابق أقلّ استعدادًا، ولهذا السبب وليس لأية ميزة أخرى قد تعزى إلى الدين البهائي...*"[152]

لم تطل المدة الفاصلة بين ظهور حضرة الباب وظهور **من يظهره الله**. فقد توصل بأولى تجلياته بينما كان يعاني تحت السلاسل والأغلال في سجن سياه جال، إذ:

" *في غضون تسع سنوات كما تنبأ حضرة الباب تماما، كان جنين الدين الذي أسسه يتطور بسرعة غريبة قاهرة إلى أن ولد أمر الله الموعود في الميقات المعلوم بين جدران سياه جال بطهران ووسط آلامه وتباريحه...*"[153]

وكانت تلك هي البشارة التي هيأ حضرة الباب أتباعه لها، وفدى نفسه في سبيلها. إلى جانب البشائر الأخرى التي زفها حضرة الباب للعالمين، ومنها: بشارة الاحتفال بعيد ليلة الإعلان عن رسالته لملا حسين البشروئي، حين قال له عنها:

---

151 - كتاب الإيقان. ص. 80/79.

152 - The Dispensation of Baha'u'llah، The World Order of Baha'u'llah، ص 102 (ترجمة غير معتمدة)

153 - كتاب القرن البديع. ص. 120.

"هذه الليلة وهذه الساعة سيحتفل بها في الأيام الآتية كأعظم الأعياد وأهمها".

وهو ما يحتفل به البهائيون حاليا في مشارق الأرض ومغاربها مع أصدقائهم، سنة بعد أخرى.

إن التغيير الذي بشر به حضرة الباب تكشّفت بشائره بظهور رسالة حضرة بهاء الله، وظهور النظم البديع الذي ورد ذكره في كتاب البيان الفارسي، أثناء سجنه في قلعة ماه كو بآذربيجان:

" طوبى لمن ينظر إلى نظم بهاء الله ويشكر ربه فإنه يظهر ولا مرد له من عند الله في البيان..."

*

ب. نظم بهاء الله البديع

هذا النظم الذي هنأ حضرة الباب البشرية بمشاهدته، والانتظام في ظلال هدايته. زرع حضرة بهاء الله بذرة جنينه في رحم العالم، الذي يعيش في مرحلة ألم المخاض، استعدادا لاستقبال ولادته السعيدة في قابل الأيام، والذي يعمل المجتمع البهائي على تطبيق نظامه الإداري في مختلف المستويات المحلية والمركزية والقارية والعالمية. وفيه تتجلى الوحدة الثلاثية المتكاملة – وحدانية الله، ووحدة الجنس البشري، ووحدة الأديان – واضحة في واقع سلوك أفرادها، وفي تفاعل أعضاء مؤسساتها، وفي حياة الجامعات البهائية في كل بقعة من بقاع العالم، رغم الفوارق الجغرافية، وتنوع الخاصيات الثقافية والعرقية والخلفيات الدينية. ومن المؤسف أن تحقيق هذا الاتحاد في المجتمع الإنساني كله:

" لا يمكن أن يتم إلا بمحنة مريعة تندلع نيرانها بصورة لم تُعهد من قبل... تلك أيضا حقيقة محتومة سوف تزيدها الحوادث المقبلة ثبوتا.

*وإن لنا في صوت بهاء الله المنذر الذي وجهه في خاتمة كلماته المكنونة مخاطبا شعوب العالم من أن: "**بلاء مباغتا يتبعهم، وعقابا عظيما***

يتعقّبهم"، ما يلقي ضوء ساطعًا على ما قدر لإنسانية محزنة من نصيب عاجل...

وإذا تمّ الميقات يظهر بغتة ما يرتعد به فرائص العالم ..."[154]

إنه النظم الذي قال عنه حضرة بهاء الله في أم الكتاب، الكتاب الأقدس:

"قد اضطرب النظم من هذا النظم الأعظم واختلف الترتيب بهذا البديع الذي ما شهدت عين الإبداع شبهه..."[155]

منذ أن بشر حضرة الباب بتحقيق النبؤات التي تنبأ بها الأنبياء والمرسلون في تاريخ الأديان، مبشرين بحلول عصر مجيد، يتحد فيه جميع البشر على دين واحد وشريعة واحدة، وقادةُ البشرية يتأرجحون في سياستهم بين المحافظة على الواقع القائم المعاش وبين الانتقال إلى الطارئ الحديث الذي فرضته، في النصف الأول من القرن العشرين، حربان عالميتان، لم تكن ويلاتهما ومآسيهما كافيتين،كما يبدو، لتنبيه البشرية إلى نظام الاتحاد الذي بشر به حضرة الباب، وتحمّل ما تحمله في سبيله من المكاره تمهيدا لتبني هذا الاتحاد الذي لا مفر من الرجوع إليه، رغم التمادي في التمسك بمفاهيم البشر المقتصرة، غالبا، على حل المشاكل الطارئة التي لا تعالجها إلا نسبيا، إذا حالفها النجاح، بينما نظام حضرة بهاء الله العالمي والذي هدفه توحيد العالم، هو:

"... النظم الوحيد الكفيل بمقاومة عوامل التحلل الداخلي- التحلل الذي إذا لم يوقف سيره فإنه يظل ينخر عظام إنسانية يائسة.

---

154 - The World Order of Baha'u'llah ،The Goal of a new World Order، ص 46 (ترجمة غير معتمدة)

155 - الكتاب الأقدس. فقرة 181. ص. 108.

وهذا هو الهدف_ نظام عالمي جديد، إلهي من حيث المصدر، شامل من حيث المدى، عادل من حيث المبدإ، نافذ من حيث القوة والتأثير- الذي يجب أن تسعى إليه إنسانية منهكة".[156]

تفضل حضرة بهاء الله في الألواح التي وجهها إلى ملوك ورؤساء العالم، خاصة اللوح الموجه إلى ملكة انجلترا العظمى- التي لم تكن الشمس تغيب عن أراضيها- شبّه فيه المجتمع العالمي بجسم إنسان تكالبت عليه الأمراض المختلفة، ولا يكتمل تمام علاجه إلا بمهارة طبيب متخصص ملهم، قائلا:

"... والذي جعله الله الدرياق الأعظم والسبب الأتم لصحته هو اتحاد من على الأرض على أمر واحد وشريعة واحدة، هذا لا يمكن أبدا إلا بطبيب حاذق كامل مؤيد، لعمري هذا هو الحق وما بعده إلا الضلال المبين... أن اتحدوا يا معشر الملوك به تسكن أرياح الاختلاف بينكم وتستريح الرعية ومن حولكم إن أنتم من العارفين..."[157]

كانت الرسالات الإلهية للبشر، في السابق، تركّز على موضوع محدد، توليه أهمية خاصة، كتركيز الإسلام في الوسط الوثني على وحدانية الله. أما مبدأ وحدة الجنس البشري الذي خص الله البشر بلوغه في هذا العصر الجديد، فإن الظروف المادية لم تكن متوفرة للبشرية في دور الرسالات السماوية السابقة حتى تتجه البشرية نحو وحدة الجنس البشري، مثلما يتوفر البشر اليوم، في هذا العصر البديع، على إمكانيات تُيسّر الاتجاه بخطى ثابتة نحو الوصول إلى تحقيقها. وهو ما بينه حضرة عبد البهاء، قائلا:

---

156 - The World Order of Baha'u'llah ،The Goal of a new World Order ، ص 34 (ترجمة غير معتمدة)

157 - نداء القلم الأعلى- ألواح منزلة من قلم حضرة بهاءالله، ص 69-71 .

" في كل ظهور أشرق صبح الهدى كان تركيز ذلك الإشراق على شأن من الشؤون... في هذا الدور البديع والقرن الجليل أساس دين الله وغاية شريعة الله... إعلان وحدة العالم الإنساني"[158].

***

[158] - The Goal of a new World Order ،The World Order of Baha'u'llah، ص 36 (ترجمة غير معتمدة، بالاستعانة بالأصل الفارسي)

3. مآل رفات حضرة الباب.

نُقل رفات حضرة الباب، المزوج برفات رفيقه بعد إعدامهما رميا بالرصاص، من حافة خندق خارج أبواب مدينة تبريز، ثم دُبّر نقله إلى مكان أمين. ومنه أخذ ينتقل من مكان إلى آخر، بغاية الحرص والاحتراز، حتى لا يقع هيكله المبارك في يد الأعداء، إلى أن وُضع في المكان الذي عينه حضرة بهاء الله في جبل الكرمل، أثناء زيارته له في السنوات الأخيرة من عمره، عندما خفّت الحراسة على الحبس في منفاه بحصن عكاء:

" *توجه جمال القدم والاسم الأعظم* — **روحي لأدنى عبد من عبيده الفداء** — *في أواخر أيامه من قلعة عكا المحصنة إلى مدينة حيفا المكرمة، وشرف التل الإلهي بقدومه المبارك، وبذلك أقيمت المأدبة الكبرى في الملإ الأعلى، فاهتز كوم الله، وظهر بهاء كرمل، ونصبت الخيمة المباركة على سفحه، وجرى من اللسان الأطهر بصوت مرتفع في جوار مقام حضرة إيليا آيات لوح الكرمل الباهرات، ونطق لسان العظمة بتعريف ووصف بقعة من بقاعه الواقعة في قلب ذلك الجبل... وعيّن المقام المحمود بما صدر من الفم المطهر مخاطبا الغصن الأعظم ومشيرا إلى ذلك المقام المقدس بإصبع الاقتدار...*"[159]

وذلك بعد أن خطط القدر، على يد أعدائه، نفي حضرته من وطنه نفيا أبديا، استقر به المقام أخيرا في سجن حصن عكاء، بأرض فلسطين العثمانية. ومنها أرسل تعليماته الحاثّة على غاية الحرص، لحفظ رفات حضرة الباب النفيسة ونقلها:

---

[159] - توقيعات مباركه حضرت ولي امر الله خطاب به احباء شرق – نوروز 108 بديع، ص 320-321 (ترجمة غير معتمدة)

... من مكان إلى مكان إلى أن أمر حضرة عبد البهاء بنقلها إلى الأرض المقدسة، وهناك أخلدها بيديه إلى الراحة الأبدية في تعظيم وتكريم في مقام شيد لذلك على سفح جبل الكرمل"[160]

لخّص حضرة ولي أمر الله المراحل التي مر بها الرفات المبارك عبر العهود التي شارك فيها كل من حضرة بهاء الله وحضرة عبد البهاء، إلى أن انتهى به المطاف بوضعه في مقره الحالي بحيفا، حيث:

" يشاهد ذلك وينظر إليه من الملإ الأعلى جمال القدم وشارع الأمر الأفخم الذي هو في الحقيقة مؤسس هذا المشروع الأتم الأقوم. ومن بعده غصنه الأعظم ومركز عهده الأكرم الذي نفذ الإرادة الإلهية القاهرة الغالبة، ونقل العرش المطهر من مهد أمر الله إلى ساحل الأرض الأقدس وشيد حجرات المرقد المطهر بيد القدرة، وآوى أمانة الله في قلب الكرْم الإلهي، وعن ورائهما معشر النبيين والمرسلين الذين بشروا بيوم ظهور صاحب هذا المقام، ومجدوا ضريح مظهر المظلومية الكبرى الأبدي وكرّموه في الكتب المقدسة، والذين شوقا للقائه ارتفع منهم الحنين والأنين في العصور الغابرة حتى صعدوا من هذا العالم الى العالم الباقي وكلهم حسرة هاتفين بالتهليل والتسبيح والتكبير، والذي يطوف حوله أرواح القديسين والكروبيين والملائكة المقربين ..."[161]

ثم جاء بعد ذلك دور حضرة عبد البهاء، ليجعل من نقل رفات حضرة الباب، وبناء مقامه في البقعة التي عينها حضرة بهاء الله، أحد أهدافه الأساسية في حياته الأرضية، التي قال ولي أمر الله واصفا تحديات هذا الإنجاز:

" ... قام غصنه الأعظم الوحيد بتنفيذ الدستور الصادر من فمه المقدس طبقا لما أمره به محبوبه الأبهى... وبعد ذلك أصدر غصن البقاء أمره –

---

160 - كتاب القرن البديع . ص. 79.

161 - توقيعات مباركه حضرت ولي امر الله خطاب به احباء شرق – نوروز 108 بديع، ص 365-366 (ترجمة غير معتمدة)

*بتأييدات الجمال الأبهى الموعودة – بنقل العرش الأعلى من أرض الطاء إلى مدينة عكا المكرمة. وأثناء تلك الأيام نفسها تم إعداد الصندوق المرمري والتابوت المقدس حسب إرادته المباركة، ووصل من الهند إلى مدينة حيفا المباركة سالما آمنا. وقد أرسى غصن البهاء بيده المباركة حجر الأساس لذلك المقام المقدس ... وبعد ذلك ارتفعت حجرات البنيان المرصوص بقوة عضد المركز المنصوص لعهد الرب الودود رغما لأنف كل عدو لدود ومكار عنود ... وفي هذه الأثناء وصل العرش المطهر من طهران دار الخلافة الى ساحل الأرض الأقدس مارّا بمدينة أصفهان وكرمانشاه ودار السلام وبر الشام وأرض الباء** بعد أن مضى على استشهاد حضرته خمسون عاما، ثم أخفي في إحدى حجرات المنزل الذي كان يقطنه حضرة عبد البهاء. وبالرغم من سجن غصن الله المثمر فقد ورد العرش إلى سفح جبل الكرمل حيث استقر في المكان المعلوم مستورًا عن الأنظار..."*[162]

وظل حضرة عبد البهاء حريصا على إتمام بناء ضريح حضرة الباب، رغم مكائد الأعداء الذين اهتموا حضرته باطلا، أثناء عملية البناء، بأنه يبني حصنا منيعا ومخزنا للذخيرة، استعدادا للتمرد والانفصال عن السلطة المركزية. وفي بحبوحة هذه الأزمات، استمر يشرف على البناء في ظروف محفوفة بالمخاطر إلى أن تم تحريره من سجن عكاء، وتمكن من أن يخلد رفات حضرة الباب بيديه الكريمتين إلى مثواه الأبدي، في المقام الذي شيده على سفح جبل الكرمل.

---

* - مدينة طهران
** - مدينة بيروت
162 - توقيعات مباركه حضرت ولي امر الله خطاب به احباء شرق – نوروز 108 بديع، ص 371- 373 (ترجمة غير معتمدة)

وتابع شوقي أفندي حين تولى إدارة شؤون الأمر البهائي بالعمل على إكمال إنشاء ضريح يليق بمقام ومنزلة الباب. وأشرف بنفسه على البناء كما فعل حضرة عبد البهاء .

وفي نيروز عام 1951م. كتب حضرة ولي أمر الله إلى أحباء الله وإماء الرحمن في إيران والهند وأفغانستان والعراق وشبه الجزيرة العربية ومصر والسودان وسوريا ولبنان، مستهلا توقيعه قائلا:

" *(أيها المحترقون من نار الفراق، أيها المضطهدون في سبيل أمر نيّر الآفاق)*...

ويبشرهم فيه ب"*تهيئة المقدمات الأولية، واللوازم الضرورية لتشييد القبة الرفيعة المنيعة الذهبية البديعة لضريح الرب الأعلى المقدس*...

قبة مقام حضرة الباب الذهبية

إنها قبة الضريح الذهبية التي تتوج جبل الكرمل، جبل الرب المقدس، المشرفة على مدينة حيفا، التي يقصدها الزوار من كل حدب وصوب.

يذكر حضرة ولي أمر الله علاقة حضرة الباب بالأنبياء والمرسلين السابقين:

"*... الذين بشروا بيوم ظهور صاحب هذا المقام، ومجدوا ضريح مظهر المظلومية الكبرى الأبدي وكرموه في الكتب المقدسة، والذين شوقا للقائه ارتفع منهم الحنين والأنين في العصور الغابرة حتى صعدوا إلى العالم الباقي وكلهم حسرة هاتفين بالتهليل والتسبيح والتكبير، والذي يطوف حوله أرواح القديسين والكروبيون والملائكة المقربون، وارتفع الهتاف من الملإ الأعلى عن المكمن الأسنى:* (أن يا مظلوم العالم عليك من الصلوات أكملها

وأهاها، أن يا باب الله الأعظم عليك من التحيات أطيبها وأزكاها، سبحان من اختارك وبعثك، سبحان من جعلك مبشرا لأمره، والذبح الأكبر لدينه، تعالت قدرتك يا قرة عين النبيين، وعلت سلطنتك يا سلطان المرسلين، ولاح كبرياؤك يا محبوب من في السموات والأرضين، وظهر يوم انتقامك يا من فديت بروحك وبشرت العالم بيوم يقوم الناس لرب العالمين)...

ويتابع مُبْرزًا مقام حضرة الباب حيًّا وميّتًا:

... ما أسمى شأن هذه الوديعة الربانية ومنزلتها، وما أرفع مقام هذا الهيكل الأعز الصمداني الذي علق وشبك بآلاف الرصاص، واصطبغ بالدماء، واستقر في هذا الضريح المنور طبقا لما أراده المحبوب تلقاء قبلة أهل البهاء والروضة المباركة العليا، مطاف الملإ الأعلى، المدينة البيضاء وعن يساره مقام حضرة إيليا، وعن يمينه تلال الجليل لحضرة عيسى، وعن خلفه المسجد الأقصى. عجزت الأقلام عن وصفه، وقصرت العقول عن إدراك قوته المكنونة النافذة وسيطرته الغالبة المحيطة، وعن بيان تأثير ونفوذ التراب المنتمي لذلك المضجع المنور..."[163]

ومثلما أن موقع حضرة الباب في محور **يطوف حوله أرواح القديسين والكروبيين والملائكة المقربين**، فإن موقعه في جغرافية كوكب الأرض، كما صوَّره حضرة ولي أمر الله، بمثابة مركز تنطلق منه تسع دوائر متموجة تحيط بكوكب الأرض كله. ويشكل مقام حضرة الباب الدائرة السادسة، يصف هذه الصورة، قائلا عنها:

"وكما أن هذه الحقيقة الأزلية والنقطة الأوّلية ومظهر الوحدانية الإلهية هي مطاف أرواح المرسلين في العوالم الغيبية بتصريح حضرة رب البرية

---

163 - توقيع المقام الأعلى. ص. 6/5/4 (ما بين القوسين عربي الأصل)

كذلك فإن مركزية مقامه الأعلى في عالم الكون ثابتة ومحققة أيضا. فرمسه المعطر يقوم بظاهر الظاهر مركزا لتسع دوائر أرضية: أما الدائرة الأولى فكُرة أرض العالم الأدنى؛ وفي قلب هذه الكرة الأرض الأقدس قلب العالم وقبلة للأمم، عشّ ومقر الأنبياء، وفي قلب هذه الأرض كرم الله جبل الرب مقام حضرة إيليا؛ وفي قلب هذا الجبل الحرم الأقدس للأراضي المتسعة الموقوفة على ذلك المقام المقدس؛ وفي قلب هذا الحرم الفردوس الأبهى والجنة العليا والحدائق الوسيعة المتعددة التابعة لذلك المقر الأسنى. وفي قلب هذا الفردوس البنيان البديع الرفيع البناء، المقام الأعلى. وفي قلب هذا المقام الذي شيدت حجراته في يوم الميثاق — والذي هو بمثابة الصدفة — يكمن اللؤلؤ المتلألئ لقدس الأقداس الضريح المطهر. وفي قلب هذا الضريح والجوهر الثمين المقر الأعز الأسنى. وفي قلب هذا المقر التابوت المقدس الذي ورد ذكره في القرآن وبشر به كتاب الله، كما صرح بذلك حضرة عبد البهاء. وفي قلب تابوت سكينة الله هذا يرقد رمس الرب الأعلى والنقطة الأولى المعنبر المنوّر المعطّر (تعالى تعالى اسمه العلي العالي الأعلى ! تعالى تعالى شأنه الأعظم الأرفع الأسنى ! تعالى تعالى مقره الأبدع الأمنع الأسمى! تعالى تعالى رمسه الأطهر الأقدس النافذ في كل الأشياء! تعالى تعالى أمره الأعز الأكبر المهيمن على من في الأرض والسماء) !"[164].

وفي عام 2001 تم تدشين الشرفات التي يتوسطها مقام حضرة الباب الذي تتوجه القبة الذهبية المشرفة على مدينة حيفا.

164- توقيعات مباركه حضرت ولي امر الله خطاب به احباء شرق – نوروز 108 بديع، ص 367-369 (ترجمة غير معتمدة)

ومن الصدف العجيبة أنه في نفس العام، الذي نفت فيه السلطات العثمانية حضرة بهاء الله من أدرنة وسجنته في حصن عكاء، شيدت عائلات ألمانية بروتستانتيه، تنتمي إلى فرقة الهيكليين* – Templers- منازل لها في حيفا، القريبة من عكاء، في فلسطين العثمانية يومذاك، قادمة من جنوب غرب ألمانيا، بدعوة من زعيمها، كريستوف هوفمان، يحفزهم الاعتقاد باقتراب المجيء الثاني للمسيح الموعود في الكتاب المقدس، فغادروا ديارهم شوقا للقائه والفوز بشرف استقباله. كما يذكر أديب طاهر زاده:

المستعمرة الألمانية في حيفا عام 1875 (تكسدنا)

"توافق توافدهم على سفح جبل الكرمل في نفس سنة إعلان حضرة بهاء الله في بغداد البعيدة (1863م) حيث شيدوا لهم مستعمرة (1868) بموقع يبعد نحو ميل إلى الغرب من قرية حيفا في تلك الأيام. هذا ولا تزال عبارة "الرب قريب" (بالألمانية) منقوشة على مداخل بيوتهم"[165].

وقد أجاب حضرة بهاء الله من منفاه في عكاء رئيسهم (جورج ديفيد هارديك) الذي بعث إليه باللوح المعروف بلوح هارتيك، يقول له في مستهله:

بسم الله الأقدس

* - الهيكليون: Templers، هم أعضاء جمعية الهيكل) بالألمانية (Tempelgesellschaft) طائفة بروتستنتية المانية تمتد جذورها للحركة التقية (التقوى) في الكنيسة اللوثرية. طُرد الهيكليون من الكنيسة عام 1858 بسبب اعتقاداتهم. كان هدفهم هو تحقيق رؤاهم الرهيبة لأنبياء إسرائيل في الأراضي المقدسة.(المعرفة)

165 - ظهور حضرة بهاء الله. الجزء 3. ص. 26

"قد حضر كتابك المختوم لدى المظلوم ووجدنا منه عرف خلوصك لله المهيمن القيوم، نسأل الله أن يعرفك ما هو المستور في لوح مسطور ويسمعك هدير الورقاء في الأفنان... أن يا حبيب ينبغي لحضرتك أن تتفكر في كلمة الله وعظمتها وحلاوتها إنها لتكفي العالمين، إن أول من آمن بالروح قد أخذه جذب كلمة ربه وبها أقبل وآمن منقطعا عما في أيدي الناس هذا ينبغي لحيتان البحر الأعظم..."[166]

مازالت بقايا (الحي الألماني) الواقعة حاليا أسفل الشرفات البهائية مباشرة في شارع جميل يؤدي مباشرة إلى أهم وأكبر الموانئ في البلد، تصطف على جانبيه المقاهي والمطاعم النابضة بالحياة، خاصة في الليل. يشرف عليه ضريح حضرة الباب المنوَّر، تحيط به الحدائق الجميلة والشرفات الأخّاذة، وتصاميم صروح مؤسساته الإدارية البديعة التي تشكل المعلم السياحي الرئيسي في حيفا الجاذبة لاهتمام وإعجاب الكثير من السياح علاوة على الزوار البهائيين القادمين من كل جهات المعمور.

ونظرا لما تتميز به هذه المباني من تناسق الهندسة المعمارية الجميلة، وما يتواجد بسفح جبل الكرمل من الحدائق الطبيعية الخلابة، ومناظر الشرفات الأخاذة يتوسطها ضريح حضرة الباب الذهبي القبة، المشرفة على مدينة حيفا، حيث المركز البهائي العالمي الروحي والإداري، وما تمثله الأماكن المقدسة البهائية من قيمة عالمية بارزة مرتبطة بقيم الدين البابي والبهائي، تشكل جميعها مرحلة هامة من تاريخ البشرية.

---

166 - لآلئ الحكمة. الجزء الثالث. ص. 216/215

نظرا لما لهذه المآثر من قيم وجمالية، اعتبرتها منظمة اليونيسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة) منذ (8 يوليو/ تموز 2008) جديرة بإدراجها في قائمة اليونيسكو، واعتبارها ضمن التراث العالمي.
يُعد هذا الموقع المشحون بالروح والأحداث والجمال معلمًا ضخمًا في مدينة حيفا، ويَعتبره البهائيون الذين دفعهم إيمانهم إلى المساهمة في بناء هذه الصروح، والسهر على صيانة هذه المآثر، هديّة منهم إلى كل الإنسانية. إن أبوابها مفتوحة للقادمين إليها من كل أطراف كوكب الأرض.

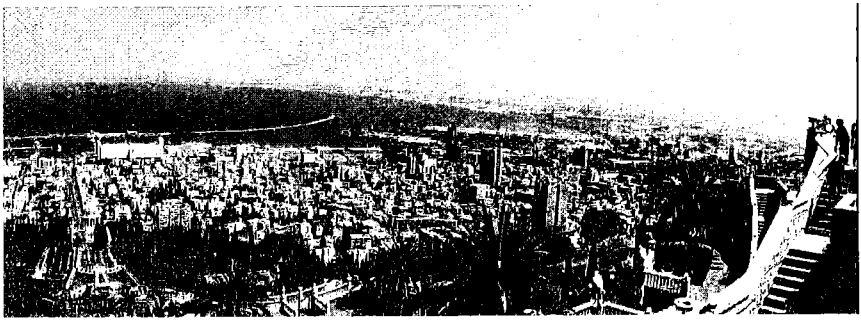

منظر مدينة حيفا من شرفات مقام حضرة الباب

*****

عود على بدء

ما أن كشف حضرة الباب عن هويته للباحث الجاد المسلح بأدوات التعرف على الموعود الملا حسين البشروئي، المتوكل على الله المتوسل إليه طلبا لهدايته، حتى فاز بمعرفة المقصود من بحثه واستظل في ظل كلمته الطيبة المثمرة التي مثّلها القرآن:

بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها[167].

جدّدت كلمة الله الخلاقة في نفسه ونفوس الفائزين مثله، بمعرفة حضرة الباب، روح الإيمان، فتبدلت أحوالهم، وأكسبتهم قوى مكنتهم من تقديم حياتهم فداء لمحبته ونصرته، عندما أذكى المعترضون نار افتتانهم وابتلائهم رغبة في منعهم عن الولاء. فلم يترددوا في رعاية بذرة الإيمان، التي زرعها حضرة الباب في قلوبهم، وسقيها بدمائهم إلى أن تجذرت في أعماقهم، وطلع نبتها وعبق شذا أزهارها إثر الإعلان عنها من جديد في حديقة الرضوان في بغداد، فأثار انتشار أريجها عداوة المجتمعات الخاضعة للدولتين الإسلاميتين في العالمين الشيعي والسني على حد سواء. ومازال المنع والاضطهاد في بعض الدول قائما بصور مختلفة إلى حد اليوم (يناير/كانون الثاني 2019).

هذا المنع الذي لم يمنع انتشار الدعوة البابية ولا البهائية بعد ظهور **من يظهره الله** في العالم الإسلامي، الذي هو مهد دعوته، بل قدر لها أن تنتشر بين أهل العالم كله، على اختلاف نظمهم وثقافاتهم وأعراقهم وأطيافهم. أما المؤمنون بها فقد استبشروا بطلوع شمس يوم جديد، لا مثيل له في الأيام الخوالي، وصار واضحا لدى الجميع أن ما كان ينفع الناس من النظم في السابق لم يعد مناسبا لهذا اليوم المشرق المنير.

---

[167] - سورة إبراهيم. آية 26

غير أن الوعي بحقيقة هذا التغيير لم يحدث في أيام حضرة الباب، الفاتح لهذا العصر الجديد، الذي يحل فيه اتحاد البشر والسلام المنشود محل الاختلاف والصراع المعهود، بل لم يستجب لدعوة حضرته إلا القليل من معاصريه، بينما تابع معظم الناس العيش وفق النظم المعتادة دون أن يعيروا الأذن الصاغية لنداء حضرته، إلى أن ضغطت عليهم الأحداث الطارئة، ودفعتهم الظروف المتوترة إلى خوض حرب ضروس، أجبرت ويلاتها المتحاربين على الاتفاق على وضع السلاح، وتوقيع ميثاق أدى إلى الاستجابة لنداء حضرة بهاء الله الداعي إلى تحقيق الاتحاد بين الدول، فتأسست نواته بإنشاء عصبة الأمم، وتنفس الكل الصُّعداء، واستعدوا للعيش في سكينة وأمان بعد مؤتمرات 1919 - تزامنًا مع الذكرى المئوية لمولد حضرة الباب الميمون — وشرعت في تنظيم عملية السلام، وتغيير النظم السياسية السائدة الشاملة التي كان فيها للملوك والأباطرة السلطة المطلقة، والانتقال إلى أنظمة دستورية برلمانية، رغبة في التخفيف من الاختلاف الذي تغذيه روح الانتقام والعنصرية والقومية.

وبتغيير أنظمة الحكم السائدة، وقيام أنظمة بشرية سياسية جديدة، ظن المؤيدون لها المتفائلون بأن عهدا من الراحة والاطمئنان قد حل بديار البشر، مطمئنين إلى أن هذا الإنجاز إنما تحقق بفضل ما اهتدت إليه اجتهادات عقولهم، غافلين أن هذا الإنجاز جزء من مقتضيات مشيئة الله للبشر في هذا العصر المجيد. وذهبت بعض الدول إلى الاعتقاد بأن أوضاع العالم الآن صارت تحت سيطرة إرادة البشر، وجاهرت بأن الشعوب لا حاجة لها بتدخل الإرادة الإلهية في شؤونها، ولا حاجة بها أصلا إلى الدين الذي جعل منه رجاله وساساته أفيونا للتنويم قصد استنزاف جهود الكادحين واستغلال ثمرات جهودهم. غير أنه سرعان

ما تبين خطأ هذا النهج بعد عقود من التجربة الفاشلة، عندما نقض الغاضبون مواثيق السلام وزجوا بالبشرية في أقل من عقدين، في أتون حرب عالمية ثانية، أشد بأسا وأكثر انتشارا، شملت معظم كوكب الأرض. خربت البلدان وهلكت العباد، وأدى إنهاك الجميع إلى التفكير في تنظيم العالم من جديد بتأسيس الأمم المتحدة، والتوقيع على ميثاق غليظ، تعهدت فيه الدول المؤسسة والملتحقة بأن لا ترفع السلاح على بعضها البعض أبدا.

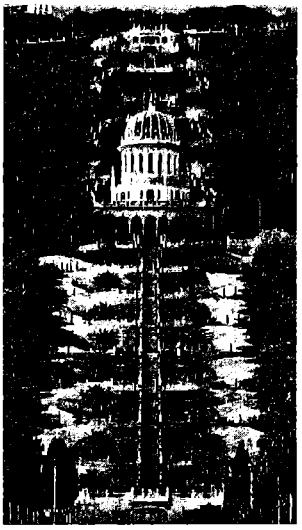

صورة تدشين الشرفات في 23 مايو/أيار 2001

ومع هذه الجهود المخلصة لتحقيق السلام وتحرير الشعوب من ربقة الاستعمار والاستغلال، فإن حربا جديدة، سرعان ما أطلت برأسها، عرفت بالحرب الباردة. تنافست فيها القوتان العظيمتان تنافسا محموما، وتسابقتا في تصنيع الأسلحة المدمرة، هددت سكان الأرض في النصف الثاني من القرن الماضي باندلاع حرب عالمية شاملة، لا تبقي ولا تذر.

إن البشر رغم النوايا والإرادة الحسنة ومساعي عقلائها المخلصة، والشعور بالحاجة إلى "نظام عالمي جديد" لم يتوفقوا إلى إيجاد نظام رشيد، يواكب حاجيات العصر، ويحل المشاكل المترتبة عن الوضع السياسي والاقتصادي المضطرب المفتقر إلى الضوابط اللازمة لضمان العدل والإنصاف في التوزيع العادل للثروة بين الدول والأفراد، ويضع حدا للمعاناة من الصراع والحروب. أما الأنظمة المتوفرة حاليا فإنها لا تؤدي إلا إلى المزيد من البطالة والفقر

والتهجير. وإن عالجت أعراض المعاناة التي يعاني منها المجتمع الإنساني، فإنها لم تتمكن بعد من معالجة أصل داء الاختلاف الذي يقض مضاجع راحتها.

أثناء مسار البشرية إلى ما يحقق أمنها واطمئنانها، غفلت النظر في التعاليم التي بشر بها الباب وأنزلها حضرة بهاء الله، و لم يلقوا بالاً لمبادئه التي تنتظم بها شؤون العباد في عالمنا المعاصر، والتي يفعّلها البهائيون بهمة وهدوء، وبنظرة واضحة إلى أفق الاتحاد الموعود، وثقة كاملة في بلوغ البشر إلى هدف السلام المنشود، الذي تبنته الأمم المتحدة، وتشارك الجامعة البهائية العالمية في برامجها، بنشر مبادئها، والمساهمة في أنشطة وكالاتها التربوية والثقافية والعلمية والصحية والبيئية والاجتماعية والاقتصادية، وتقديم برامج تربوية لرفع مستوى المجتمع المادي والترقي الأخلاقي والروحي، ببناء مشارق الأذكار للتعبد والخدمات الاجتماعية؛ وبرامج تربوية للأطفال والناشئين والشباب والكبار، وفق ما تسمح به الإمكانيات المتوفرة، لإزالة أسباب الاختلاف بين البشر.

إن مسار حياة المبشر الشهيد، وما آلت إليه دعوته المبشرة برسالة حضرة بهاء الله وبظهور نظمه البديع، يستدعي من أهل العالم اهتماما أكثر بها، وبالمجتمعات البهائية التي أنشأتها في مختلف جهات المعمور، وما يساهم به أتباعها عمليا في بناء صرح الاتحاد والسلام.

وما إحياء الذكرى المئوية الثانية لمولد حضرة الباب، إلا استعراضا لما لقيه ظهوره من اعتراض ومقاومة التي واجهت دعوة حضرته في وطنه وفي بعض الأوطان، والاحتقار والاستخفاف والأذى الذي انتهى بإعدام شخصه المجيد، وتدنيس رفاته الممزق. إن هذه المهانة تستدعي

التدبر فيما صار رفاته إليه اليوم بفعل القوة المنبعثة من روح الرسالة الإلهية التي حولت تلكم الذلة الظاهرة بهذه العزة القاهرة.

جدير بكل إنسان، التأمل في السرّ الكامن خلف ما آل إليه المودَع في ذلك المطرح في هامش مدينة تبريز، إلى هذا الضريح الموقر المقدس الجليل، وسط الحدائق والشرفات وصروح المقر الإداري البهائي العالمي في الأرض الأقدس، المرصع بقبته الذهبية الناصعة، تاج سفح جبل الكرمل وزينته اللافتة للأنظار.

****

المراجع

- بهاء الله

- كتاب الإيقان. الطبعة الثالثة. من منشورات دار النشر البهائية في البرازيل.
- لوح الرئيس. ألواح حضرة بهاء الله إلى الملوك والرؤساء.طبعة 1983 من منشورات دار النشر البهائية في البرازيل
- لوح مجتهد اصفهاني معروف بنجفي. مؤسسة ملي مطبوعات أمري سنة 119 بديع.

- الكتاب الشريف. طبعة 2007. دار الكتاب الشريف. بيروت. لبنان

- عبد البهاء

- مقالة سائح. طبعة 1967، بمعرفة المحفل الروحاني المركزي للبهائيين بشمال غرب افريقيا.

- ولي أمر الله

- الكشف عن المدنية الإلهية. توقيع عام 1936. الطبعة الأولى 1947.
- توقيع المقام الأعلى. عام 1951، طبع المحفل الروحاني المركزي بمصر والسودان.
- توقيعات مباركه حضرت ولي امر الله خطاب به احباء شرق – اللجنة المركزية لنشر الآثار البهائية باللغتين الفارسية والعربية- لانجن هاين / المانيا 1992م.
- النظام البديع لدورة بهاء الله. عرب وطبع بمعرفة لجنة الترجمة والطبع للمحفل الروحاني المركزي للبهائيين بمصر والسودان بمطبعة الاسكندرية.
- القرن البديع. طبعة 1986. ترجمة الدكتور السيد محمد العزاوي. طبعة إلكترونية.بالموقع البهائي العالمي: Reference.bahai.org
- توقيعات مباركة. نوروز 101ب. دار النشر لانكن هاين، ألمانيا، طبعة 1992.
- من التوقيعات المباركة. نوروز 101. ترجمة عبد الحسين فكري.
- The World Order of Baha'u'llah, second revised edition 1974, Bahai Publishing Trust, Wilmette, Illinois
- هدف الأمر الإلهي. ترجم وطبع بمعرفة لجنة الطبع والنشر للمحفل الروحاني المركزي للبهائيين بمصر والسودان بمطبعة رمسيس بالاسكندرية.

- نسائم الرحمن. الطبعة الرابعة 1993
- رسائل بيت العدل
- رسالة الرضوان 2018
- محمد زرندي
- مطالع الأنوار. طبعة إلكترونية.بالموقع البهائي العالمي: Reference.bahai.org
- حسن بليوزي
- الباب،The Bab (إنجليزي) مطبعة جورج رونالد، أوكسفورد. طبعة 1973.
- خديجة بكم حرم حضرة الباب. ترجمة شوقي رياض روحاني. طبعة 1990، دار النشر البهائية في البرازيل.
- مومن موجن
- البابية والبهائية، من 1844 إلى 1944 بعض الروايات الغربية المعاصرة (The Babi and Bahai religions, 1844-1944/ Some contemporary western accounts) (إنجليزي)
- الموقع البهائي العالمي. Bahai.org
- ويكيبيديا
- محرك البحث غوغل

==========